www.christianlib.com

سفر إرميا

مقدمة

إرميا أو «الرب يرفع». واعتاد الناس أن يربطوا بهذا النبيّ موضوع البكاء، فيُشبَّه إلى حدّ بعيد بأيوب؛ فالاثنان تفترق سيرتهما في العلاقة بالأحداث المعاصرة؛ في حياة إرميا هو دمار أورشليم والذهاب إلى المنفى واحتلال أرض يهوذا بيد الجيوش البابليّة. أما أيوب فيرى في موقعه وكيف أصابه ما أصابه من الله، يأسَ المدينة المقدسة التي يرثيها كاتبٌ في قلب المنفى.

من هو إرميا؟

هو أحد كهنة عناثوت (١: ١)، تلك القرية الصغيرة التي تبعد ٥ كم إلى الشمال من أورشليم. قرية تنتمي إلى بنيامين، أحبّها النبيّ وأظهر عاطفته لها. وربما يكون من نسل أبياثار، ذاك الكاهن الذي خدم في شيلوه، واستقبل داود الهارب من شاول، والذي كان كاهنًا في أورشليم مع صادوق كاهن يبوس، الاسم القديم لأورشليم، وعُزل أبياثار من الخدمة الكهنوتية؛ لأنّه تحزّب لأدونيا ضد سليمان. ولكنه لم يُقتل لأنّه «حمل تابوت السيد الرب».

أما **شخصيّته**، فهو رجل حياء، خجل، لئلا نقول «خوف» وتردد على مثال موسى. لا ثقة له في نفسه ويتهرّب من القتال: «إِنِّي لاَ أَعْرِفُ أَنْ أَتَكَلَّمَ لأَنِّي وَلَدٌ» (١: ٦). وهكذا هو يختلف كل الاختلاف عن إشعياء رجل القرار؛ فحين قال الربُّ: «مَنْ أُرْسِلُ؟ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟» جاء جواب إشعياء: «هأنذا أَرْسِلْنِي» (إش ٦: ٨).

هو صاحب عاطفة وانفعال وذو إحساس رقيق. يحسّ بالحدث آتيًا، بل يراه ويسمعه ويتألم منه. فيبكي، بل يصرخ، وتتحرّك أحشاؤه وتخفق جوانب قلبه. عند مجيء الخراب من الشمال، يصرخ: «أَحْشَائِي، أَحْشَائِي! تُوجِعُنِي جُدْرَانُ قَلْبِي. يَئِنُّ فِيَّ قَلْبِي. لاَ أَسْتَطِيعُ السُّكُوتَ. لأَنَّكَ سَمِعْتَ يَا نَفْسِي صَوْتَ الْبُوقِ وَهُتَافَ الْحَرْبِ» (٤: ١٩). في هذه العاطفة الجيّاشة يشبه إرميا هوشع. قال: «تركتُ بيتي، رفضتُ ميراثي، دفعتُ حبيبة نفسي (أو: حبيبتي) بيد أعدائها» (١٢: ٧). وقال في ٣١: ٣: «مَحَبَّةً (أو رحمة) أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ (أو: رحمتك)، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ». وقال الرب في شأن أفرايم: «هَلْ أَفْرَايِمُ ابْنٌ عَزِيزٌ لَدَيَّ، أَوْ وَلَدٌ مُسَرٌّ؟ لأَنِّي كُلَّمَا تَكَلَّمْتُ بِهِ أَذْكُرُهُ بَعْدُ ذِكْرًا. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ حَنَّتْ أَحْشَائِي إِلَيْهِ. رَحْمَةً أَرْحَمُهُ، يَقُولُ الرَّبُّ» (٣١: ٢٠). مقابل هذا نقرأ في هوشع: «لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلاَمًا (ولدًا، طفلًا) أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي. كُلَّمَا دَعَوْهُمْ ذَهَبُوا مِنْ أَمَامِهِمْ يَذْبَحُونَ لِلْبَعْلِيمِ» (هو ١١: ١-٢).

ثم: «كَيْفَ أَجْعَلُكَ يَا أَفْرَايِمُ، أُصَيِّرُكَ يَا إِسْرَائِيلُ؟! كَيْفَ أَجْعَلُكَ كَأَدْمَةَ (مدينة دُمّرت مثل سدوم)، أَصْنَعُكَ كَصَبُوييمَ؟! قَدِ انْقَلَبَ عَلَيَّ قَلْبِي. اضْطَرَمَتْ مَرَاحِمِي جَمِيعًا» (هو ١١: ٨).

الخبر الذي يرويه إرميا على دعوته ونداء الله له، يوضح بجلاء طابع المهمة التي تلقاها؛ لقد فُرض عليه القتال. قال له الرب: «اُنْظُرْ! قَدْ وَكَّلْتُكَ (أو: أقمتك) هذَا الْيَوْمَ عَلَى الشُّعُوبِ وَعَلَى الْمَمَالِكِ، لِتَقْلَعَ وَتَهْدِمَ وَتُهْلِكَ وَتَنْقُضَ وَتَبْنِيَ وَتَغْرِسَ» (١: ١٠). هكذا يفعل الجيش المجتاح بعد أن يدمّر ويقتلع، يعود فيبني إذا أراد الإقامة أو السكان إذا أرادوا الحماية. فرضت هذه المهمة على النبي بأن يحارب الجميع. قال في ساعة إحباط وتعب: «وَيْلٌ لِي يَا أُمِّي لأَنَّكَ وَلَدْتَنِي إِنْسَانَ خِصَامٍ وَإِنْسَانَ نِزَاعٍ لِكُلِّ الأَرْضِ» (١٥: ١٠).

إخوته، أهل بيته خانوه (١٢: ٦) فعاش في العزلة، بعد أن حُرم من الأفراح التي يقدّمها الأصدقاء أو الجيران. «لَمْ أَجْلِسْ فِي مَحْفَلِ الْمَازِحِينَ مُبْتَهِجًا. مِنْ أَجْلِ يَدِكَ جَلَسْتُ وَحْدِي، لأَنَّكَ قَدْ مَلأْتَنِي غَضَبًا» (١٥: ١٧). عزلة مؤلمة، خصوصًا أن لا عزاء له بجانب امرأة تحبّه. فالرب فرض عليه العزوبيّة: «لاَ تَتَّخِذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةً، وَلاَ يَكُنْ لَكَ بَنُونَ وَلاَ بَنَاتٌ فِي هذَا الْمَوْضِعِ» (١٦: ١).

تصميم السفر ومضمونه

أ- النص الماسوري

هو النص العبري التقليدي كما خرج من يد العلماء في نهاية القرن العاشر المسيحي أو بداية القرن الحادي عشر (مخطوط في حلب سنة ٩٣٠ وآخر في بترسبورغ، روسيا سنة ١٠٠٩).

فبعد العنوان وخبر الدعوة (١: ١-٩) نقرأ: **«قولًا ضد إسرَايل ويهوذا»** (٢: ٦). لماذا إسرَايل، أي مملكة إسرَايل بعاصمتها السامرة، ثم يهوذا؟ لأنّ السامرة عرفت الخراب بيد الأشوريين سنة ٧٢٢/٧٢١ ق.م، فوجب على يهوذا أن تأخذ الدرس وتحذر من مصير يشابه مصير مملكة الشمال. فرغم كل شيء ورغم خيانة الشعب، ظل الرب أمينًا. قال الرب: «شَعْبِي عَمِلَ شَرَّيْنِ: تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ، لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ أَبْآرًا، أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً» (٢: ١٣).

وعلى أثر هذه الخيانة، أعلن الرب دينونته. العدوّ آتٍ من الشمال. هكذا كانوا يفكّرون: «كل خير أو شرّ يأتي من الرب». ولكن الأمور تغيّرت مع الرب يسوع المسيح لمّا تكلم على الأعمى منذ

www.christianlib.com

مولده (يو ٩: ٢).

وأطلّ قسمٌ ثانٍ: **أقوال إرميا وأعماله** (ف. ٧- ٢١). البداية مع الخطبة في الهيكل (٧: ١؛ ٨: ٣). قال له الرب: «قف في باب بيت الرب». ثم أعلن دينونة الله في جوّ حرب على الأصنام. قال الرسول إن من ذبح للأصنام ذبح للشياطين (١ كو ١٠: ٢٠). وهذه هي الطريق المعارضة للرب لأنّ إبليس يضع الحواجز بين الله وشعبه من خلال الأصنام التي تكاثرت وتكاثرت (إر ٨: ٤؛ ١٠: ٢٥).

ويلقي النبي خطابًا (ف. ١١) على الشعب الذي نقض العهد واعتبره غير موجود، كما فعل آباؤه مع العجل الذهبي في البرية. وما يتآمرون به على إرميا يعكس صورة بعيدة عن مؤامرتهم على الله. قال النبي: «وَأَنَا كَخَرُوفٍ دَاجِنٍ يُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَلَمْ أَعْلَمْ أَنَّهُمْ فَكَّرُوا عَلَيَّ أَفْكَارًا، قَائِلِينَ: «لِنُهْلِكِ الشَّجَرَةَ بِثَمَرِهَا، وَنَقْطَعْهُ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، فَلاَ يُذْكَرَ بَعْدُ اسْمُهُ» (١١: ١٩). ولماذا المؤامرة؟ لأنّ النبي لا يخضع لهم. قالوا له: «لاَ تَتَنَبَّأْ بِاسْمِ الرَّبِّ فَلاَ تَمُوتَ بِيَدِنَا» (١١: ٢١). كم نحن قريبون من كلام الرب يسوع: «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا» (مت ٢٣: ٣٧). وكما قال استفانوس قبل أن يرجمه اليهود: «يَا قُسَاةَ الرِّقَابِ، وَغَيْرَ الْمَخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ وَالآذَانِ! (بمعنى المقفلة). أَنْتُمْ دَائِمًا تُقَاوِمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ. كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذلِكَ أَنْتُمْ! أَيُّ الأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهِدْهُ آبَاؤُكُمْ؟» (أع ٧: ٥١- ٥٢).

في ١١: ١٨- ١٢: ٦ يشتكي إرميا، فيجيبه الله ويفهمه أن ما ينتظره أكثر ممّا عرفه حتى الآن. فيرى إرميا البلاد في حالة من الدمار والخراب (١٢: ٧- ١٧).

مع الفصل ١٣، تبدأ الفعلة الرمزية الأولى: منطقة كتان سوف تهترئ، تفسد. هكذا يكون الشعب. ممّا يأخذنا إلى ليتورجيا البكاء والحزن بسبب الجفاف (ف. ١٤): «نَاحَتْ يَهُوذَا وَأَبْوَابُهَا ذَبُلَتْ. حَزِنَتْ إِلَى الأَرْضِ وَصَعِدَ عَوِيلُ أُورُشَلِيمَ. وَأَشْرَافُهُمْ أَرْسَلُوا أَصَاغِرَهُمْ لِلْمَاءِ. أَتَوْا إِلَى الأَجْبَابِ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً. رَجَعُوا بِآنِيَتِهِمْ فَارِغَةً... الأَرْضَ قَدْ تَشَقَّقَتْ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَطَرٌ عَلَى الأَرْضِ» (١٤: ٢- ٤).

في ١٦: ١٠- ١٣، فعلة رمزية ثانية وهي عدم الزواج لئلّا يكون حظ أولاد النبي مثل أولئك الذين تسحقهم الحرب. ومن قلب الصلاة، بكى النبيُّ وصلّى. وانتهى الفصل ١٧ مع كلام عن السبت. وراح النبيّ إلى بيت الفخاري الذي يعمل في الخزف. وهناك كانت فعلة رمزية (ف. ١٩). يكسر النبي الإبريق (أو: الجرة) وهكذا يكسر الله الشعب. وفي ف. ٢١- ٢٣ كانت أقوال على الملوك والأنبياء. وجاءت نهاية هذا القسم (ف. ٢٤) مع رؤية سلّة التين. فيها الصالح وفيها الرديء، يُرمى الرديء فلا تبقى سوى مجموعة صغيرة.

وبعد فصل مِفصَل (ف. ٢٥)، نفتتح القسم البيوغرافي، وفيه يتكلّم إرميا على ما حصل له بعد خطبة الهيكل الثانية (ف. ٢٦)، أما الأولى فكانت في ٧: ١- ٨: ٣. أما هنا فجاء التهديد بالموت وصولًا إلى ما دُعي «آلام إرميا» وخلافاته مع صدقيا الملك وسقوط أورشليم وذهاب النبيّ إلى مصر. وفي ف. ٤٦- ٥١، نقرأ الأقوال على الأمم.

هذا التصميم يدلّ على أنّ السفر يتضمّن عدة وحدات كبيرة. فبعد المقدمة (التاريخ، الدعوة، الرؤى)، يتضمن ف. ٢- ٦ مجموعة أقوال شعرية تعلن مجيء العدوّ من الشمال، وتدعو السامعين إلى تبديل سلوكهم. والخطبة في الهيكل (ف. ٧) تفتح الباب أمام مجموعة تمتدّ حتى ف. ٢٤ حيث نجد الخطب والفعلات الرمزية. وكل هذا مع «بكاء» النبيّ لما ينتظر شعبه ومدينته. ورواية التين الصالح والتين الرديء تختتم هذا القسم بإعلان خلاص لمجموعة صغيرة وهم المسبيّون سنة ٥٩٧. أما ف. ٢٥ فهو يلعب دورين؛ يستعيد موضوع ف. ٧- ٢٤ وينفتح على نسخة ثانية للخطبة في الهيكل (ف. ٢٦). هي إعلانات خلاص تُشرف على هذه الفصول. فخاتمة ف. ٣٥ يمكن أن تُقابل مع ف. ٢٤. ومرة ثانية نحن أمام وعد لمجموعة صغيرة، الركابيين. وفي ف. ٣٦ وإحراق الدرج أو اللفيفة ندخل في جزء سردي (ف. ٣٧- ٤٤) ينتهي بإعلان خلاص موجّه إلى شخص هو باروخ.

ب- النص اليوناني

يبدو سفر إرميا في اليونانيّة في شكل مختلف عمّا هو في النص الماسوري. من جهة ترتيب مادة السفر بشكل مختلف. ومن جهة ثانية، جاءت اليونانية أقصر من العبرية بنسبة الثُّمن. مثلًا ينقص في اليوناني ما نقرأ في النص الماسوري ٣٣: ١٤- ٢٦؛ ٣٩: ٤- ١٣... ونحن لا نجد صفات الله، وخمسين مرة لا نقرأ: «ذلك ما قال الرب».

والاختلاف اللافت هو مكان «الأقوال على الأمم». في السبعينية اليونانية، تشكّل الفصول ٤٦- ٥١ الجزء الثاني من السفر، وهي رسمة توازي ما في إش ١- ٣٩، وسفر حزقيال إلى حدّ ما. وهكذا يظهر أن سفر إرميا اليوناني يعود إلى نصّ عبري مختلف. ونحن في مسيرة الفصول، سوف نضع رقمين: مثلًا ف. ٤٨ في الماسوري هو ٣١ في السبعينية. وبحسب العلماء، كان النص الأوّل موجزًا، وتوسّع فيه الناشر في الطبعة الماسوريّة.

مواضيع السفر ومراميه

أ- من الدينونة إلى الخلاص

حين نقول «دينونة» نفهم أنّ العقاب حلّ بالشعب من جرّاء

www.christianlib.com

الحرب، فأدانه الرب وعاقبه. وهكذا يدعونا النبيّ في جولة متشعبة منها: إعلانات الدينونة، أخبار على الدينونة التي تحقّقت، وأقوال تفسّر الخلاص الآتي، وأخبار حول حياة ممكنة في البلاد. ولكن ف. ٥٢ يعود إلى دمار أورشليم والمنفى البابلي بحيث يكون في توازٍ مع ٢ مل ٢٤– ٢٥. وهذه العودة تفهمنا أن نبوءة إرميا هي تفسير نبويّ للتاريخ الاشتراعي (التثنوي)، أي أسفار يشوع، القضاة، سفر صموئيل بجزئيه، سفر الملوك بجزئيه.

والثلثان من إعلانات الخلاص نجدهما بشكل خاص في ف. ٣٣– ٣٨. لهذا سُمّي ف. ٣٠– ٣١ «كتيّب التعزية»، فنجد هنا نداءً إلى مملكة الشمال التي تدمّرت بفعل الأشوريّين.

ب– لاهوت الصراع

طُرحت مسألة إعادة بناء الشعب فجاءت الأجوبة مختلفة. الفصل ٢٤ يرى الخلاص في الشتات البابلي. ويشجب صريحًا الجلاء (الذين في المنفى، ف. ٤٣– ٤٤) المصري. أما نصوص أخرى فتُبرز البركة على أرض يهوذا خلال السيطرة البابلية. وتعارض الأيديولوجية الاشتراعية (التثنوية) التي ترى أن «إسرَإيل الحقيقي منفيّ» في بابل. هاتان الرؤيتان تتجاوران في صراع داخل السفر، فتدلّان على انشداد في تحديد «إسرَإيل الحقيقي».

ج– النبي وسِفره

ما من سفر نبوي يهتمّ بشخص النبي كما يفعل سفر إرميا. فإنّ ف. ٣٧– ٤٢ ترسم بشكل مفصّل سيرة النبي، منذ حصار أورشليم حتى اختطاف النبيّ بيد اليهود الماضين إلى مصر على أثر مقتل الحاكم جدليًا. وهكذا سيكون سفر إرميا صورة مسبقة تُبنى عليها روايات الأنبياء الشعبيّة في اليهوديّة والمسيحيّة.

وسمة ثانية، أدخلت النصوص الشعرية النادبة في حياة النبي. في خدمته، خدمة الكلمة... دُعيت هذه النصوص «اعترافات» أو «مراثي»، ولعبت دورًا كبيرًا في تفسير وجه النبي. أما التأويل فقرأ هذه القصائد وكأنّها تقدّم سيرة النبي. ومع ذلك، نجد ما يوازيها في عدد من المزامير وفي سفر أيوب. مثلاً ٢٠: ٧– ١٨ يقابل أي ٣: ١– ٢٦. مثل هذه النصوص التي جمعت في الحقبة الفارسيّة، فسّرت مصير النبيّ على أنه مصير البار المتألّم وصولاً إلى يسوع المسيح.

غير أن الاهتمام بشخص النبيّ يترافق مع نصوص تشدّد على ضرورة السفر كتأمّل بين الكلمة النبويّة والقرّاء. مثلاً في خبر الدرج الذي أحرقه الملك صدقيا (ف. ٣٦)، تصل الأقوال لا بصوت النبي، بل بواسطة الدرج. ثم أن إرميا غائب عن القسم الأكبر من الخبر. ما إن أملى السفر على باروخ الكاتب، حتّى مُنع من الذهاب إلى الهيكل واختفى. ونهاية الخبر تُعنى أولاً، لا بمصير إرميا، بل بتدوين السفر. وامّحاء النبيّ هذا أمام السفر، يعكس منذ الآن الفكرة أن الحقبة الفارسيّة دلّت على نهاية النبوءة في الشعب. وهكذا كان العبور النهائي من النبوءة الشفهيّة إلى التعليم المكتوب.

د– الرسالة اللاهوتية والروحية

اختلف إرميا عن حزقيال؛ فما امتلك مزاج اللاهوتي، ومع ذلك يُبنى عرضٌ ممنهج بفكره اللاهوتي، انطلاقًا من أقواله النبويّة. هو فكر تقليدي مع رافد جوهري ينبع من حياته الباطنيّة.

الله وعدله. هو الخالق الذي يعتني بالبشر ولاسيما بالمؤمنين: «أَنَا صَنَعْتُ الأَرْضَ وَالإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ الَّذِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، بِقُوَّتِي الْعَظِيمَةِ وَبِذِرَاعِي الْمَمْدُودَةِ، وَأَعْطَيْتُهَا لِمَنْ حَسُنَ فِي عَيْنَيَّ» (٢٧: ٥). وهو الذي «الْجَاعِلُ الشَّمْسَ لِلإِضَاءَةِ نَهَارًا، وَفَرَائِضَ الْقَمَرِ وَالنُّجُومِ لِلإِضَاءَةِ لَيْلاً، الزَّاجِرُ الْبَحْرَ حِينَ تَعِجُّ أَمْوَاجُهُ» (٣١: ٣٥). لا قوّة تحرّك شرائع (ع. ٣٦). وهو من يرسل المطر (١٤: ٢٢) ويشرف على هجرة الطيور (٨: ٧).

وكما هو سيِّد الخليقة هو سيّد التاريخ، فيتصرّف كما يشاء بالدول والملوك. تارةً يرفعهم وطورًا يخضعهم، تارةً ليقلع ويهدم وطورًا ليغرس ويبني. نحن نظن أن السياسة هي التي توجه الأمور، والمال والقوة. هذا ما نرى على سطحيّة الأحداث. أما في العمق، فالله هو الفاعل الأول. وقال الرب: «سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يو ١٦: ٣٣).

أما حياة الإنسان الحميمة فمعروفة لدى الله «وَأَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَنِي. رَأَيْتَنِي وَاخْتَبَرْتَ قَلْبِي مِنْ جِهَتِكَ» (إر ١٢: ٣). وقال الرب إنه فاحص الكلى والقلوب (١٧: ١٠). وهذا يعني أن لا حدود لولوج الله إلى قلب الإنسان. والخفي الخفي لا يفلت من نظره.

الله وشعبه الخاطئ. تُقاس خطيئة الشعب بالنسبة إلى الطابع الاستثنائي للتميّزات التي نالها: أحببتك حبًّا أبويًّا (٣١: ٣). وإذ أراد إرميا أن يتحدّث على قوّة هذا الحب، لجأ إلى التشبيه. الرب هو أبو شعبه (٣١: ٢٠). هو أبو (مملكة) إسرَإيل وأفرايم بكره (٣١: ٩). وتصوَّر علاقة الله مع شعبه كعلاقة العريس والعروس. ففي خط النبيّ هوشع يتذكر الأيام السعيدة في البرية؛ أمانتك حين كنت صبيّة حين كنت تسيرين ورائي. هي حياة حميمة بين الله وأمّته. هي تلتصق به كما الحزام بجسم الإنسان.

ولكن بعد أن نال الشعب كل هذه الخيرات، خان العهد، كما تخون المرأةُ زوجَها (٣: ٢٠). ولهذا تركها. قلبٌ عنيد، أذنان مغلقتان، عيون عمياء. قال: «هل يغيّر الكوشي (ابن السودان والحبشة) جلده أو النمر رقطه؟» إن حصل ذلك «فأنتم أيضًا تقدرون أن تصنعوا خيرًا، أيّها المتعلّمون الشر» (١٣: ٢٣).

غير أن مخطط الله لم يكن تدمير شعبه، بل أن يجعله يكفِّر عن

www.christianlib.com

ذنبه ويكون طاهرًا أمامه. «وَأُطَهِّرُهُمْ مِنْ كُلِّ إِثْمِهِمِ الَّذِي أَخْطَأُوا بِهِ إِلَيَّ، وَأَغْفِرُ كُلَّ ذُنُوبِهِمِ الَّتِي أَخْطَأُوا بِهَا إِلَيَّ...» (٣٣: ٨). نلاحظ لفظ «كل» فالرب لا يقدّم نصف غفران، بل غفرانًا كاملًا كما قال إشعياء النبي: «إن كانت خطاياكم كالقرمز، تبيضّ كالثلج، وإن كانت حمراء كالدودي (أو: الأرجوان) تصير كالصوف (إش ١: ١٨). وقال الرب في إرميا: بعد سبعين سنة من التكفير، يبدّل الله مصير يهوذا (المحتلّة) ومصير (مملكة) إسرَائيل. أجمعُكم من كل الأمم ومن كل الأماكن.

وهذه العودة تفتح سنوات من الازدهار والفرح والسلام. «يأتون ويرنّمون على جبل صهيون ويجرون إلى جود (خيرات) الرب على الحنطة وعلى الخمر وعلى الزيت... وتكون نفسهم كجنّة ريّا...» (٣١: ١٢). وفي ع. ٢٥: «أروي النفس العطشى، التعبة».

والمجازاة تكون فرديّة. في الماضي، كان الفرد جزءًا من الجماعة. إن خطأ واحد تأثّرت الجماعة كلّها، كما حصل بعد خطيئة عاخان (يش ٧). أما الآن، فكل واحد مسؤول عن خطيئته كما عن عمله الصالح. «في ذلك اليوم لا يقولون بعد: الآباء أكلوا الحصرم وأسنان البنين ضرست، بل كل واحد يموت بذنبه. وكل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه» (٣١: ٢٩– ٣٠). وسوف يتوسّع النبي حزقيال في هذا الموضوع فيبيّن أن لا دخل في ما يعمل الأب. قد يكون بارًا وابنه خاطئًا، أو قد يكون خاطئًا ويكون ابنه بارًا.

الخاتمة

وهكذا غاب إرميا في رمال مصر بعد أن ابتعد عن الأرض التي أحبّها. خارجيًا: حياته فشلٌ ورسالته فشل. وما أراد أن يخلّصه ضاع ضياعًا في كارثة بدت مدمّرة لكل الرؤى المستقبليّة. ولكن مثل هذا الفشل صار خصبًا. مثل خصب يسوع على الصليب. قيل: انتهى كل شيء. بل بدأ كلّ شيء. قال الرب يسوع: «وأنا متى ارتفعت جذبتُ إليّ كل أحد». وكان تأثير إرميا كبيرًا بعد موته على حزقيال والمراثي وسفر باروخ. والأناجيل رأت في عمل يسوع وخصوصًا في العشاء الربّاني إرميا مع العهد الجديد الأبدي. عندئذ يكون لنا غفران الخطايا والحياة الأبديّة المعفاة من كل ألم وحزن، بل من الموت.

البنية الأدبية

١: ١–١٩ دعوة إرميا ونداء الربّ له
٢: ١– ٣٧ الشعب يترك الربّ
٣: ١– ٢٥ خيانة إسرَائيل
٤: ١– ٣١ الجيش الآتي من الشمال
٥: ١– ٣١ إعلان الحكم على يهوذا
٦: ١ – ٣٠ أورشليم تحت الحصار
٧: ١ – ٣٤ على باب الهيكل
٨: ١– ٢٢ بين كلام الله وكلام البشر
٩: ١– ٢٥ الفصل التاسع
١٠: ١– ٢٥ الحكم على الوثنية
١١: ١– ٢٣ التذكير بالعهد
١٢: ١– ١٧ شكوى إرميا وجواب الله
١٣: ١– ٢٧ الربُّ يرذل شعبه
١٤: ١– ٢٢ الجفاف وما يتبعه من صلاة
١٥: ١– ٢١ تركت أورشليم الربّ فتركها
١٦: ١– ٢١ الرجاء من قلب العقاب
١٧: ١– ٢٧ خطايا شعب يهوذا
١٨: ١ – ٢٣ في بيت الفخاري
١٩: ١– ١٥ إبريق الفخاري
٢٠: ١ – ١٨ وجاء ملك بابل
٢١: ١– ١٤ ملوك يهوذا، صدقيا
٢٢: ١– ٣٠ دينونة الملك الشرير
٢٣: ١– ٤٠ كتاب على الأنبياء
٢٤: ١– ١٠ سلّتا التين
٢٥: ١– ٣٨ سبعون عامًا في السبي
٢٧: ١– ٢٢ خضوع يهوذا لنبوخذنصر
٢٨: ١– ١٧ حننيّا النبيّ الكذّاب
٢٩: ١– ٣٢ رسالة إلى أوّل المنفيّين
٣٠: ١– ٢٤ إعادة بناء الشعب
٣١: ١– ٤٠ الوعد بالسعادة
٣٢: ١– ٤٤ إرميا يشتري حقلًا
٣٣: ١– ٢٦ الوعد بالعودة والبناء
٣٤: ١– ٢٢ صدقيا وعظماء المملكة
٣٥: ١– ١٩ أمانة الركابيين
٣٦: ١– ٣١ درج إرميا
٣٧: ١– ٢١ إرميا في السجن
٣٨: ١– ٢٨ إرميا في الجب
٣٩: ١– ١٨ سقوط أورشليم
٤٠: ١– ١٦ إرميا وجدليا
٤١: ١– ١٨ اغتيال جدليا والهروب إلى مصر
٤٢: ١– ٢٢ واستشاروا الرب
٤٣: ١– ١٣ ولكنّهم لم يسمعوا له
٤٤: ١– ٣٠ الهلاك بسبب عبادة الأصنام
٤٥: ١– ٥ خلاص باروخ

www.christianlib.com

٤٦: ١– ٢٨ كلام الربّ على مصر
٤٧: ١– ٧ نبوءة على الفلسطيين
٤٨: ١– ٤٧ على موآب
٤٩: ١– ٣٩ نبوءات متعدّدة
٥٠: ١– ٤٦ سقوط بابل وتحرّر إسرَإيل
٥١: ١– ٦٤ عقاب بابل
٥٢: ١– ٣٤ سقوط أورشليم

أما التفسير الذي نقدمه، فيرد في ثلاثة أقسام: الأول، يكون المقدّمة، الثاني: تفسير النصّ الكتابي، الثالث: الخلاصة.

التفسير

١: ١– ١٩ دعوة إرميا ونداء الربّ له

١– المقدّمة

بعد العنوان الذي يحدّد هوية النبي والزمان الذي عاش فيه، يطلّ زمن الملوك، الذين سوف نتحدّث عنهم: يوشيا، يهوياقيم (أو: يوياقيم)، صدقيا. والنهاية، ذهاب الشعب إلى المنفى البابلي.

دعوة إرميا تشبه دعوة موسى وصموئيل وهوشع وعاموس. هي «هجمة» الربّ في حياة النبي بحيث لا يستطيع أن يقاوم. ومهمة النبي أن يهجّي مشروع الله على شعبه في الأحداث المباشرة. مثل هذه المهمة تتجاوز قوة النبي، ولكن قوة الله تفعل فيه بالرغم من مقاومة الشعب وحكّامه.

في ع. ١– ٣ نقرأ العنوان الذي يحاول أن يضع أكثر مادة ممكنة لحمل كلمة النبي، امتدت ستين سنة (٦٢٧– ٥٨٧ ق.م).

أما ع. ٤ – ١٩ فتتضمّن أولًا خبر دعوة إرميا (ع. ٤– ١٠)، ثانيًا، الإشارة إلى أمرين رمزيين يترافقان مع الشرح (ع. ١١– ١٦). ثالثًا، كلام يوجّهه الرب إلى نبيّه، فيحثّه على الانطلاق بحيث لا يخاف أحدًا.

٢ – تفسير النص الكتابي

١: ١– ٣ عنوان السفر

أ– ١– كلام. وبالأحرى كلمات. وهي لا تعلن فقط ما قاله إرميا بفمه، بل بعض نبوءات حول حياته وتاريخ زمانه الذي تضمّه إليها مهمته ضمًّا وثيقًا. ونستطيع أن نقول: أعمال، أخبار، فعلات وغيرها. إرميا أو «يرمياهو»، الرب يطلق، يحرّر من حشا أمّه. الربّ يرفع. هناك سمّي (أو: يحمل ذات الاسم) هذا النبي في موضعين من نبوءته: «فأخذتُ يازنيا بن إرميا» (٣٥: ٣). ثمّ اسم أمّ صدقيا هي «حميطل بنت إرميا من لبنة» (٥٢: ١). **حلقيا** أي «الرب نصيبي» (ح ل ق). من **الكهنة الذين في عناثوث**. فنذكر هنا أن أماكن عديدة في أرض الرب خدمها كهنة، وهم ما اجتمعوا في أورشليم إلّا في عهد يوشيّا. **عناثوث** هي عناتا حيث كشفت بعضُ الآثار، وهي تبعد ٥ كم إلى الشمال الشرقيّ من أورشليم. إلى هناك نُفي أبياثار (١ مل ٢: ٢٦– ٢٧). وقد يكون إرميا من نسله.

أ– ٢– كانت كلمة الرب إليه. هي رسالة تنطلق من الله إلى النبيّ بانتظار أن تضحي شخصًا، هي الكلمة الإلهية كما نقرأ في يو ١: ١: «في البدء كان الكلمة». في **أيام يوشيا** را. ٣: ٦؛ ٣٦: ٢، صف ١: ١. يوشيا (را. ٢٢: ١٥– ١٦) كان ملكًا سنة ٦٥٠– ٦٠٩ (٢ مل ١٠– ١٢، ٢٣: ٣٠– ٣٤). تُذكر السنة الثالثة عشرة من ملكه في ٢٥: ٣، وهذا يعني سنة ٦٢٧. سوف يكون لنا كلام على علاقة إرميا بيوشيا، بالنسبة للإصلاح الذي قام به هذا الأخير. يوشيا هو **ابن أمون** أو «الأمين». ابن منسّى، الملك الخامس عشر من سلالة يهوذا (٦٤٢– ٦٤٠). هو «الأمين». ولكنّه لم يكن أمينًا. لهذا قُتل بيد عبيده (٢ مل ٢١: ١٨– ٢٤). وهكذا نفهم أن يوشيا اعتلى العرش في سن مبكرة.

أ– ٣– وكانت في أيام يهوياقيم أو يوياقيم. هو الخلف الثاني ليوشيا (٦٠٩– ٥٩٧). المعنى: الرب أقامه. أما الخلف الأول ليوشيا فهو يهوأحاز (٢ مل ٢٣: ٣١) الذي لم يَدُمْ ملكه سوى ثلاثة أشهر. **والسنة الحادية عشرة لصدقيا** هي سنة ٥٨٧. **في الشهر الخامس.** را. ٥٢: ١٢؛ ٢ مل ٢٥: ٨. فمع ملك يهوياقيم واعتلاء **صدقيا** العرش خلفَ ابن أخيه كنياهو (٣٧: ١). أو يكنيا أو يهوياكين الذي ملك فقط من ١٥ كانون الأول ٥٩٨ إلى ١٦ آذار ٥٩٧ (٢ مل ٢٤: ٦– ١٧)، ومضى إلى المنفى البابلي (٢٢: ٢٤؛ ٣٠: ٥٢؛ ٣١– ٣٤). أما صدقيا، وخلال إحدى عشرة سنة من حكمه (آذار ٥٩٧ – تموز ٥٨٧، را. ٢ مل ٢٤: ١٧– ٢٥: ٧) فلم يسمع للنبي، وما كان أفضل من يوياقيم (٣٧: ٢). ولكنّه كان يستشيره طوعًا لأنّه كان محتاجًا أن يستند إليه. وكان يدافع عنه حين يقدر على ذلك (٢١: ١– ١٠؛ ف. ٣٧– ٣٨). أما ع. ٣ فقد جُعلت هنا لتغطي مجمل رسالة إرميا.

١: ٤– ١٩ دعوة النبي

أولًا: خبر دعوة إرميا (ع. ٤– ١٠).

ع. ٤: كانت كلمة الرب إليّ. را. ١٣: ١٣ ولائحة الذين يتكلّم إليهم الرب.

ع. ٥ قبلما صوّرتك في البطن أو جبلتك في بطن أمّك. را. أي ١٠: ٨– ١٢؛ مز ١٣٩: ١٤– ١٥. **عرفتك** أي ميّزتُك فرزتُك، اخترتُك. را. تك ١٨: ١٩؛ هو ١٣: ٥؛ عا ٣: ٢. **قبلما خرجت من**

www.christianlib.com

الرحم. نلاحظ هنا الطريقة الشعرية والتوازي **قدستك**، أي جعلتك جانبًا لتكون لي. را. إش ٤٩: ٥١؛ غل ١: ٥. **جعلتك نبيًا للشعوب** (ع. ١٠) را. إش ٤٢: ١؛ ٤٩: ٦، غل ١: ١٦. في الواقع يتضمن إرميا في ستة فصول أقوالًا على الشعوب.

فخالق الجميع (١٩: ١٦؛ ٥١: ١٩) الذي جبل الإنسان الأول ونفخ فيه نسمة الحياة (تك ٢: ٧)، يجبل كل إنسان منذ الحبل به (١٨: ٦؛ مز ٣٣: ١٥؛ ١٠٤: ٣٠... وما يليه). هو عمل حكمة وحبّ من ذاك الذي سبق فعرف أولئك الذين دعاهم إلى الوجود، وهو يدعوهم إلى معرفة متبادلة، إلى حياته الحميمة (رو ٨: ٢٩). وهذا يتحقّق بشكل خاص جدًا لأولئك الذين (أفرادًا وجماعات) يطلب منهم أن يلعبوا دورًا هامًا في تتمّة قصده تجاه البشر.

هو محفوظ للرب، ولا يمسّه أحد (٢: ٣؛ ١٢: ٣؛ را. ٢٠: ٢٦). هذا يفترض معرفة الرب معرفة عميقة، معرفة فكره. لقد تكرّس إرميا للرب قبل أن يولد مثل شمشون (قض ١٣: ٥) ويوحنا المعمدان (لو ١: ١٥) وبولس الرسول (غل ١: ١٥). وكما يكون الملك على العرش، كذلك يتولّى النبيّ وظيفته (لو ٣: ٢٢) ويعرف ما تكون رسالته (ع. ٩، ١٠).

ع. ٦: فقلت آه، يا سيّد الرب. اعترض إرميا. هو لم يصل إلى العمر المطلوب (٣٠ سنة. را. لو ٣: ٢٣) ليشارك مشاركة ناشطة في الحياة العامّة (١ مل ٣: ٧؛ أي ٣٢: ٤- ٦). هو لا يقول كما قال موسى: ليس الكلام سهلًا عليَّ. مثل هذا الاعتراض لا يقف عائقًا أمام الله وهو القادر أن يعطي سهولة الكلام لمن يشاء (خر ٤: ١١- ١٢؛ ١ صم ٣: ١٨، ٢٠). وهكذا بدا إرميا مختلفًا عن إشعياء: «هأنذا فأرسلني» (إش ٦: ٨). هي مهمّة ثقيلة تنتظر إرميا وساعات من الضيق والعمل (١٢: ١- ٤؛ ١٥: ١٠- ١٨؛ ٢٠: ١٤- ١٨). ولكنّ حماية الله لا تتخلّى عنه: **أنا معك لأنقذك** (ع. ٨).

ع. ٧: إلى كل من أرسلك. ونستطيع أن نقول مع الشعبية اللاتينية: «مهما تكن المهمة التي أوكلك بها». أو: على ما أرسلك فيه من مهمّة.

ع. ٨: لا تخف من وجوههم. أو: لا تخف من مواجهتهم، من الوقوف في وجههم. را. حز ٢: ٦؛ ٣: ٩. **لأني أنا معك لأنقذك**. حين يكلّف الله إنسانًا بمهمّة، يؤكّد له حضوره ويكون معه «عمانوئيل» را. تك ٢٦: ٢٤؛ قض ٦: ١٢؛ إش ٧: ١٤... وما يليه. ففي نظر إرميا، الله هو السيد القدير في الكون وسيّد كل عنصر من عناصره (١١: ٣٥). كما هو سيّد التاريخ (ع. ١٠، ١٨: ٧- ١٠) وسيّد كل إنسان.

ع. ٩: ومدّ الربّ يده ولمس فمي. في إش ٦: ٦- ٧ هو أحد السرافيم الذي لمس شفة النبي. في حز ٢: ٨- ٩؛ ٣: ١- ٣، سنجد صورة أقوى: جعله الرب يأكل الدرج الذي يتضمّن البلاغ. **جعلتُ كلامي في فمك**. را. تك ١٨: ١٨؛ إش ٥١: ١٦. هذه الفعلة، لمسة الفم، هي عنصر من إجلاس النبيّ على عرش النبوّة. فكأنه خلق له فمه من جديد فيعطيه قوة الكلمة. منذ الآن، صار إرميا قادرًا أن ينقل كلمات الله بالذات (٥: ١٤؛ ١٦: ١٩؛ را. خر ٤: ١٢، ١٥). وما تسلّم النبيّ دفعة واحدة مضمون كل ما يقوله باسم الله (ف. ٢٨) ولكنّه تلقّى نباهة خاصة ليخدم كلمة الله.

ع. ١٠: وكلتك على الشعوب وعلى الممالك. أقوى من: أقيمك. فالنبي هو وكيل من لدن الله، والوكيل هو مَن يكون أمينًا ليقول ما قال له الربّ. هنا يبدو بولس الرسول قريبًا من إرميا، قال: «فَلْيَحْسِبْنَا الإِنْسَانُ كَخُدَّامِ الْمَسِيحِ، وَوُكَلاَءَ سَرَائِرِ اللهِ» (١ كو ٤: ١). وتكلّم بطرس على «الوكلاء الصالحين على نعمة الله» (١ بط ٤: ١٠) **على الشعوب وعلى الممالك**. أُرسل إرميا بشكل خاص إلى يهوذا وأورشليم. ولكن سيكون أكثر من بلاغ للأمم. ونحن لا ننسى أن يهوذا أمّة (٥: ٩- ٢٠) وهي مملكة. **لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس**. ستة أفعال تقدّم وجهتَي رسالة إرميا. وهي ستعود في ٣١: ٢٨... فإن الكلمة النبوية تعلن هذه الأحداث وتدعوها لكي تتحقّق، لأنّ قوة النبي من قوة الله. فعلان فقط يتحدثان عن البناء والغرس، وأربعة تتحدث عن القلع والهدم. وهكذا ستكون الحالة في أيام إرميا. ونحن سوف ننتظر عمليّة البناء في ف. ٣٠- ٣٣.

ثانيًا: رؤيتان مع الشرح (ع. ١١- ١٦)

انطلق الله ممّا يراه إرميا لينيره على حضوره الفاعل. نحن هنا أمام رؤيا تتجاوز الطبيعة البشريّة. وهكذا رأى النبيّ ما لا يراه الناس.

ع. ١١، الرؤيا الأولى: قضيب لوز. هو الساهر. سيمضي قبل الآخرين. واللوز يزهّر قبل باقي الأشجار. هو صورة عن الله الساهر، وكل ما قاله سوف يتمّ (٢٣: ٢٩؛ ٤٤: ٢٩... وما يليه). هذا معنى **أنا ساهر على كلمتي لأجريها** (ع. ١٢، لكي أنفّذها).

ع. ١٣: قدر منفوخة. هي الرؤيا الثانية. هي تغلي. راجع غليان الجيوش وما يمكن أن تحمل من خراب. ومن أين يأتي هذا الخراب؟ **من جهة الشمال** (٦: ١). فمن الشمال يأتي المجتاحون من الأشوريين إلى البابليين بانتظار الفرس. وهنا، هي إشارة إلى نبوخذنصر (ع. ١٤) مع **الشر على كل سكان الأرض** (ع. ١٤). ويأتي ع. ١٥ مثل تعليق: **من الشمال أدعو ممالك الشمال. كرسيه** هو الملك وهو القاضي. ينفذان أحكام الله، سيّد التاريخ. يكونان **في مدخل أبواب أورشليم**. فهناك تتمّ العدالة، وهناك يكافئ الملك أو يعاقب من يستحق المكافأة أو العقاب.

ع. ١٦: وأقيم دعواي (٤: ١٢؛ ٣٩: ٥... وما يليه). أو أحكامي. **على كل شرّهم**: هي الأصنام. وحين يلتفت المؤمن إلى الأصنام يقول الرب: **تركوني**. ونتذكر أن البخور يقدَّم للآلهة. إمّا

www.christianlib.com

أن يُقدّم للأصنام، وإمّا أن يقدّم للملوك كما طلبت السلطة الرومانيّة من المسيحيّين، فهذه خطيئة كبيرة. لهذا رفض المسيحيّون هذه «العبادة» وفضّلوا الموت على مجاراة الوثنيّين، فقيل فيهم: يجب أن يموتوا.

اقتدى إرميا بهوشع فندّد بهذه الممارسة الوثنية ثماني عشرة مرة ومنها ثمانٍ في ف. ٤٤.

١: ١٧– ١٩ الرب يحضّ نبيه

وأما أنت. يتوجّه الرب إلى النبي وكأنّه وحده معه. **فنَطِّق** (أو: شدّ) **حقويك،** واستعدّ للانطلاق أو للعمل. هكذا كانوا يرفعون الثوب الطويل الواصل إلى الأرض. **وقم.** قف. وافعل. بدا النبي كأنّه «ميت» أو «متعب». قم إلى العمل. **وكلّمهم بكل ما أقول لك.** نلاحظ لفظ «كلّ». النبي لا يختار ما يقول، فيخفّف من كلام الله، ويخبّئ كلمة ويبيّن كلمة. هناك كلام يكلّف النبي غاليًا، كما كان الأمر بالنسبة ليوحنّا المعمدان (مر ٦: ١٤) أو ميخا بن يملة (١ مل ٢٢) وعاموس (عا ٧: ١٠ ي) وغيرهم. **لا ترتع** أو: لا ترتعب ولا تخف، الخوف ممنوع. وقال الرب لنبيّه: إن أنتَ خفتَ منهم فأنا سأخيفك. **لئلا أرعبك** (أجعلك تخاف) **أمامهم.** أجل، يتخلّى الرب عن الذين يفقدون ثقتهم فيه (إش ٧: ٩؛ مت ١٣: ٢٥). فالإيمان المتين يولّد الثقة الكبيرة (أع ٤: ١٣).

ع. ١٨: النبي حصن منيع في وجه الملك... وأخيرًا **شعب الأرض** هم المؤمنون الذين يحق لهم التدخل في أمور البلاد، ويحملون السلاح إذا دعت الحاجة للدفاع عن الحدود.

ع. ١٩: كلهم لا يقدرون عليك. السبب؟ **لأنّي أنا معك.** ذاك ما قاله الرب في ع. ٨، وها هو يكرّره، بحسب كلام المزمور: معونتنا باسم الرب صانع السماوات والأرض. أو كما يقول الرسول: «أنا قوّتي بالذي يقوّيني».

٣– الخلاصة

مهمّة شاقة تُقدَّم لإرميا، ورسالة طويلة. فعليه أن يكلّم الملك والرؤساء وشعب الأرض. ولكنه لم يبلغ سن الثلاثين. وهو السن الذي ينطلق فيه اللاوي ليحمل كلمة الله. لهذا أراد أن يتهرّب، وقد يكون هناك بعض الخوف من المهمّة الملقاة على عاتقه.

وما نلاحظه بشكل خاص هذا التفاعل بين الأنبياء. استلهم إرميا النبي هوشع، وكان تأثيره كبيرًا على حزقيال، ولاسيما في ما يتعلق بالمسؤوليّة الفرديّة. وما نحسّ به منذ البداية هو أنّ الربّ حاضر بقرب هذا النبي، فيجعله حصنًا حصينًا، لا بالحجارة وحسب، بل بالحديد والنحاس. وها هو النبي يستعدّ للانطلاق في مسيرة ستمتدّ عشرات السنين، فيكون له التلاميذ العديدون، لاسيّما الذين دوّنوا مزامير التوكّل والتشكّي إلى الله. هو سبقهم وبكى على الحالة التي وصل إليها شعبه، والمزامير قالت: أين أنت يا ربّ لا تمشي معنا. ولكن الرب حاضر في حياة كلّ منّا. إنّما نحن نكون غائبين. ننظر إلى أصنامنا من حبّ التسلّط والمال والعنف، هذا عدا نزواتنا، فنصبح عبيدًا لها. فلا يبقى لنا سوى أن نقول: «أَرِنَا يَا رَبُّ رَحْمَتَكَ، وَأَعْطِنَا خَلاَصَكَ» (مز ٨٥: ٧).

٢: ١– ٣٧ الشعب يترك الربّ

١ – المقدمة

نبدأ هنا الأقوال على يهوذا وأورشليم. ويمتدّ هذا القسم حتى الفصل السادس. والبداية: في زمن الملك يوشيا. هو حب إله العهد الذي خاب أمله. وهكذا نقرأ في ٢: ١– ٣٧ سلسلة من الأقوال النبويّة مكتوبة بلغة شعريّة ومصوّرة: قدّم الرب حبّه وحمايته فوجد نفسه متروكًا من شعبه الذي اختار أن يتبع الكذب المطلق: عبادة الأوثان وكلّ أنواع الفساد، الجور والظلم. وأخيرًا التعاهد مع القوى الكبرى، في الشمال (أشور، بابل) وفي الجنوب (مصر) عدا هذه الدويلات المحيطة بمملكة يهوذا.

هذه القصائد التي نقرأها هنا سبقت إصلاح يوشيا. وأين تبدأ المسيرة؟ منذ الخروج من مصر. اختار الله شعبه كما الأب ابنه البكر، أي باكورة الشعوب لكي يقيم معه عهدًا في البريّة. فمنذ هوشع (ف. ١– ١٣)، يُمثَّل العهدُ مرارًا بصورة الزواج. نحن هنا في المحكمة حيث الله خصم شعبه، وذاك ما نقرأه في القسم الثاني من إشعياء (ف. ٤٠– ٥٥).

بعد استذكار نشيد أزمنة البرية (ع. ٢– ٣)، يشتكي الرب تارة بحنان وطورًا بقساوة، من بيت يعقوب. أي مملكة يهوذا التي تمثّلها أورشليم، في قصيدة تعود إلى أوّل زمن السبي (سنة ٦٢٢). ونلاحظ أن ع. ١٤– ١٧ تعود إلى حقبة السلطة المصرية على فلسطين وعلى الممالك المجاورة. وهكذا نفهم مناخ العنف والظلم الذي تشير إليه هذه الآيات.

٢– تفسير النص الكتابي

٢: ١– ٣ ربّ البرية والحبّ الأوّل

كلمة الرب. أرسلها الرب فوصلت إلى النبي، ولا حاجة إلى ملاك لكي يحملها.

اذهب وناد. هو الرب يرسل نبيّه مع فعل واحد: أن ينادي، أن يصرخ في الساحة. في **أذنَي أورشليم.** صارت أورشليم شخصًا حيًّا تستطيع أن تسمع. ومن خلال المدينة، هو الشعب يسمع مع الملوك والعظماء والكهنة أو لا. **ذكرتُ تعب غيرة صباك** أو أمانة صباك.

www.christianlib.com

حين كنت صبية، كنت متعلقة بي كما العروس تتعلّق بعريسها **ومَحبّة خطبتك**. حين كنت مخطوبة لي أظهرت من المحبة التي لم تعد تظهر الآن. كنت **في البرية** حيث اعتبرت أن الله هو القوي. أما في الأرض المزروعة، فبعل هو الأقوى: يرسل المطر والخصب في الزرع. ثم تكثر القطعان بفعل بعل، السيّد. **في أرض غير مزروعة**. البرية لا تُزرع وبالتالي لا تحتاج إلى بعل الذي عبده الخارجون من مصر بشكل عجل مطليّ بالذهب (خر ٣٢). ثم **ذهابك ورائي**. أنقول: مثل الراعي الذي تتبعه خرافه؟. أو هل كانت عادة بأن تسير العروس وراء عريسها. هو زمن الخطبة، والخطيب والخطيبة يمشيان معًا؟.

شابه إرميا النبي هوشع (هو ٢: ١٦– ٢٢)، فاعتبر زمن البرية زمن العجائب التي أتمّها الله، ونسي الاحتجاجات والتمرّدات (خر ٢٠: ١٣؛ مز ٧٨: ٤٠؛ ٩٥: ١٠؛ ١٠٦: ١٤). فهو لا يفكّر إلّا بأمانة العروس لأتّباع من يقودها في هذه الأرض القاحلة، التي لا زرع فيها. في هذا الإطار الصحراوي، فَرَضَ الحضورُ الإلهي نفسه بقوّة، وكانت شعائر العبادة بعيدة عن كلّ أبّهة كما سوف يرى العبرانيون مع عبادة البعل في أرض فلسطين (٧: ٢٢؛ ي ٥: ٢٥). هي ديانة نقيّة تجاه خيانات ستفرض حالها يومًا بعد يوم منذ بداية الإقامة في كنعان.

ع. ٣: إسرَإيل قدس للرب أو غرض مقدس، مكرّس، فلا يُسمَح له بوجود ما ينجّس هذا الشعب ويدنّسه. شعب هو للرب الذي هو الإله الغيور الذي لا يسمح أن يزاحمه إله أو «بشر». وهو وحده يتصرّف بهذا **القدس أوائل غلته**. نحن نعرف أن باكورة الشجر هي للرب. إذا كان صاحب الأرض لا يستأثر بها، فلا يُسمح للغرباء ولا لعبّاد الآلهة بالاقتراب منها. وإلا **كلّ آكليه يأثمون**. من يأكل من هذه الباكورة يخطأ وعليه أن يكفّر. وإلا **شرّ يأتي عليهم**، أو شقاء. وأي شقاء أسوأ من الحرب.

٢: ٤– ١٣ قول نبويّ أوّل: تركوا ينبوع الماء الحيّ هو يفتتح الطريق لاتهامات إسرَإيل، العروس الآثمة حين تركت ذاك الذي كان بكليّته لها (ع. ٢– ٣). هو الذي كان لها ينبوع ماء حيّ (ع. ١٣) تجاه السراب (ع. ١٨). فبدأ الرب يثبت أن ليس هو (ع. ٨) بل هم (ع. ٦– ٨) الذين خطئوا. ثم توسّع في مرافعته (ع. ٩). هي براهين بشكل مقابلات ساحقة لإسرَإيل (ع. ١٠– ١٣) حيث العقاب (راجع القول التالي) لا يكون سوى نتيجة جحوده وإنكاره لله (ع. ١٧– ١٩). حقًا هذا الشعب عاد إلى الوراء (ع. ١٨). وتذكّر بصل مصر وبطيخها. وكما انتظره الموت في البريّة، ينتظره هنا بفعل الجيوش الآتية من الشمال.

ع. ٤: يا بيت يعقوب، يا بيت إسرَإيل. نحن هنا في مملكة يهوذا. هما مترادفان وسوف يكون كلام على مملكة الشمال في ٣: ٦.

ع. ٥: ماذا وجد فيّ آباؤكم من جور. من نسي العدالة؟ الله أم الشعب؟ **ابتعَدوا عنّي**. في مكان آخر: **تركوني وساروا وراء الباطل**، عبدوا ما لا فائدة فيه. وهنا دلالة على الأوثان. هي نفخة، لا شيء، عدم. هنا صيغة الفرد. وتكون في صيغة الجمع (١٤: ٢٢) وهناك «أباطيل غريبة» (٨: ١٩) أو أباطيل الغريب «أباطيل الأمم» (١٤: ٢٢). وفي النهاية صاروا هم «باطلًا» (٢ مل ١٧: ١٥). فمَن نتعلّق به يحوّلنا إلى صورته (مز ١٥: ٨).

ع. ٦: أين هو الرب؟ را. ع. ٨. هل هو موجود؟ هل هو فاعل؟ هو فعلَ في الماضي، أما الآن فلا. ويذكر النبي مسيرة الله مع شعبه من مصر عبر البريّة القاحلة.

ع. ٧: أرض بساتين. المسافة شاسعة مع ع. ٦: **أرض قفر وحُفَر**. ماذا فعلوا لهذه الأرض؟ لفظان: نجّس، جعل رجسًا. **أرضي، ميراثي**. الأرض، أرض الرب وميراثه. هي تخصّه وهو منحها لشعبه.

ع. ٨: وتأتي اللائمة: كلّهم سألوا: **أين هو الرب**؟ الكهنة، الملك... وعادت العبارة: **وذهبوا وراء ما لا ينفع**، أي الباطل. هي الخيانة الكبرى (مي ٣: ١١) من لدن شعب العهد. **الكهنة** هم **أهل الشريعة**. هم يعلّمون ولكنّهم **لم يعرفوني**. **والرعاة** أي الملوك. سوف يندّد بهم النبيّ في ٢١: ١– ٢٣؛ ٢٨. **والأنبياء** لم يعودوا يتكلّمون باسم الرب الإله، بل باسم **بعل**. هل نسوا أن الأصنام لها فم ولا تتكلّم؟ وسيكون كلام على الأنبياء في ٢٣: ٩– ٤٠. الكلام هو على أنبياء يهوذا كما على أنبياء الشمال. في ١٨: ١٨ هم مجموعة الحكماء الذين يجب عليهم أن يقدّموا نتيجة خبرتهم بحيث لا يمضي الشعب إلى الدمار (٢٩: ١٨).

ع. ٩: ولذلك، لن ننتظر العقاب. ولكن لم يأتِ بعد. **أخاصمكم**، أمضي معكم إلى المحكمة. **وبني بنيكم**، أي إلى الجيل الثالث.

ع. ١٠: من الغرب إلى الشرق **كتيم** تدل على قبرص، وعلى شواطئ البحر المتوسط حيث تمضي السفن. **قيدار**، قبيلة من شمالي الجزيرة العربية. يقابل النبي شعب الرب مع هذه الشعوب.

ع. ١١: هل بدّلت أمّة آلهةً غيري. وما هذه الآلهة تجاه الإله الحيّ! نتذكر أنّ الديانة هي مؤسّسة الدولة وهي ترتبط بحياة شعب. فلا يمكن أن يفكروا بتبديل إله. بل هم يضيفون إلهًا على إلههم. فنذكر نعمان قائد جيش أرام الذي اهتدى إلى الله: يحس بالحاجة إلى أن يخرج من بلده ويأتي إلى أرض الرب ليعبد الرب (٢ مل ٥: ١٧).

أما شعبي فبدّل مجده. الرب هو أثمن ما ناله الشعب، بل الرب يجعل له هذا الثمن بين البلدان (ع. ١٣). والمجد هو جوهر الإنسان وما يعطيه شخصيّته. فالمقابلة قاسية، الشعوب تعلّقت بإلهها، أما إسرَإيل فخان إلهه.

ع. ١٢: ابهتي. انذهلي. هو الرب يطلب من السماء أن تشهد

www.christianlib.com

وترى إلى أيّ درك وصل الشعب.

ع. ١٣: **شرّان:** شرّ فوق شر. أولًا **تركوني**. وماذا تركوا؟ **ينبوع المياه الحيّة**. نسوا كيف أعطيتُهم الماء من الصخر في البرية. هذا الكلام عن الماء يصل بنا إلى السامريّة التي قال لها يسوع: «مَن يشرب من هذا الماء يعطش. ولكن، من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد» (يو ٤: ١٣). هو انتقال من الأدنى إلى الأسمى. عندئذ قالت المرأة: «يا سيد، أعطني من هذا الماء» (ع. ١٥). أما الشعب فأخذ الطريق المعاكسة. طلب الشر لا الخير. ثانيًا، **نقروا لأنفسهم أبآرًا**. حفروا. هكذا نفعل في الشرق وما زلنا. وهكذا فعل إبراهيم وإسحاق ويعقوب (را. تك ٢٦: ١٥– ٢٥). هناك مياه تهب الحياة، تركوها. ومياه تهب الضياع والموت، فتعلقوا بها. ما هذه الحكمة؟ بل هي الجهالة بالذات.

٢: ١٤– ١٩ وجع ومرارة

ع. ١٤: سبق وذكرنا ما في ع. ١٤– ١٧، حيث يترك النص خيانة الشعب لله في عبادة الأصنام. ويتحدث عمّا سيحدث للأرض من خراب: **عبد** هو يُشرى ويُباع. **مولود البيت** هو مَن وُلد من عبد ومن أمة في بيت سيّده ويكون له. وهكذا هو عبد منذ ولادته. أي عبد هو إسرَإيل؟ هناك عبوديّة وعبوديّة أخرى، وهذا ما يصل بنا إلى عبوديّة الخطيئة، كما قال الرب: «إنّ كلّ من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة» (يو ٨: ٣٤).

أهذا هو الشعب الذي حرّره الربّ من عبوديّة مصر وأصنامها؟ ترك عبوديّة ليقع في عبوديّة أخرى. هنا نحسّ بألم الله وحزنه. هي صورة الله القريب من البشر، صورة الآب والأم. كيف يتركونه؟

ع. ١٥: **الأشبال:** أولاد الأسُود. أترى الأسد هو مصر وبلاد الرافدين؟ والشبل هو هذه الدول الصغيرة التي تحرّكها مصر بعضها على بعض. ما أشبه اليوم بالأمس. أما نتيجة مرور الجيوش فمعروفة: **أرض خربة، مدن محروقة**.

ع. ١٦: **نوف** (حز ٣٠: ١٣– ١٦) أو موف (هو ٩: ٦) **تحفنيس**. هي أماكن في مصر. نوف هي ممفيس، عاصمة مصر السفلى. هي على النيل قرب القاهرة: **وتحفنيس** صارت في العالم اليوناني: دفنة. واليوم هي تل الدفنة، الواقعة إلى الشرق من الدلتا. **شجّوا هامتك** أي حلقوا شعر رأسك، علامة الذل والاحتقار (٤٨: ٣٧؛ إش ١٥: ٢) مثل هذا عمل أهل عمون بموفدي الملك داود (٢ م ١٠: ٤). وكان هذا سبب حرب.

ع. ١٧: **أما صنعتِ هذا بنفسك**. أو أما حصل لك ذلك. ترك السفرُ السببَ البشري: الحربَ واحتلال الأرض. ونظر إلى السبب الإلهي: **تركتِ الرب إلهك**. هي عادة لبثت حاضرة عندنا حيث نعيد الأمور إلى الله. فما يحصل لنا قد يكون علامةً من لدنه تعالى.

ع. ١٨: **والآن ما لك؟** ما الذي يدفعك للذهاب إلى مصر. **شيحور** تسمية نهر بما فيه من طمي، أو إلى: **أشور (والنهر** هو نهر الفرات). ذاك كان وضع يهوذا حيث ينتقلون من عدو إلى عدو. هل نسوا الرب؟ هل نسوا الطريق التي اقتادهم فيها وأوصلهم إلى هذه الأرض؟ تلك صورة عن التقلّب في حياة كلّ واحد منا.

ع. ١٩: **يوبخكِ شرُّكِ**. أنتِ عملتِ الشرّ، وأنتِ تدفعين الثمن. **تركتِ الرب** ومضيتِ إلى الأصنام. **خشيتي**، هي مخافة الرب. فحين تزول هذه المخافة لن تبقى علاقة بين الله والشعب، بين الله والإنسان. فالمخافة تدلّ على أننا شعرنا بحضور الرب. هو القدير ونحن الضعفاء. هو القدّوس ونحن الخطاة. فكيف نتخلّى عمّا اعتدنا عليه؟ هل يتبدّل جلدُ النمر؟

٢: ٢٠– ٢٩ المتّهمة أمام الرب انتهى القول الثاني (ع. ١٩: يقول السيد الرب). وها هو القول الثالث الذي جاء شعرًا على ما في ف. ٢– ٦. قدمَت «العروسُ» شعبُ الله، براهينها فردّ عليها الرب وبيّن بطلان ما قالت. هي صور متلاصقة تدلّ على فجور شعب الله. ونحسّ بعاطفة جيّاشة. حاول الرب أن يضبطها. وفي النهاية، انفجرت. والاندفاع تغلّب على تماسك الأفكار (هو ١: ٢). فتعود المرافعة (ع. ٢٦، ٢٨) التي انطلقت في البداية وتواصلت حتى النهاية (ع. ٣٥؛ ٥: ١– ٩).

ع. ٢٠: **منذ القديم**، منذ الدخول إلى أرض الموعد، أو منذ الخروج (خر ٢٠: ٢٣؛ أع ٧: ٥١) من مصر. هو فساد إسرَإيل العميق (٦: ٢٧– ٣٠؛ ١٣: ٢٣). عصيان لا يتحمّل أي إكراه، وإن لمس أحد نزواته اعتبر أنهم يعيدونه إلى العبوديّة. هم أحرار في ما يفعلون. ها هنا يطلّ رمز زواج هوشع: امرأة خائنة، لا تعرف الأمانة ولا تريد أن تعرف. أما عبادة البعل فكانت تتمّ على التلّة (من هنا المشارف) أو قرب **شجرة خضراء**.

اصطففت زانية أو فاسقة، فاجرة. أراد إسرَإيل أن يكون مثل سائر الأمم (ع. ١١) فيضمّ إلى عبادة الرب الإله، عبادة/ البعليم/ صيغة الجمع. لأنّه كان بعلٌ على كلّ تلّة. فالبعل امتلك الأرض وهو من يخصبها. لا الرب الإله وكانوا يحتفلون به، يحملون تمثاله في أماكن تشير إلى الخصب (غابة بأشجار دائمة الخضرة، ٣: ٦؛ ١٣؛ تث ١٢: ٢؛ ١ مل ١٤: ٢٣... وما يليه). وبممارسات الفلتان كما يقول الأنبياء (هو ٢: ١٠). أما الرب فلا يقبل بأن يقاسمه أحد. وعلى شعبه أن ينتظر منه كل شيء، بما فيها خصب الأرض. فكل ممارسة وثنية ولا سيما تجاه البعل أو الأبعال: عبادة ممقوتة لا يريد الرب أن يسمع باسمها. هي خيانة الزوجة لزوجها، والشعب لربّه كما قال هوشع، وهي زنى بل فسق وفجور (٣: ١– ٤؛ ٥: ٧؛ ١٣: ٢٧... وما يليه).

ع. ٢١: **وأنا غرستك كرمة سورق**، أي حمراء فاقعة. يبدو

www.christianlib.com

أنّ مثل هذا الكرم يعطي نبيذًا أفضل، من أجل ممارسات القصف والعربدة، أو بكل بساطة: كرمة مختارة. صرت **جفنة غريبة**. أو بالأحرى خبيثة وذات رائحة كريهة. كل هذا يصح لأن ينطبق على الجماعة عندنا، وعلى كل واحد منا. هل تفوح منها رائحة المسيح الطيّبة أو لا سمح الله، رائحة كريهة (٢ كو ٢: ١٤– ١٥) هل يمجدون الله بسببنا، أم يجدفون عليه (رو ٢: ٢٤)، هو انحطاط مهين.

ع. ٢٢: **وإن اغتسلت بنطرون.** هو غسيل خارجيّ، كما قال الرب للفريسيين: «تغسلون خارج الكأس وداخلكم مملوء خطفًا وشرًا» (مت ٢٣: ٢٥). **نُقش إثمك أمامي**، حُفر. لا يُزال. وما فينا من فساد داخلي لا يزول إلّا بتوبة صادقة.

ع. ٢٣: **كيف تقولين: لم أتنجس؟** تريد أن تنكر. وهنا تأتي التشابيه: **ناقة خفيفة**، ثم **أتان الفراء** (ع. ٢٤). أي بريّة وغير داجنة. هي واقفة على الشرفة مثل امرأة فاجرة فلا يتعب طالبوها في البحث عنها! كل هذا السلوك يدلّ على الضياع والنزوة (ع. ٢٠) كما على القلق. فالذي اعتاد الزنى يحتاج بعض الوقت ليعود إلى الرب. في **شهرها**، هي تطلب من تزني بهم بسبب الشهوة التي تتملّكها.

ع. ٢٥: **حين تركض تصبح حافية ويكون فمها ناشفًا.** وتركض وراء الغرباء، وراء الآلهة الغريبة ومن ينادي بها.

ع. ٢٦: **الشعب ورؤساؤه يخزون مثل السارق.** ما هو للرب يأخذونه ويُصعدونه للبعل. ذاك ما قال هوشع: «هي لم تعرف أني أنا أعطيتها القمح والمسطار والزيت وكثّرت لها فضةً وذهبًا جعلوه للبعل. لذلك أرجع وآخذ قمحي...» (هو ٢: ٨– ٩).

ع. ٢٧: **هو تضارب بين ممارساتهم وما يطلبون من الرب. الخشب**، هو أبي، **الحجر** هو ولدني. ويديرون ظهورهم للرب. أما وجوههم فهي باتجاه البعل أو الشمس كما قال حزقيال: «نسوة جالسات يبكين على تموز» (٧: ١٤)، ثم: «رجال ظهورهم إلى الهيكل ووجوههم نحو الشرق» (ع. ١٦). ذاك هو الوضع الذي يندّد به النبي. ولكن حين تأتي البليّة يصرخون **قم** يا ربّ **وخلّصنا**.

ع. ٢٨: **أين آلهتك؟** هم عديدون. في كل مدينة. وأضاف النص اليوناني (السبعينية): في كل شارع من شوارع أورشليم (١١: ١٣). آلهة عديدة. وضعٌ يصل بالمؤمنين إلى الشرك. هذا ما دفع يوشيا لأن يغلق «المشارف» أو المعابد المشرفة على كل مدينة (را. تث ١٢: ٥).

ع. ٢٩: **صارت هذه الأصنام «تماتم»** و«أحرازًا» تحمينا من العين الشريرة والسحر... وبعد هذا **تخاصمونني**. وتحسبون نفوسكم محقّين.

٢: ٣٠– ٣٧ قرار الاتهام هو الرب يدعو «عروسه» مرة جديدة، رغم أنها تركت الرب. فهو لا يستطيع بعد أن يحتمل تصرّفهم تجاهه، وهذا هو الداعي الحقيقي أو المقنع.

ع. ٣٠: **خطآن:** الأول رفضتم **التأديب**. وبما أن الأنبياء ينبّهونكم، أعملتم السيف فيهم.

ع. ٣١: **أنتم أيها الجيل.** يُكلم ناشر السفر «هذا الجيل». في أيّامه. ويكلمنا نحن اليوم. فكلمة الله حاضرة، لا تعتق، مثل «سيف ذي حدّين» (عب ٤: ١٢). **صرتِ بريّة**. لا يمكن الإقامة فيها، لهذا يتركونها.

ع. ٣٢: **تنسى عذراء زينتها.** والشعب هو زينة الرب فلا ينساهم. وإذا كان الربّ زينتهم فهل ينسونه؟

ع. ٣٣– ٣٤: مع الزنى هو القتل. **دم الأزكياء**، الأبرياء. **لا بالتعب وجدته**، هو سارق. فإن أنت قتلته تُعذَر (خر ٢٢: ١). **على أذيالك** قتل. وحيث الدم على ثيابه، فكيف يخفيه. فكأني بالزنى يترافق مع العنف.

ع. ٣٥: **كلام «العروس»** مثل كلام عديد في أيامنا. مثل الفريسيين، لست مثل هذا ولا ذاك، ولا مثل هذا العشّار. نرى القشة في عين أخينا أو أختنا ولا نرى الخشبة في عيننا.

ع. ٣٦: **هو انتقال من مصر إلى أشور**، ومن أشور إلى مصر. ومع طلب العون تكون عبادة إله هاتين الدولتين. ذاك ما حصل لأخآب حين مضى إلى لقاء ملك أشور في دمشق: بدّل موقع المذبح. وربما وضع إله أشور بقرب تابوت العهد رمز حضور الله وسط شعبه.

ع. ٣٧: **تضعين يدك على رأسك.** هكذا كان الأسرى ينطلقون. وقد يغطّون وجوههم حياءً وخجلًا.

٣– الخلاصة

فصل طويل يتضمّن أكثر من قول نبويّ. فيه يتألّم الربّ من تصرّف شعبه. خيانات متواصلة. نظرة إلى الشمال مع أشور، وبابل ونظرة إلى مصر التي خرجت من صعوباتها وأرادت أن تجتذب إليها أرض يهوذا. تسمع الشعب فيبين أنّه على حق فيما يعمل. أما هكذا تفعل جميع الشعوب المحيطة به؟ لهم إلههم وإله الشعوب المجاورة، أو إله المحتلّ. فلماذا لا نكون مثلهم؟ أمّا صور الزنى والفجور فتدلّ على خيانة الرب. هي صورة عن جماعاتنا. ما هي أصنامها؟ وأيّ ماء يشربون منه؟ في أي إطار نعيش ومَن يقودنا في حياتنا؟ وهكذا نكون مثل الغنم فلا نتميّز عن الذين حولنا. هكذا في هذا الشرق تبعنا الأكثريّة. نطلب منفعة ما ونترك إيماننا. لا نعبد الله، بل المال وما يجلب إلينا هذا المال. يا ليتنا نتأمّل في كلّ عدد من هذه الأعداد ونطبّقه على كنيستنا. هل نحن حقًا مستعدّون لأن نتجرّد عن كل شيء؟ هل يهمنا أن نعلن إيماننا وإن خسرنا المكاسب الماديّة والمعنويّة؟ أصنام آبائنا هي الخشب والحجر، وأصنامنا هي الشهوات التي نتعبّد لها وننسى أن الله وحده يُعبَد وله وحده نسجد.

www.christianlib.com

٣: ١– ٢٥ خيانة إسرَإيل

١– المقدّمة

يتواصل موضوع الخيانة في أقوال شعريّة. هذا ما يدلّ على عمق الخطيئة وعلى حزن الربّ، وبالتالي حزن نبيّه. هو يبكي. لماذا؟ لأنّ النبيّ يدخل في عمق سرّ الله ويحاول أن يُدخل المؤمنين في هذا السرّ، ولكنّهم يرفضون. وهكذا يمسي النبي وحده بحيث لا يستطيع أن يتعامل حتى مع أبناء بلدته وسائر الناس. قال في يوم من الأيام: «ويل لي، يا أمي! ولدتني إنسان خصام وإنسان نزاع لكل الأرض لم أقرض (أحدًا مالًا) ولا أقرضوني، وكل واحد يلعنني» (١٥: ١٠). عادةً نسلّم بعضنا على بعض بلفظ البركة، أما النبي فمع اللعنة. والتعامل مع الناس شبه مستحيل. فكيف يطلب منهم العودة إلى الله بالتوبة والتنكر لعبادة الأصنام؟

أما التصميم فجاء في ثلاث محطات حول التوبة والرجوع إلى الله. أولًا يطرح السؤال: هل الرجوع ممكن (٣: ١– ٥). حبٌّ خانه الآخرون يكون انتهى بشكل لا رجوع عنه. فالله «هل يحقد إلى الدهر، أو يحفظ غضبه إلى الأبد» (ع. ٥). إنما هذا سؤال يطرحه الله على شعبه الذين تركوه وها هم يطلبون المغفرة. وها هو يعطي جوابه في ما يلي من هذا القول النبوي.

والقسم الثاني (٣: ٦– ١٨)، هو نداء الرب إلى شعبه. ارجعوا أيها البنون العاصون؛ ففي إطار إصلاح يوشيا، الذي امتدّ إلى مملكة الشمال (٢صم ٢٣: ١٥– ٢٠)، يدعو النبي سكان الشمال (السامرة) وسكان الجنوب (أورشليم) ليعودوا نحو العهد. وعلى أساس ما حصل، جاء قول يعلن إعادة بناء الشعب كلّه في الآتي من الأيام، انطلاقًا من أورشليم التي استعادت أمانتها للرب.

والقسم الثالث (٣: ١٩– ٢٥)، سأل النبي: هل الرجوع ممكن؟ ودعا النبيّ الشعب ليرجع إلى الله. وها هو القسم الثالث يعلن أن الرجوع ممكن. ذاك ما قال الرب لنبيّه. وهو مستعدّ دومًا أن يستقبل أولاده الضالين وأن يردّ إليهم حبّه إذا هم يتوبون ويبدلون قلبهم، في الصدق والاستقامة والعدل. أما الواقع فهو أن مملكة إسرَإيل تمثل ذروة التمرّد وكأنه شخص حيّ، ومملكة يهوذا تجسّد الغش والمكر. أما طلاق الربّ لإسرَإيل فينكشف في سقوط السامرة.

٢– تفسير النص الكتابي

٣: ١– ٥ الزانية المشهورة يتخذ النبي مثلًا، ويطبّقه على وضع الله مع شعبه.

ع. ١: حسب تث ٢٤: ١– ٤، يُمنَع رجل من استعادة امرأة سبق له وطلّقها وصارت خاصة رجل آخر. فإن فعل نجّس الأرض، لأن ذلك رجس لدى الرب. والأرض النجسة، في المقابلة عينها، هي المرأة لأنّها راحت إلى رجل آخر. وفي الواقع إسرَإيل تنجّس بفسقه وعبادته للأصنام (٢: ٢٠).

ويسأل الرب: **أنتِ ترجعين إليَّ**... هذا يعني أن الله لا يسعه أن يستقبل شعبه الذي صار رجسًا حين ارتبط بآلهة أخرى. ومع ذلك فهذا الاستقبال سيكون ممكنًا للذين يقبلون، يقرّون بفساد أعمالهم.

ع. ٢: **ارفعي عينيك وانظري إلى الهضاب.** فعلى الهضاب كانت معابد بعل، وبقيت آثارها إلى اليوم على جبل الكرمل.

ع. ٣: **امتنع الغيث.** كانوا يعتبرون المطر هديّة من بعل. ولكن لا مطر الآن، كما كان في زمان إيليا، وما زلتم متعلّقين بهذا الإله. الخجل هو بداية عودة الرب إلى شعبه.

ع. ٤: **تدعينني: يا أبي.** هي اللغة التقليديّة. را. ع. ١٩ (**«تدعينني: يا أبي»**). هذا يدلّ على إيمان صادق مع فوضى عميقة في الداخل وجحود يمنع من التعرّف إلى الحقيقة (٢: ٣٠)، ويكون حاجزًا أمام الرجوع إلى الله، بالرغم من العقوبات التي تبدو بشكل آية ولا يريدون أن يقرأوها (را. ع. ٦).

ع. ٥: **هل يحقد إلى الدهر؟** أو هل يبقى الله حاقدًا علينا رافضًا استقبالنا ومسامحتنا؟ فلماذا نمضي إليه؟ أو يكون النبي يدعو الشعب إلى توبة صادقة (ربما هي غير موجودة) بحيث لا يكتفون برجوع سطحي يشبه الندى على الأرض، وما أن تطلع الشمس حتى يتبخّر. أحيانًا يكون موقفنا نحن أيضًا مثل هذا تجاه الله. نعتبر أننا عدنا. والرب طيّب ولا يتطلّب الكثير. نعود إليه ثم نعود إلى خطايانا. وعمليًا لا تعودين وكلام التوبة ما زال على شفتيك. **تكلّمت وعملت.** لم تكن المسافة بعيدة بين الكلام والعمل.

٣: ٦– ١٨ عودوا أيها البنون ثلاثة مقاطع تستوقفنا هنا؟

أولًا: إسرَإيل والجحود، يهوذا والمكر (ع. ٦ – ١٠). في نظر المؤمن، يكون الشقاء نداء إلى التوبة الموجهة إلى الجميع. را. لو ١٣: ١– ٥ وما يقوله يسوع عن الذين سقط عليهم البرج: «وإن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون». را. نح ٣: ٦. فالشقاء الذي حل بمملكة إسرَإيل سنة ٧٢٢/ ٧٢١ كان درسًا لمملكة يهوذا. ولكن أصعب علينا أن ننظر إلى شقاء الآخرين من أن ننظر إلى شقائنا (ف. ٢٤). أما حزقيال ١٦ فتوسّع في مثل الأختين حيث لم تتعلّم الصغرى ممّا حصل للكبرى.

ع. ٦: **العاصية،** الرافضة، الجاحدة، ولا تريد العودة. بل تمثّل العصيان بالذات. عندئذ **طلّقتها وأعطيتها كتاب طلاق** (ع. ٨) هو كلام على سقوط السامرة وذهاب أهلها إلى المنفى. (٢ مل ١٧). لا سبيل إلى عودة تلك العاصية. ولكن يهوذا ما تعلّمت بل راحت تزني هي أيضًا فلا مكان للمخافة عندها. وهكذا **نجّست الأرض** (ع. ٩).

www.christianlib.com

ع. ١٠: **لم ترجع إليّ أختها الخائنة.** هي يهوذا. كل ما عندها كذب حتى عندما تعلن تعلقها بالرب (ع. ٤؛ را. ٢: ٢٣، ٢٧، ٣٥؛ ٨: ٨).

٣: ١١– ١٥ الله أمين الرب أمين ولا يمكن إلّا أن يعيد خلق السامرة، هذا القسم من الشعب الذي زال من الوجود. أيمكن لهم أن يتوبوا؟

ع. ١١: **برّرت نفسها.** اعتبرت نفسها بارّة. وبالتالي أن الرب ظلمها. إن التبرير هو عطية مجانية من الله والإنسان يتجاوب مع ندائه. **اذهب وناد بهذه الكلمات.** ما يئس النبيّ وهو يستعدّ لأن يمضي إلى البقيّة الباقية. لاسيما أن الله **رؤوف.** وإن نظر إلى شعبه، لن تكون نظرته قاسية كأنّه ملك ظالم (ع. ١٢).

ع. ١٣: **ولكن هناك شرطًا: اعرفي فقط إثمك،** اعترفي بخطيئتك. إلى الله أذنبتِ، لأن الخطيئة هي في النهاية ضد الله. هي عدم السماع لكلام الله وتوجيه الأذن إلى الحيّة كما حصل في جنة عدن.

ع. ١٤: **ارجعوا أيها البنون.** هو الرب نفسه يتكلّم، يعلن أنه سيّد الأحداث والتاريخ، ويعلن ماذا سوف يفعل: يعيد المشتّتين إلى صهيون أو «صيون»، أي أورشليم المدينة المصونة بيد الرب.

ع. ١٥: **وأعطيكم الحياة.** الرعاة هم الملوك، فما كانوا على قدر المسؤوليّة لأنّهم من اختيار البشر. ولكن الرب يتدخّل ويقدّم لهم الراعي الذي يرعاهم. ونحن ننتظر الرب يسوع، الراعي الصالح، الذي يبذل نفسه عن الخراف (يو ١٠). أما صفات الراعي فهي **المعرفة** (اعرف خرافي) **والفهم**، أي التنبّه إلى كل خروف ونعجة.

٣: ١٦– ١٨ حول الملك العظيم الرب هو الملك. مضى يجمع المشتتين، كما يفعل الراعي الذي يمضي وراء الخروف الضال، وهكذا يكون الكون كله حول هذا الملك العظيم. **تابوت عهد الرب** حين دوّن هذا النص لم يعد من وجود لتابوت العهد ولا نعرف متى أُخذ من الهيكل ولم يعد موجودًا. فالذين اجتاحوا البلاد كانوا كثيرين. شيشق ملك مصر (١ مل ١٤: ٢٦). يوآش ملك السامرة (٢ مل ١٤: ١٤). نبوخذنصر (٢ مل ٢٥: ٩، ١٣، ١٧؛ إر ٥٢: ١٣، ١٧– ٢٣). **لا يُصنَع بعد** هناك أخبار وأخبار حول تابوت العهد. أما الكلام هنا فواضح. مضى وما عُمل مكانه.

ع. ١٧: **في ذلك الزمان.** مثل هذه العبارة المتواترة تجعل الناس ينظرون إلى المستقبل الذي سيكون مشعًا. أولًا، اجتمع المنفيّون حول الله ملكهم، بعد أن مضى الملك الداودي إلى المنفى. ثم يستعيد **كرسيّه** في **أورشليم.** وما يلفت النظر هو أنّه لا يكتفي ببقية إسرَإيل ويهوذا، **بل كل الأمم.** لا، ليست أرض الموعد لليهود فقط، بل لجميع الشعوب. وهذا منذ إبراهيم «تتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تك ١٢: ٣). ممنوع الانغلاق. وهذا ما عاشته كنيسة أورشليم التي رفضت استقبال الآتين من الأمم، إلا إذا مرّوا تحت نيرها. أي الختان والامتناع عن بعض الأطعمة. هنا كان بولس قاسيًا فقال لبطرس: «إن كنت، وأنت يهودي، تعيش أمميًا (أي كالأمم)، لا يهوديًا (أي كاليهود)، فلماذا تلزم الأمم أن يتهوّدوا (أن يكونوا يهودًا)؟» (غل ٢: ١٤)، ففي نظر بولس، لا يُضاف شيء إلى صليب المسيح. قال: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غل ٦: ١٤). وسيقول الرسول: الختان لا يضيف شيئًا وعدم الختان لا يجعلنا نحتاج إلى شيء. ولكن من المؤسف أن نكون نحن نريد أن تكون الكنيسة لنا، لا لغيرنا، لطائفتي وحدها دون الآخرين. وإن جاء أحد من الخارج... نريده أن يبقى في الخارج، مؤمنًا من الدرجة الثانية أو الثالثة. ولا نسمح له أن يندمج معنا. ونحن نعرف التعب الذي لاقاه مارتن لوثر كنغ ليجعل المساواة بين جميع المؤمنين.

ع. ١٨: **في ذلك الزمان.** وعدٌ آخر: يجتمع أهل **إسرَإيل** وأهل **يهوذا.** هم منفيّون. ويأتون معًا من الشمال كما في تطواف. هي وحدة شعب الله من جديد. ومتى تكون وحدة المسيحيّين حاضرةً؟ ينقصنا التواضع وروح الخدمة. ولكن مع ذلك، لا نتوقف عن كل محاولة، لأن اللقاء بين الإخوة يكون غنًى لهم جميعًا.

٣: ١٠– ٢٥ عودة الشعب إلى الله

ع. ١٩: **كيف أضعك بين البنين.** أحسبك بين البنين، أعطيكم البنوّة. ولكن هذا ننتظره مع يسوع المسيح حيث الابن لا يستحي أن يدعونا إخوته وأخواته. أما بنو إسرَإيل فما كان يحق لهم بالميراث إلا استثناء (عد ٢٧: ٤– ٧) ومع شروط. هذه الأرض هي **«مجد أمجاد الأمم»** هي الأجمل بين الأراضي، لا بسبب مناخها وأرضها التي لا ماء فيها، بل لأنّ الله يقيم فيها. وإن تركها الله فلا تنبت سوى «الشوك والحسك» (تك ٣: ١٨). هكذا تحوّل الفردوس بفعل خطيئة البشر، وهكذا يكون لمجتمعنا وعيالنا. الله حاضر، أسرتنا سماء. الله غائب، أو نحن غيّبناه، أسرتنا جحيم.

ع. ٢٠: **كما تخون المرأة قرينها.** الشعب هو المرأة. وقرينها، أو زوجها، هو الله. نلاحظ دائمًا أن الخطيئة تأتي من المرأة ولاسيّما الخيانة الزوجيّة. ولكن لا كلام على الزوج. ففي إنجيل يوحنّا قيل إن امرأة أمسكت في زنى (يو ٨) ولكن أين هو الرجل الذي زنت معه؟ وهذا مع العلم أن الشريعة أعطت تخفيفًا للمرأة إذا زنت مع رجل في البرية. فقد يكون مارس معها بالقوة، فصرخت فما أنجدها أحد. كم نفرح حين نقرأ الفصل السابع من الرسالة إلى كورنثوس: التساوي التام بين الرجل والمرأة، مع المبدأ البولسي المعروف، لا رجل ولا امرأة.

ع. ٢٢: **ارجعوا أيها البنون.** را. ع. ١٤. هو الرب ينادي نعجته الضالة بعد أن مضى في أثرها. والرب ينادي وينادي. ولكن

www.christianlib.com

ماذا تنفع المناداة إذا رفض المؤمن أن يسمع، وبطل الحوارُ بين الله والشعب. قال الرب: «**ارجعوا... فأشفي عصيانكم**»، أجاب الشعب: «**هَا قَدْ أَتَيْنَا إِلَيْكَ لأَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ إِلهُنَا. حَقًّا بَاطِلَةٌ هِيَ الآكَامُ ثَرْوَةُ الْجِبَالِ** (ونرذل الأصنام الموجودة على الآكام والجبال)» (ع. ٢٣) وعادوا ينشدون: «**بالرب إلهنا خلاص إسرَائِيل**» ولا أحد غيره يخلّصنا.

ع. ٢٤: أكل الخزي. هكذا يتجنب النبي أن يذكر آلهة الأمم. هي عبارة احتقار. ولكن هذا «الخزي» منع عنا البركة.

ع. ٢٥: خزينا... خجلنا. هو اعتراف رائع يمكن أن يصليه كل خاطئ. أذنبنا أمام الله نحن وآباؤنا. لا الآن فقط، بل **منذ صبانا.** هو معنى فردي. والمعنى يكون منذ كنا في البرية مع الرب بقيادة موسى. نحن خطاة من زمن بعيد.

٣- الخلاصة

هي مسيرة الإنسان التي تشبه إلى حدّ بعيد ما حصل للابن الضالّ. ترك البيت الوالدي، راح إلى البعيد، إلى العالم الوثني، وهناك أخذ يرعى الخنازير، وهي حيوانات نجسة لا تكون في أرض الرب. أما «الزواني» أو «البغايا» فهي تعني الزنى في معنى أوّل. وفي معنى ثان، تعني عبادة الأوثان. ذاك ما نقرأ بالنسبة إلى شعب يهوذا. أمّة الفسق والفجور عصت الرب. جحدته، خانته. ولكن الرب لم يعاملهم بحسب أعمالهم. فهو الأمين الذي يبقى أمينًا رغم خياناتنا. وهو الغفور ولو ارتفعت خطايانا ارتفاع الجبال. إن نحن تشتّتنا هنا وهناك فهو يمضي وراءنا ويجمعنا فنكون حوله كالأولاد حول أبيهم. عند ذاك نعترف بخطايانا ونقول لله: «ها نحن أتينا إليك، لأنّك الرب إلهنا». وما أحلانا بعد قراءة الكتاب المقدس حين نصرخ إليه: «نحن خطئنا، أيّها الربّ إلهنا».

٤: ١- ٣١ الجيش الآتي من الشمال

١- المقدمة

إن رجعتَ إليّ. يا ليتك ترجع. ولكن الشعب لا يريد أن يرجع، بل يعاند في عبادة الآلهة الكاذبة. ويستند إلى مصر إذا أطلّ الخطر من الشمال. ويستند إلى البابلي إذا خاف على استقلاله من مصر. هو رفض تام. لا يريد أن يسمع. وإذ رأى إرميا أن لا مجال للشعب أن يتوب إلى الربّ، استشف الاجتياح القريب. هو آت من الشمال. ذاك ما سبق ورآه النبي منذ بداية نبوءاته مع القدر التي تغلي (١: ١٣- ١٦). ولكن النبيّ رفض أن يكون ناظرًا لا يحسّ ولا يشعر، فشارك في شقاء شعبه (ع. ١٦، ١٩) على مثال موسى (خر ٣٢: ١١- ١٤). فقد قال يومًا للرب: «لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَى عَبْدِكَ؟ وَلِمَاذَا لَمْ أَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ حَتَّى أَنَّكَ وَضَعْتَ ثِقْلَ جَمِيعِ هذَا الشَّعْبِ عَلَيَّ؟ أَلَعَلِّي حَبِلْتُ بِجَمِيعِ هذَا الشَّعْبِ؟ أَوْ لَعَلِّي وَلَدْتُهُ، حَتَّى تَقُولَ لِي احْمِلْهُ فِي حِضْنِكَ كَمَا يَحْمِلُ الْمُرَبِّي الرَّضِيعَ» (عد ١١: ١١- ١٢). وهكذا هو إرميا.

هي مزية رائعة أن يتألّم المسؤول مع الذين يتألمون، وأن لا يتهرّب فلا يريد أن يسمع ولا أن يرى: هل هو الوباء؟ هل هو التهجير؟ لم أعرف. ما أتعس مثل هذا الجواب. أما إرميا فتألم مثل موسى. وهو صورة بعيدة عن عبد الرب المتألّم (إش ٥٣). هو يتشفّع من أجل الشعب ويتألّم معه. وهكذا بدت مهمّة إرميا شخصيّة. لا يستطيع أحد أن يحلّ محله. والويل له إذا هرب. ولكنّ إرميا لبث مع الشعب إلى النهاية، إلى سقوط أورشليم بيد البابليّين.

في البداية، نداء إلى العروس لكي تعود (٤: ١- ٢) في امتداد الفصل السابق. ثم نقرأ ٤: ٣- ٣١ الذي هو مجموعة قصائد، حيث يتبادل الكلام الربّ وإرميا. يعلن الرب مجيء جيش كبير آتيًا من الشمال (ع. ٣- ٧٧، ٩، ١١- ١٨، ٢٢، ٢٧، ٢٨). فيكون كلام النبيّ صدًى لكلام الرب إمّا يحضّ الشعب على التوبة (ع. ٨) أو يتشفّع من أجله (ع. ١٠)، أو أيضًا يعبّر عن وجعه (ع. ١٩- ٢١) واندهاله (ع. ٢٣- ٢٦). أما ترتيب هذه القصائد بشكل حوار متقابل، فقضية أساسيّة لرسالة إرميا الذي عاش دومًا الحوار بين الإنسان وإلهه.

٢- تفسير النص الكتابي

٤: ١- ٢ إذا رجعت

ع. ١: يكلّم الرب عروسه، شعبه. والرجوع يكون إلى الله، لا إلى هذه الدولة أو تلك طلبًا للحماية. **نزعت مكرهاتك.** أي تزيل أصنامك «الكريهة». ولكنّه ما نزعها. لهذا هرب من أمام الرب، مثل قايين بعد أن قتل أخاه: «أكون تائهًا وهاربًا في الأرض» (تك ٤: ١٤).

ع. ٢: وإلا حلفت: حي الرب. أو: بحياة الرب، يكون حلفك بالصدق لا بالكذب، بالاستقامة لا بالاعوجاج، بالعدل لا بالجور. هو سلوك كذاك الذي نقرأه في مز ١٥: السالك بالكمال، العامل بالحق، المتكلّم بالصدق. مثلُ هذا الرجل يحقّ له أن يسكن مع الله أو في جواره. وبالتالي أنت تمجّد الله وتشهد له. عندئذ يطلب الشعوب البركة من الرب، ولا يعودون يفتخرون بآلهتهم بل بالرب الإله، ها هنا تكون الرسالة.

٤: ٣- ٣١ العدوّ الآتي من الشمال حوالي سنة ٦٢٥، وبعد وقت قليل من دعوة إرميا (٦٢٥)، أتت قبائل من على شاطئ البحر الأسود. توافقوا مع أشور لاجتياح سورية ولبنان وفلسطين وصولًا إلى مصر، كما قال المؤرّخ اليوناني هيرودوت (١: ١٠٣- ١٠٧).

www.christianlib.com

في الحقيقة، سارت بجانب السواحل. ولكنَّ داخل البلاد لم يتأثر بما تركوه من خراب. غير أنّ التهديد على يهوذا من هذه القبائل اللصوصيّة والقاسية كان من الثقل بحيث أن النبيّ الشاب أطلق «صفّارة الخطر». يتذكّر النبيّ العاصفة التي ستحطّ على البلاد بشكل كارثة وكارثة. وعاش إرميا الحدث، وفي قصيدة الوجع، كما في نشيد جنائزي مع إيقاع يوافق ضيقه، فارتعدت أحشاؤه وارتجف قلبه (ع. ١٩): «أحشائي أحشائي».

ينقسم هذا الفصل إلى أربعة مقاطع:

٤: ٣-٨ تجديد تام قبل الخطر

ع. ٣: لأنه هكذا قال الرب. الكلام يتوجّه إلى يهوذا وأورشليم. ولم يعد من كلام على مملكة إسرَإيل. **لا تزرعوا في الأشواك.** هذا يتمّ بعد الحراثة والفلاحة. نظّفوا الأرض من أجل غلّة وافرة.

ع. ٤: وكما في الأرض، كما في الإنسان، **اختتنوا للرب.** مثل هذه الختانة تجعل فكر الإنسان وإرادته مستعدّين للقيام بالعمل (را. تث ١٠: ١٦؛ ٣٠: ٦). وهناك ختانة الأذنين، تكونان مفتوحتين (را. ٦: ١٠). وإن لم تتمّ هذه الختانة يأتي التهديد: **النار التي تحرق.**

ع. ٥: بما أن الشعب رفض التوبة، أطلّ الاجتياح. **اضربوا بالبوق** (را. إش ٢٧: ١٣، زك ٩: ١٤).

ع. ٦: آتي بشرٍّ من الشمال. من هناك تأتي الحرب وما يتبعها من شقاء (٦: ١؛ ١٥: ١٢؛ ٥٠: ٣). ترك النبي الكلام السياسي والحربي، واعتبر أن كل ما يحصل هو من لدن الرب. قال: «أنا آت». نحن لا نرى مشروع الله للبشر، ولكنّنا نكثّف يد الإنسان وما يمكن أن تفعله. نتذكر هنا الحرب العالميّة الثانية مع ستين مليون قتيل، عدا المعاقين، مع خراب لم تعرفه البشرية من قبل. ومع ذلك، هناك من يتّهم الله: إن هو لم يفعل، فلماذا سمح للإنسان أن يفعل؟ أما هو كلّيّ القدرة؟

ع. ٧: صعد الآن. هو نبوخذنصر. ويصوّر لنا السفر ماذا سوف يفعل، فلا يبقى للشعب سوى التوبة ولبس المسح والصوف، علّ الله يرأف بشعبه (ع. ٨).

٤: ٩-١٨ ضياع تام وكلام النبي

ع. ٩: الملك، الكهنة، الأنبياء، كلّهم صُعقوا. هنا يحتجّ النبيّ. وعدتَنا بالسلام فأين هو هذا السلام؟ بل السيف والموت. أو أنّ إرميا ظنّ أن الأنبياء الذين تكلّموا بالسلام كانوا مرسلين من لدن الله (١٤: ١٣)، ولكنّهم كانوا خادعين وكأنّ الله خدع شعبه. كل شيء يعود إلى الله. فلماذا لم يوقفهم عن الكلام؟

ع. ١١: فلا بدّ للنبي من أن يتكلّم ويحثّ شعبه على الرجوع إلى الله. ويصوّر الاجتياح مثل **ريح لافحة** مشتعلة. **بنت شعبي** أي شعبي. هي طريقة تنظر إلى المرأة كـ «أم كلّ حي»، هي **ريح شديدة** (ع. ١٢) **تأتي من هذه** أي من هناك، وكأن النبي يراها ويدلّ عليها بإصبعه.

ع. ١٣: كسحاب، كزوبعة. سرعة الخيل. رأى الناس ما ينتظرهم فخافوا.

ع. ١٤: اغسلي من الشرّ قلبكِ. هي التوبة والرجوع إلى الله. مرات نحسّ بالخطر فنحاول العودة إلى الله بأعمال البرّ. ذاك ما فعله الشعب وقت الحصار: حرّروا عبيدهم. ولكن ما إن زال الخطر حتى استعادوا عبيدهم، مع أن السنة كانت سنة الإعفاء.

ع. ١٥: من دان. هي في أقصى الشمال وأول مدينة اجتاحها العدوّ في فلسطين. ثم **جبل أفرايم**: وصولًا إلى أورشليم. جيش كبير، سريع، امتدّ في البلاد كلّها.

ع. ١٨: طريقك وأعمالك صنعت كل ذلك. هو المبدأ المعروف في أرض إسرَإيل: حين تطلّ الحرب يعرف الشعب خطأه. والشقاء هو ثمرة أعماله.

٤: ١٩-٢٦ تمزّق النبي أمام قرار الله

رأى النبيّ الشقاء الذي حل بالأرض، فتمزق قلبه. ما تحسّ به البلاد من دمار، كدت أقول: من وجع، يحسّ به النبي في أمعائه قال: **لا أستطيع السكوت.** وينتظر الوقت الذي فيه تختفي راية العدوّ. ومتى يتوقف الضرب بالبوق.

ع. ٢٢: بعد أن تكلّم النبي وصرخ: **أحشائي، أحشائي.** ها هو الرب يتكلم، يعلن قراره وهو عارف بضعف الإنسان: **هم جاهلون غير فاهمين.** وهنا يأتي القول المأثور: حيث الإنسان يقوده ميله. قال الرسول: لا أعمل الخير الذي أريد، وأعمل الشرّ الذي لا أريد. وهنا قال النبيّ: حكماء في عمل الشرّ ولا يفهمون عمل الصلاح. هي حالة من التعاسة عاشها الشعب في ذلك الوقت وهو غافل عن إلهه. ويتطلّع إلى هنا وهناك لكي ينال العون والمساعدة. لو أنّنا نبدأ بعمل الخير صغارًا، لكنّا نواصله حين نكون كبارًا، ونحن لا نقول عن أولادنا: إنّهم أضاعوا الطريق. عمليًا، ما قدّم لهم الوالدون النور الذي يضيء على الطريق التي تقود إلى الحق والحياة.

ع. ٢٣: الأرض خربة وخالية. هكذا كانت في البداية، وقبل أن يحلّ عليها روح الله فيرتّبها ويجعل فيها الحياة (تك ١: ١). هذا ما يُدعى الشواش القريب من العدم. ذاك ما تفعله الحرب. مدن ألمانية مثل دراسدن لم يبقَ فيها حائط واحد والقتلى وصلوا إلى مئة ألف. ولا نقول شيئًا عن هيروشيما وناجازاكي اللتين ضربتهما القنبلة الذرية. تحوّل كل شيء. لم يبقَ ناس، لا رجال ولا نساء ولا أطفال. مدينة الأحياء صارت مدينة أموات. البساتين أضحت

www.christianlib.com

صحراء. وحلّ الحريق بالمدن. والسبب الأوّل: **حميّتي غضبُ الله.** ولكن غضب الله هو ألم وبكاء على ما يحصل على الأرض بعد الحروب. ولا نحسب أن الرب كان فرحًا، «شامتًا» لما حصل لأورشليم وبلاد يهوذا، وكأنه إنسان يحبّ الانتقام. فالله بعيد كل البعد عن هذا. ومن يدري لو أن الله لم يعفُ، لكان حصل شرّ أكثر ممّا حصل. وفي أيّ حال، نعرف التهديد الذي تعرفه الأرض في هذه الأيام. فكيف يتصرّف المؤمن؟ وبأي قدر يعمل من أجل السلام في بيته، في محيطه.

٤: ٢٧– ٣١ الله يعاقب شعبه

ع. ٢٧: خرابًا تكون الأرض. هذا ما يفعله الإنسان ولا يتعلّم. وهو من يعارض الله ربّ الحياة. أما الإنسان فيزرع الموت. وفي الحال يتدخّل الله: **ولكني لا أفنيها.** هو لا يسمح بفناء الأرض والسكان. هو يضع حدًّا. أمّا كيف يتصرّف؟ فهذا سرّ الله.

ع. ٢٨: الأرض تكون حزينة على ساكنيها. والسماء لا يعود نور فيها. تمسي مظلمة. والسبب: «أورشليم خدعها عشّاقُها» من دول وآلهة كاذبة.

ع. ٢٩: وهكذا فرغت البلاد من السكان. وماذا تفعل «بنت صهيون»؟ تهتمّ بجمالها، بلباسها لكي تليق بعشاقها، بآلهة الخشب والحجر.

ع. ٣١: ويعلن النبيّ ألمه: المرأة التي تلد، ترضع، وكلّ واحد يصرخ: «ويل لي» بسبب القاتلين.

٣– الخلاصة

حين نقرأ الكتاب المقدس، نتأمل بالنصّ وننزع صعوباته. وبعد ذلك نسعى لندخله في حياتنا. ومن الضروري أن يصبح كلام الله جزءًا منا. وهنا، أمام الحرب الآتية وأمام الضياع الذي حلّ بالناس، من الملك إلى شعب الأرض، يعلن النبي التجديد التام. أو هو يقول للرب: تجدّد شعبك، فلا حاجة بعد لضربة توقظنا من سباتنا. ولكن ما زال الشعب على حاله. خصوصًا العظماء فيه الذي يجدون شهرة ويرونهم الناس حين يشاركون في عبادة البعل وما فيها من أبّهة، من رقص وغيره. وكل هذا الاحتفال الصاخب لا تعرفه شعائر العبادة في يهوذا إلّا ما يدخل إليها من عالم فينيقية أو مصر أو غيرهما. هذا يدعو كلّ واحد منّا أن ينطلق من الواقع الذي يعيش فيه: خراب فما بقي شيء. ماذا نفعل؟ نهرب؟ بل نضع يدنا في العمل خصوصًا إذا كانت إعادة البناء بدأت. هل نبقى مكتوفي الأيدي، أم نتعاون بعضنا مع بعض؟ وهذا ما يريده النبي: أن نكون معًا، أن نعمل معًا، وأن نحمل بعضنا أثقال بعض، وهكذا نتمّم شريعة المسيح.

٥: ١– ٣١ إعلان الحكم على يهوذا

١– المقدمة

طوفوا في شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا. تلك هي بداية الفصل الخامس. فالنبي حمل سراجًا مثل ديوجين ليرى إن كان يوجد بار واحد في يهوذا وفي عاصمتها. إذا لم يكن بار، فكيف يصفح الله. هي أقوال تتوسّع في الموضوعات عينها: الجور والفساد يسودان في كل مكان من يهوذا، بالرغم من التنبيهات، فيلقيان الظلمة على الحس الخلقي لدى الشعب ولدى حكّامه، وينتجان العنف والدمار على جميع المستويات. ويجتذبان الاجتياح في النهاية. وهكذا أطلّ كلام النبي: «آثامكم بلبلت هذا النظام وخطاياكم منعت الخير عنكم» (ع. ٢٥).

أما التصميم، فجاء في ثلاث محطات: الأولى (٥: ١– ١٩) جرائم يهوذا تدعو العقاب والربّ لم يكن متسرّعًا، بل قام يبحث كما فعل مع إبراهيم بالنسبة إلى سدوم. إن وجد فيها على الأقلّ عشرة أبرار. ولكنّه لم يجد (تك ١٨– ١٩). فنالت الدمار. والثانية (٥: ٢٠– ٢٥) تطرح السؤال على المؤمنين: مَن يرسل المطر على الأرض، الربّ أم بعل؟ والآن، من هو سبب القحط وما يكون تأمّل المؤمنين ليصلوا إلى الربّ. والثالثة (٥: ٢٦– ٣١) يرى النبيّ أن أصل الشرّ هم العظماء. هم المذنبون وهم وحدهم يستحقّون العقاب. ولكن عمليًا هم الصغار ينالون العقاب، بل يعرفون الجوع وسط الحصار. والذي حصل: مضى الملك والذين حوله إلى المنفى.

٢– تفسير النص الكتابي

٥: ١– ١٩ جرائم يهوذا وعقابها

ع. ١: طوفوا. هي صيغة الجمع. فإرميا ليس وحده، بل هو برفقة الملائكة الذين تسلّموا مهمّة البحث والتفتيش. نتذكر زوّار إبراهيم الثلاثة (تك ١٨: ١٦– ٢١) قبل أن تنال سدوم ضربتها. والأمر عينه حصل لحزقيال «وَإِذَا بِسِتَّةِ رِجَالٍ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ الْبَابِ الأَعْلَى الَّذِي هُوَ مِنْ جِهَةِ الشِّمَالِ» (حز ٩: ٢). وها هو إرميا الذي حضر مجلس الملائكة السماوي (٢٣: ٢٢، ١ مل ٢٢، ١٩: ٢٢... وما يليه). لهذا دُعي إرميا للمشاركة في البحث على ذنوب أورشليم. والرب أراد ذلك قبل أن يعلن الحكم النهائي (٦: ٢٧– ٣٠؛ را. تك ١١: ٥– ٧). **هل تجدون إنسانًا.** الإنسان الحقيقي هو الذي يحفظ الحق بسلوكه الشخصي كما بنشاطه العام. فالرب يطلب منه هذا قبل أن يطلب منه شيئًا آخر. واليوم، أين هو الإنسان الحقيقي؟ صاحب المال، صاحب الجاه... كم نُغشّ بالظواهر على مثال صموئيل الذي جاء إلى بيت يسّى ليختار ملكًا بعد شاول الذي رُذل، مع أنه

www.christianlib.com

كان طويل القامة، لأنّه فضّل أن يسمع صوت الشعب وصوت الجيش لا صوت الله (١ صم ١٥). أخذ صموئيل بشخص أليآب. فقال: «إِنَّ أَمَامَ الرَّبِّ مَسِيحَهُ (أي الشخص الذي نمسحه ملكًا)». فأطل جواب الله رافضًا كل تصوراتنا لاختيار الإنسان الحقيقي.

«لاَ تَنْظُرْ إِلَى مَنْظَرِهِ وَطُولِ قَامَتِهِ لأَنِّي قَدْ رَفَضْتُهُ. لأَنَّهُ (أي الرب) لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الإِنْسَانُ. لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ (الجميلتين)، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ» (١ صم ١٦: ٦-٨).

وقُدّم المحاربون في بيت يسى، والد داود، أبيناداب، شمّه... «وهذا لم يختره الرب» (ع. ١٠). من الذي اختاره الرب؟ «الصغير الذي يرعى الغنم» (ع. ١١). عندئذ قال الربّ: «قم امسحه!» (ع. ١٢).

أيوجد عامل بالعدل طالب الحق. كلهم يعملون الجور، وما من أحد يجرؤ أن يطالب بحق الضعفاء، لأنّه قد يخسر في المجتمع.

فالإنسان الذي يطلبه الله والذي يمكن أن نثق به، هو الذي تصرّفه يجعلنا نشعر بالثقة باستقامته وأمانته. هكذا يكون القضاة: ما قيل لموسى: «ذوي قدرة، خائفين الله، أمناء، مبغضين الرشوة» (خر ١٨: ٢٠). يعرفون «الطريق الذي يسلكونه، والعمل الذي يعملونه»، **فأصفح عنها.** الرب مستعدّ أن يصفح إن وجد إنسانا واحدًا! بالنسبة إلى سدوم توقف عند عشرة أبرار (تك ١٨: ٣٢). وأما هنا فكان الرب مستعدًا لأن يجد واحدًا فقط. فما وجد. بل نحن وجدنا واحدًا هو يسوع المسيح، وبه نلنا الصفح عن جميع خطايانا. «ولكن الله بيّن محبّته لنا، لأنّنا ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا» (رو ٥: ٨).

ع. ٢: إن قالوا حيّ الرب. إن أقسموا، حلفوا، **يحلفون بالكذب.** هؤلاء هم معاصرون لإرميا الذين لا شيء يغيّرهم... لا يعرفون **قضاء إلههم.** كيف يقضون للناس ويهتمّون بهم. أيتشبهون بالله كالأبناء الأحبّاء؟ بل هم **مساكين**، صغار النفوس والقلوب.

ع. ٥: انطلق إلى العظماء. ما تبدّل شيء في المجتمعات. وماذا وجد النبيّ هناك؟ على كلّ حال سيأتي العقاب: الأسد، النمور... الوحوش ترمز إلى عالم الشرّ (ع. ٦).

ع. ٧: إذا كانت أمورهم هكذا، قال الرب: **كيف أصفح.** فصَفْحُ الله لا يُفرَض فرضًا على الإنسان، بل يُقدَّم. إن قبله نال الخلاص وإلّا كان ما ناله من نعَم لهلاكه، كما كان الأمر بالنسبة إلى يهوذا الذي باع معلمه وكانت نهايته كما نعلم. **لمّا أشبعتهم زنوا.** أي راحوا وراء الأصنام وخانوا الرب. صورة قبيحة جدًا.

ع. ٩: أما أعاقب على هذا؟ نتذكر أن الشعب العبرانيّ لم يعرف الحياة في الآخرة. من عمل خيرًا ينال المكافأة على هذه الأرض. ومن عمل شرًّا ينال العقاب. فالرب قاضٍ عادل يحاسب كل إنسان بحسب أعماله.

ع. ١٠: فسدت أخلاقهم. ومع ذلك هم يجادلون الرب: أهكذا تعاملنا؟ سيكون لنا سلام! إذًا كلام الرب ليس بصادق!! بل يقولون: هو غير موجود. وإن كان موجودًا فلا يفعل خيرًا ولا شرًّا. ذاك ما يقوله الأنبياء الكذبة لكي يخدّروا المؤمنين. وهم موجودون الآن، كما قال الرب يسوع: «يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلٍ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ».

ع. ١٣: الأنبياء (الكذبة) **يصيرون ريحًا**، أو تنقلهم الريح فلا يُعرف أثر لهم. **والكلمة ليست فيهم**، أي كلمة الله. فليس الله هو مَن يتكلّم فيهم، بل نزواتهم ومنافعهم. كل واحد له كلماته، فيخدّر الناس ويستعبدهم فيكونون له لا للرب. هم يعظون بأنفسهم.

ع. ١٤: هكذا قال الرب. أهذا هو كلامي؟ لا. لهذا سيكون كلامي في **فمك نارًا.** والنار علامة حضور الله. تحرق كلّ شرّ ولا تبقي على أثر. أما في فم إرميا فتدلّ على أنه نبيّ صادق وكلام الرب في فمه. وما تكون نتيجة هذا التصرف؟ السيف والجوع والمنفى.

ع. ١٥: أجلب عليكم أمّة لا تعرف لسانها. هم البابليون الآتون من البعيد. **جعبتهم كقبر مفتوح** (ع. ١٦) فيها السهام الكثيرة التي لا تخطئ، فيكثر عدد الموتى. **فيأكلون حصادك...** لا يتركون لك شيئًا. هكذا كانت تصرّفات الجيوش، وهكذا هي الآن، حين يدخلون بلدًا من البلدان يسلبون، ينهبون، يقتلون... هم **جبابرة**، أبطال. والناس تركض وراءهم.

ع. ١٨: وأيضًا في تلك الأيام، يقول الرب، لا أفنيكم. الرب لا يزيل شعبه من الوجود، فتبقى بقيّة تعود من المنفى وتعيد البناء.

ع. ١٩: وتقولون: لماذا صنع الرب إلهنا بنا كل هذه؟ لا جواب بشريًا. ولا حاجة إلى تحليل سياسي وحربي: القوى لم تكن متعادلة، بل هو سبب ديني. تركتم الرب لتعبدوا آلهة غريبة. إذًا تخدمون الغرباء **في أرض ليست لكم.** وذاك هو الذي حصل حين مضى الملك والعظماء إلى المنفى البابلي. هي نظرة تأملية في الوضع الذي يعيشه الناس سنة ٥٨٧-٥٣٨، أي في زمن النفي البابلي. ولكن لا هم تعلّموا، ولا نحن أبناء القرن الحادي والعشرين نتعلّم. أفكارنا هي أفكارنا، ويجب أن يمسي الرب معنا ويدافع عنا، ولو كنا في أعمق أعماق الكارثة. إلّا أن الرب قال غير هذا في النبي إشعياء: «لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ» (إش ٥٥: ٨-٩).

٥: ٢٠-٢٥ وحلّ القحط والجفاف أما كفت الحرب لكي يحثّ الشعب؟ إنّ الرب غير راضٍ عليكم؟ وها هو الجفاف وما يحمل من مجاعة. وفي أي حال، وقت الحروب يمضي الرجال إلى الحرب ويتركون شغل الحقل. وكما بعد الحرب العالميّة الثانية، أكلت اليابان الفئران. ولم يسمح للشخص بأكثر من ثلاث فئران. تلك هي نتيجة الحروب التي يطلقها الكبار فيسير الصغار وراءهم مثل غنم،

www.christianlib.com

كما قال أحدهم: «الشعب عميان يسيرون وراء قائد واحد»، ولسنا ندري إلى أين يصل بهم.

ع. ٢٠: ضاع نظام الخليقة بسبب عدم معرفة الرب. تبعوا آلهة من نوع آخر، وتركوا الرب. **بيت يعقوب** هو بيت **يهوذا**. هم جهّال، لا يفهمون (ع. ٢١). **لهم عيون ولا يبصرون**. أو هم لا يريدون أن يبصروا، كما قيل: ما من أعمى إلا ذاك الذي يرفض أن ينظر، أن يرى. **لهم آذان ولا يسمعون**. ذاك ما قال الرب للفريسيين الذين يجادلون الأعمى منذ مولده ليبعدوه عن يسوع. قال الرب: «لَوْ كُنْتُمْ عُمْيَانًا لَمَا كَانَتْ لَكُمْ خَطِيَّةٌ. وَلكِنِ الآنَ تَقُولُونَ إِنَّنَا نُبْصِرُ، فَخَطِيَّتُكُمْ بَاقِيَةٌ» (يو ٩: ٤١). كم نحن قريبون هنا من الخطيئة ضدّ الروح القدس: لا نريد أن نسمع، لا نريد أن نرى. وإن عمل يسوع معجزة، إن أخرج الشياطين، قالوا إنه باسم الشياطين يفعل. لا نريد أن نقرّ بوجود الخير عند الآخرين.

ع. ٢٢: ماذا نقص الشعب؟ **لا تخشون** (أو لا احترام عندكم للرب). **لا ترتعدون** مع أن الدينونة آتية. را. ٢: ١٩. وهل تعرفون من هو الله؟ هو مَن **وضعَ الرمل تخومًا للبحر**. فلا تصل مياهه- وما ترمز فيه إلى الشرّ، إلى الشعب. قلبهم يعصى الرب، يجحده ويعتبر أنه غير موجود (ع. ٢٣).

ع. ٢٤: من تعبدون؟ الله أم البعل؟ من تخافون؟ **يا ليتهم خافوا في قلوبهم قالوا: لنخف الرب إلهنا**. هو يهتم بنا كما الأب بأولاده: يعطينا المطر، يحفظ وقت الحصاد. فماذا تنتظرون بعد ذلك؟ الرب يسوع قال لنا: «لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ... اُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ... تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ...» (مت ٦: ٢٥- ٢٨). أما نحن فنعبد الرب الآخر: المال. هو مامون. نستطيع أن نستند إليه لأنه ثابت، نراه بعيوننا، نمسكه بأيدينا. أمّا الله، فلا يُرى.

ع. ٢٥: آثامكم... خطاياكم، منعت الخير عنكم. اتّكلتم على المال وعلى البشر وسوف نرى ماذا سوف ينفعكم الناس حين تأتي الكارثة.

٥: ٢٦- ٣١ خطايا العظماء

ع. ٢٦: أشرار، يحملون ذنوبهم. **ينصبون الأشراك**. والمقابلة هائلة بين القفص المليء بالطيور وبيوتهم المملوءة بالذهب. هم أغنياء أغنياء، والشعب فقراء فقراء. وخلال الحرب يحصر الكبار الخير في بيوتهم فيموت الناس جوعًا. أمّا هم فاستفادوا وجمعوا الغنى، والناس تكلّموا عن غناهم، لا عن جورهم ومالهم الذي هو سرقة كلّه. **من أجل ذلك عظموا واستغنوا**، أو صاروا عظماء، صاروا أغنياء. والجميع سوف يلجؤون إليهم. مثل هؤلاء الكبار ضميرهم مرتاح وهم راضون عن نفوسهم ونحن نحترمهم.

ع. ٢٨: سمنوا، أي صاروا سمانًا، **لمعوا**. صاروا لامعين، معروفين. وهكذا **نجحوا**. ذاك هو العثار الذي يعرفه المؤمنون. أساليب رديئة ولكنّها ترفعنا في المجتمع (را. مز ٧٣: ٣- ١٢). هؤلاء الأغنياء قالوا: «كَيْفَ يَعْلَمُ اللهُ(بنا)؟ وَهَلْ عِنْدَ الْعَلِيِّ مَعْرِفَةٌ؟» (مز ٧٣: ١١). لأنه راضٍ عنا ولا يريد أن يزعجنا. أو بالأحرى، لا أنبياء يجسرون أن يزعجوا مثل هؤلاء الناس، وخصوصًا المسؤولين في الكنيسة. «هُوَذَا هؤُلاَءِ هُمُ الأَشْرَارُ، وَمُسْتَرِيحِينَ إِلَى الدَّهْرِ يُكْثِرُونَ ثَرْوَةً» (مز ٧٣: ١٢). هكذا هم الأغنياء، ولا نحسب يومًا أن ثروتهم هي بركة من الله. مالهم مال ظلم. متى يصبح مال حق؟ حين يوزعونه على الفقراء فيستقبلهم هؤلاء في المنازل الأبديّة.

ع. ٣٠: طريق الأصنام. طريق **الكذب**. تشبه طريق العار (٣: ٢٤). لا يريد النبيّ أن يذكر اسم البعل فيدعوه الكذب، العار... والرسول قال لأهل كولوسي: «اطْرَحُوا عَنْكُمْ... الْكَلاَمَ الْقَبِيحَ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ» (كو ٣: ٨). **والكهنة تحكم على أيديهم**. أو هم يقطفون بأيديهم كل ما يصل إليهم. أو ربما يسيطرون على الشعب. والشعب يحبّ السيطرة والعبوديّة. يا للكلام القاسي في الماضي واليوم، وفي كل يوم.

٣- الخلاصة

شعب لا يخرج من الأمور المادية ومن الطمأنينة الكاذبة. والرؤساء من كل نوع يفرحون بهم لأنّهم جاهلون، لا يفهمون. بل هم يمنعونهم من الفهم. وهكذا يلبثون مسيطرين عليهم. يكفي أن يكون العظماء متعلّمين أما الآخرون فهم عبيد لديهم. يأخذون لهم أرزاقهم كما فعل الملك أخآب بنابوت اليزرعيلي (١ مل ٢١). ولكن النبي إيليا سبقه إلى هناك. كم هو مهمّ نداء يرسله الله إلى كلّ إنسان فيتعلّم أن يقرأ علامات الزمن. لهذا قال الرب لأولئك الذين طلبوا منه آية: مثلًا أن تنقلب السماء سوادًا وأن يغيب القمر. ما نفع هذا من أجل المؤمنين؟ أما يسوع فقال لهم: تعرفون أن تميّزوا أحوال الطقس ولا تعرفون أن تميّزوا نداء الرب. ومهما غفر الرب وسامح، يتقبلون غفرانه ويعودون سريعًا إلى ما كانوا عليه. وبعضهم يبقى قاسي الرقاب. نبوءة تعود إلى ما قبل المسيح، وهي تتوجه إلينا اليوم. يا ليتنا نسمع!

٦: ١- ٣٠ أورشليم تحت الحصار

١- المقدّمة

الجور في البلاد يقود إلى الخراب، والعمى لدى الشعب يصل به إلى الموت، لاسيّما إذا كان الملك والعظماء يسيرون أمام صغار القوم فينظرون إليهم بإعجاب مهما كان نبع الثروة التي وصلت إليهم. غير أن السفر لا يتحدّث عن الأسباب السياسيّة والحربيّة. أما

www.christianlib.com

النبي فيرى العلاقة بين الله وشعبه: شقاؤكم يعود إلى خطاياكم. أتركوا الرب فيترككم، اقتربوا منه فيقترب منكم. لا يريد أن يعاملكم بقدرته بل بحنانه، ولذلك يبدو ضعيفًا. وهو قويّ لدى الذين يحبونه، فيقوّي ضعفهم إن كان من ضعف، ويجدّد قلوبهم إن كان من سماع يجعلنا نفتح له الباب.

ثلاثة فصول تتحدّث عن حالة الخطر الذي يهدّد شعب يهوذا وأورشليم. يحاول النبيّ باسم الرب، ولا من يسمع. وسيأتي يوم يمنعونه من الذهاب إلى الهيكل، بانتظار أن يسجنوه أو يجعلوه في إقامة جبرية بحيث لا يحقّ لأحد أن يقترب منه ويسمعه. فيلجأ إلى سكرتيره باروخ.

لهذا جاءت هذه الأقوال الدراماتيكيّة التي تعدّنا للمأساة التي تحلّ بالشعب. وتتناوب المقاطع: الاجتياح - نداء إلى التوبة: «اهربوا يا بني بنيامين» (ع. ١)، «هكذا قال الرب» (ع. ٦)، «تتحوّل بيوتهم إلى آخرين» (ع. ١٢) وهم يقولون: «لا نريد أن نسمع» (ع. ١٧). الله يكلّمنا بواسطة الأحداث وبما يقوله النبي. وهنيئًا لنا إن نظرنا وفهمنا وسمعنا.

أربع محطات في هذا الفصل. الأولى: رؤية دمار أورشليم (٦: ١- ٨) والثانية: شعب قساة الرقاب (٦: ٩- ١٥) والثالثة: احتقروا تعليم الرب (٦: ١٦- ٢١). الرابعة: وانطلق الاجتياح (٦: ٢٢- ٣٠). ويأتي كلام الرب بشكل ردة تتكرّر: «لأنه هكذا قال ربّ الجنود» (أو: ربّ الأكوان) (ع. ٦) وفي ع. ٩: «هكذا قال الرب». وفي ع. ١٦: «وهكذا قال الرب». وفي ع. ٢٢: «هكذا قال الرب». من خلال الأحداث يكلّم الرب شعبه. كما كان يفعل على جبل سيناء وسط الرعود والبروق والسحاب الثقيل على الجبل (خر ١٩: ١٦).

٢- تفسير النص الكتابي

٦: ١- ٨ رؤية دمار أورشليم في ع. ١- ٥ يتكلّم النبي على بداية الهجوم على أورشليم. وفي ع. ٦- ٨ يستحلف الرب المدينة المحاصرة.

ع. ١: اهربوا يا بني بنيامين. نتذكر هنا أن الهيكل بُني في أرض بنيامين التي ستنضمّ فيما بعد إلى يهوذا. احثوا عن ملجأ. ولكن إرميا سبق وقال لهم (٤: ٥- ٦): الجأوا إلى أورشليم. غير أن الأعداء هاجموها (٤: ٢٩- ٣١)، فلا بدّ من الانطلاق إلى الجنوب واللجوء هناك إلى تقوع (عا ١: ١)، ثم **بيت هكاريم**، بلدة في الجنوب أيضًا. **الشرّ أشرف من الشمال**. فمن الشمال يأتي الشرّ. وهو يقابل **صهيون** (ع. ٢) أو المدينة المصونة بعين الربّ ويده.

ع. ٣: يأتي الرعاة. أصبحت مرعى للغنم بعد أن دُمّرت. وهكذا حلّ الظلام في البلاد بعد أن كانت أورشليم، مدينة الملك العظيم، تضيء في كل مكان. هو الهجوم **في الليل** هدم قصورها.

ع. ٦: وها هو الرب يكلم بحنان المدينة المقدسة. ولكنها الآن تحت الحصار. وتأتي الصورة. كما **العين** ممتلئة بالمياه، هكذا المدينة مملوءة بالشرّ. **ظلم**، خطف. **هو مناخ الاجتياح ولا من يقف في وجه الظالمين ليقيم العدالة.**

ع. ٨: تأدبي يا أورشليم. خذي الدرس، اقبلي التأديب. افهمي من هذه العلامة ما ينبغي عليك أن تفعلي.

٦: ٩- ١٥ شعب قساة الرقاب

ع. ٩: هو العقاب لمن يرفض التوبة. وفي أي حال، لم يبقَ أحد. ربّما عنقود هنا وآخر هناك على الجفنة.

ع. ١٠: أكلّمهم، أنذرهم ولكن من يسمع. **آذانهم غلفاء**. أي غير مفتوحة، منغلقة، صمّاء. را. ٤: ٤. لا مكان لصوت الله. هم لا يتقبلون ما يقوله الرب، بل يعتبرون كلمة الرب **عارًا**، يستحون منها. لهذا **لا يسرّون بها**.

ع. ١١: فامتلأت من غيظ الرب. دلّهم على طريق السعادة. فقالوا: لا نتبعها. وما من استثناء. كلهم اتفقوا، من الصغار إلى الكبار. لأنّهم سمعوا من الأنبياء الكذبة: سلام، سلام، سلام. ثلاث مرات. إذًا، لا يصيبهم شيء. الأمور على أحسن ما يرام. ولكن شيئًا ليس كما يُرام (ع. ١٤). وفي أي حال، **ما خزوا**، ولا أخذ منهم الحياء أيّ مأخذ. لهذا هم أيضًا **يسقطون، يعثرون** مثل سائر البلدان المحيطة بهم. **قال الرب**. وحين يقول الرب فهو يفعل. فلا مسافة بين قوله وفعله كما هو الأمر بالنسبة إلينا. وماذا يكون كلام البشر مقابل كلام الرب، وما تكون شهادتهم تجاه شهادته.

٦: ١٦- ٢١ بل احتقروا كلام الرب الله لا يعرف أن يتدبّر الأمور. هو بعيد. أما البشر فأكثر نباهةً وذكاء. بل أكثر اعوجاجًا والتواءً. دلّهم الرب على طريق السعادة، فما أرادوا أن يسيروا فيها، بل هم يسيرون في طريقهم. لا مجال **للسبل القديمة التقليديّة** التي عرفها الآباء حين سمعوا كلام الرب (١٨: ١٥؛ مز ١٣٩: ٢٤). نحن تركنا القديم وفتحنا طرقًا غير طرق آبائنا. أما كلام الله فعفا عنه الزمن.

ع. ١٧: أقمتُ عليكم رقباء، هم حراس. يدلّونكم على الطريق لئلّا تتيهوا. والحراس هم الأنبياء. هم أوّل من يرى الخطر وبالتالي العقاب، ويدعو الشعب إلى التوبة لعلّ الرب يرحمهم ويسامحهم.

ع. ١٨: لذلك اسمعوا أيّها الشعوب. أيها الأمم. رفض شعب الله أن يسمعوا، فتوجّه النبي إلى الأمم. كم شابه بولسُ الرسول هذا النبي. بدأ البشارة لليهود في المجامع، ولما قاوموه، قال: «كان يجب أن نكلمكم أنتم أولاً، أيها اليهود، بكلمة الله. ولكن إذ دفعتموها (أو: رذلتموها، رفضتموها) عنكم، وحكمتم أنكم غير مستحقين الحياة الأبدية، نتوجّه إلى الأمم» (أع ١٣: ٤٦). ربّما يغار اليهود

www.christianlib.com

ويتحرّكون. ولكنّهم ما تحرّكوا ولبثوا على عناد قلوبهم. قال اليوناني: «الأمم سمعوا ومثلهم أولئك الذين يرعون لهم قطعانهم».

ع. ١٩: اسمعي أيتها الأرض. ستكون شاهدة على كلام الرب. هكذا دعا يشوع الشمس والقمر ليشهدا عمل الله في انتصار شعبه.

ع. ٢٠: اللبان من سبأ. هكذا يحاولون أن يرشوا الله ليسكت عنهم. البخور من الجنوب العربي والقصب من أرض بعيدة، لا يقال اسمها، ولكن البعد يدلّ على أنها كلّفت غاليًا. ثم المحرقات، ثم الذبائح. هي أفعال عبادة خارجيّة وثورة داخليّة. لا يكرمونني بشفاههم، وقلبهم بعيد منّي. وقال الرب بفم إشعياء: «لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة... البخور أنا أكرهه. وكذا رأس الشهر... فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم» لئلا أراكم (١ يش ١: ١٣).

هي عادة عندنا. أن نغطي عدم اهتمامنا بالقريب والابتعاد عن المسؤوليات في المجتمع، بصلوات واحتفالات وغيرها.

ع. ٢١: لذلك هكذا قال الرب (٤: ٣؛ ١٣: ١... وما يليه). وهكذا يبدأ الرب كلامه. ترد هذه العبارة ٧٨ مرة. ويقول: «رب الصباؤوت»، ولكننا لا نجد هذا في اليوناني. والرب **يضع معثرات**. ما يعثرون بها فيسقطون ويموتون.

٦: ٢٢-٣٠ وانطلق الاجتياح

ع. ٢٢: هي صورة عن الآتين من الشمال، من البعيد. والأسلحة: القوس والرمح. هم على الجياد. **لمحاربتك يا بنت صهيون**، أي مدينة صهيون، أي أورشليم (ع. ٢٤).

ع. ٢٤: سمعنا.. فارتخت أيدينا. السماع كان له هذا الوقع على الشعب وعلى المدينة. أين كانوا حين وبّخهم النبيّ ودعاهم للرجوع إلى الله.

ع. ٢٥: لا تخرجوا إلى الحقل. كل واحد يقيم في بيته ولا يخرج منه. هو السيف ينتظركم. وهكذا صوّر الإنجيل الهجمة الرومانيّة على أورشليم سنة ٧٠ ب م: «لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ، وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلاَ يَنْزِلْ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا، وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ فَلاَ يَرْجِعْ إِلَى وَرَائِهِ لِيَأْخُذَ ثِيَابَهُ» (مت ٢٤: ١٦-١٨).

ع. ٢٦: يا ابنة شعبي، أي يا شعبي، مع التذكر أن المرأة هي أمّ كلّ حيّ (را. ٤: ١١). هو نداء إلى التوبة والحزن. هو آخر نداء إلى السلام (را. ٢٥: ٣٤؛ حز ٢٧: ٣٠).

ع. ٢٧: جعلتك برجًا في شعبي. هذا ما يعيدنا إلى ١: ١٨. ولكن اللفظ العبري «ب ح و ن» قد يعود إلى الفعل «ب ح ن»: جرّب، اختبر. فإرميا هو مَن يتعرّف إلى المعادن ليرى أي نوع هو شعبه. **نحاس وحديد**، لا ذهب وفضة. لسنا أمام معدن ثمين. وما هو أسوأ أن هذا المعدن هو فاسد ولا يمكن تنقيته ممّا علق به. ومهما فعلت النار فلا تستطيع أن تنتزع عن المعدن الأشياء الرديئة. وهكذا هو الشعب. **عصاة، متمرّدون**. لا سبيل لدعوتهم إلى التوبة. ربّما ماتوا ويجب أن ننوح عليهم كما على ابن وحيد (ع. ٢٦، **نوح وحيد**). هم **فضة مرفوضة**، لا نفع منها، ومَن رفضها؟ **الرب** الإله. كانوا فضة والآن هم حديد ونحاس وقصدير».

٣- الخلاصة

جاءت المحنة قاسيةً ولكنّ الشعب القاسي الرقبة لا يريد أن يلتفت إلى الرب، بل إلى «هدوئه وطمأنينته». لا تصدّقوا ما يقول لكم إرميا. فأنتم في سلام. وتبديل السوك؟ لا مجال إلى تبديله، فهم لا يريدون أن يروا ولا أن يسمعوا. أضحوا مثل معادن لا يمكن تنقيتها من الأشياء الرديئة مهما كانت النار قويّة. بل صاروا أنجس المعادن. كانوا فضة في يد الله، وهكذا ما زالوا يحسبون أنفسهم. ولكنهم لم يعرفوا إلى ماذا صارت هذه الفضة وإلى أيّ حال انحدر الشعب. هم يحتاجون إلى حفلة توبة وبكاء، إلى لبس المسوح. ولكنّهم يفضّلون قول النبي إشعياء: «لِنَأْكُلْ وَنَشْرَبْ، لأَنَّنَا غَدًا نَمُوتُ» (إش ٢٢: ١٣). وهكذا يصيبهم حسب ما قاله الرب يسوع عن قرب الساعة: «وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. لأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي الأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُزَوِّجُونَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ الْفُلْكَ (أو: السفينة) وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ وَأَخَذَ الْجَمِيعَ، كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ» (مت ٢٤: ٣٧-٣٩). وما يُقال عن الجماعة، يُقال عن كنائسنا، يُقال عن كل واحد منا. وأي نوع من المعادن نحن، وماذا ستفعل النار فينا، التي هي رمز إلى عمل الرب. هل نقبل التنقية أم نرفض التخلّي عن كل ما يعيقنا في مسيرتنا وراء الرب. أنشبه ذاك الشاب الغنيّ الذي دعاه يسوع «فَاغْتَمَّ عَلَى الْقَوْلِ وَمَضَى حَزِينًا، لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ» (مر ١٠: ٢٢). ولكنّ حزن يسوع عليه كان أكبر. وقد يحزن الرب علينا إن هو مرّ في حياتنا ولبثنا حيث نحن. وما أحلانا نعمل مثل برتيماوس الذي رمى عنه رداءه وما يحوي، وقفز وسار وراء يسوع.

٧: ١-٣٤ على باب الهيكل

١- المقدّمة

إن الخطبة على باب الهيكل قيلت سنة ٦٠٨ في ظروف ومع نتائج نقرأها في ف. ٢٨. ثم توسّع النصّ ليجمع كل موضوعات كرازة إرميا: تفاهة، ثقة عمياء بالهيكل، تعلّق بالحجارة. مثل التلاميذ حول يسوع. تقدّم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل. «فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ هُهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ!» (مت ٢٤: ٣). ولكن المؤمنين الأولين لبثوا متعلّقين بهذه الحجارة وشعائر العبادة اليهوديّة. فأطلت الرسالة إلى

www.christianlib.com

العبرانيين أو إنجيل يوحنا: الهيكل الجديد هو جسد يسوع الذي يُبنى بعد ثلاثة أيام (يو ٢: ١٩). أما متى فدعا الهيكل الذي دُمّر سنة ٧٠ بفعل الجيش الروماني «جثة»، فلا حاجة للبكاء عليها كما على ميت. قال: نحن النور، أي المسيحيّون الذين ينظرون إلى البعيد وينطلقون في الرسالة إلى الوثنيين، إلى «جميع الأمم» (مت ٢٨: ١٨)، أنلبث قرب جثة؟ قال الرب: «لأَنَّهُ حَيْثُمَا تَكُنِ الْجُثَّةُ، فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ النُّسُورُ» (مت ٢٤: ٢٨).

سنة ٥٨٧- ٥٨٦، أُحرق الهيكل بيد البابليّين واختفت كل المؤسّسات بعد أن ذهب الملك إلى المنفى، وتوقفت شعائر العبادة. المهم الآن الطاعة الحقيقيّة لوصايا الله (ع. ١- ١٥). ومُنع النبي من التشفع للشعب الذي عاقبه الله رغم ممارساته الدينيّة (ع. ١٦- ٢٠). غير أن الشعب رفض رفضًا قاطعًا أن يراعي مشيئة الله التي تجلّت على جبل سيناء وبفم الأنبياء (ع. ٢١- ٢٨). ولهذا كان العقاب قاسيًا (٧: ٢٩ - ٨: ٣).

وهكذا يكون التصميم في ثلاث محطات. في ٧: ١- ١٥ نبّه إرميا الشعب: ديانة بلا عدالة غشّ وكذب. والناس لا يقدرون أن يستندوا إلى ضمانة إلهيّة إن لم يكونوا أمناء للعهد. فالهيكل لا يمنح أي كفالة بأن الرب يحمينا. تذكروا ما حصل في شيلوه. المحطة الثانية في ٧: ١٦- ٢٨: غضبَ الله على شعائر عبادة لا قلب فيها. فالرب يعلن مرة أخرى أنّه لا يرضى بعبادة لا أمانة فيها لله ولوصاياه. فغضبُ الله على قدر حبّه الذي خاب حين رأى الشعب يرفض السماع. والمحطة الثالثة في ٧: ٢٩- ٣٤، إلى ٨: ٣ التخلّي عن ذبائح الأطفال التي بدأت في عهد الملك منسّى والتي يوشيا حاربها. كان الشجب قاسيًا تجاه بشاعة هذا العمل الذي لا يقبل به إنسان، وخصوصًا في أيامنا حيث رعاية الطفل أضحت مقدّسة في كل المجتمعات، إلّا حيث يكون الولد مُلك الوالد فيسخره ويجعله يشتغل، بل يرسله إلى الحرب من أجل جزاء كبير.

٢- تفسير النصّ الكتابي

٧: ١- ١٥ ديانة بلا عدالة

ع. ٢: **قف في باب بيت الرب.** من هناك يدخل الناس ومن هناك يخرجون. وهكذا يستطيع الجميع أن يسمعوا كلام الله.

ع. ٣: **أصلحوا طرقاتهم.** هو الأساس. تبديل الحياة لأن الوقت يفاجئ.

ع. ٤: **كلام الكذب.** يحمله الأنبياء الكذبة. يحسبون أن الهيكل لا يمسّه أحد. هو منيع، يكفي أن تلتجئوا إليه فتنجوا من كل خطر.

ع. ٤: **لا تتكلوا على كلام الكذب.** كلام سرابي لا يصل إلى نتيجة. إنّ **إصلاح الطرق**، العدل في القضاء بين الإنسان وصاحبه. لا مجال لرشوة ولا لشهادة الزور كما فعلت إيزابيل الملكة زوجة أخآب لتأخذ أرض نابوت اليزرعيلي (١ مل ٢١).

ع. ٦: **ومن الخطايا الكبيرة: ظلم الغريب واليتيم والأرملة.** هم الأشخاص الأضعف في المجتمع. ثم سفك الدم الزكي. فالأقوياء يسفكون دم الضعفاء وإن كانوا أبرياء مثل نابوت وغيره. وأخيرًا، الوصية الثانية، لا مكان للآلهة والأصنام. **لإيذائكم.** هذا يعني أن عبادة الأصنام تحمل الأذية للشعب.

ع. ٧: بهذا الشرط **أسكنتكم في الأرض.** فعلى ضوء سفر التثنية، عطية الأرض مشروطة بحياة تراعَى مشيئة الله.

ع. ٩: تذكر الوصايا: السرقة، القتل والزنى... وبعد ذلك كيف تجرؤون **فتأتون وتقفون أمامي في هذا البيت**، (ع. ١٠). وتصرخون: **قد أنقذنا.** هي صرخة معروفة اليوم. نحن أبناء الملكوت. يكفي أن نلتفت إلى الرب لكي نشعر أن الخلاص أعطي لنا. ولكنكم تعودون إلى **الرجاسات**، أي العادات الوثنية.

ع. ١٠: **دُعي** اسمي. حين يدعون اسم الرب على موضع من المواضع اختاره الله، يعلن الإنسان حضور الله في هذا المكان ويجعله حصرًا تحت حمايته. وهكذا يحقّ لله أن يفرض شروطًا لكي نستطيع أن نقف أمام الله (مز ١٥).

ع. ١١: **هل صار هذا البيت** الذي دُعي اسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم. في المغارة يختبئ اللصوص، ولكن الله يكشفهم. يشبهون لصوصًا يلجأون إلى مغارة، ويعتبرون أنهم مطمئنون في الهيكل بالرغم من سلوكهم الذي يغيظ صاحب هذا المكان، الله. ولكن الرب يرى حياتهم كلها حيث يريد أن يوصل له المعلومات. ويكون حاضرًا لها. ففي نظر الرب، ورعهم العبادي هو ضعف يحاول أن يخفي جورهم (را. ٦: ٢٠). استعاد يسوع هذا الكلام حين طهّر الهيكل: «مكتوب: بيتي بيت الصلاة يُدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» (مت ٢١: ١٣). إذا كان الله طلب من المؤمنين بواسطة إرميا أن يخرج «اللصوص» من بيته لأنهم ينجسونه، فيسوع إذ يفعل ما فعل أبوه يدل على أنه ابن الله. فعلُ يسوع هنا يدل على سلطته ليلغي ذبائح الهيكل. أو هذه فعلة رمزية: وتطهير الهيكل الذي انتظره اليهود منذ نجّسه ملك انطاكية ابيفان سنة ١٦٧ ق.م.، ثم بومبيوس سنة ٦٣ ق.م.، أو هو احتجاج على انحراف على مستوى المال والبضائع. وهكذا تحوّل المعنى من العهد القديم إلى العهد الجديد. في سفر إرميا، الناس لصوص لأنهم يعملون الشر ويأتون ليختبئوا في الهيكل. أما في الأناجيل، فاليهود نجّسوا المكان لأنهم جعلوه مكانًا للبيع والشراء والتعامل بدنانير عليها صورة الإمبراطور.

ع. ١٢: **اذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه، الذي أسكنتُ فيه اسمي أولًا.** مدينة شيلوه (يش ١٨: ١) ومعبدها حيث أقام أجداد إرميا، دمّرها الفلسطيون حوالي سنة ١٠٥٠. ولكن مسؤولية الدمار

www.christianlib.com

تعود إلى الرب، والسبب شرور إسرَإيل (مز ٧٥: ٥٨– ٦٧). شيلوه سبقت أورشليم، إذ كانت معبد الله. وكما هي دُمّرت، يُمكن أن تُدمَّر أورشليم. فلا مكان يفلت من عقاب الله إذا كان الداخلون إليه لصوصًا يخبّئون فيه لصوصيّتهم.

ع. ١٣: وها هو الحكم يصدر: اصنعُ بهذا البيت كما صنعت بشيلوه (ع. ١٤) والأسباب: أعمالكم. ثم تكلمت **فلم تسمعوا، دعوتكم فلم تجيبوا.**

ع. ١٥: وأخرجكم: هل خزوا خزيًا لأنّهم عملوا رجسًا؟ لا خزي ولا خجل عندهم. **لذلك يسقطون.** نعرف عادة أن الله هو الذي يُسقط الإنسان أو يجعله يعثر. أما هنا فهم ينالون نتيجة عملهم. لو أنهم خجلوا لما كانوا وصلوا إلى هذا المستوى المنحدر. فأنا المسؤول عن انحداري وعن سقوطي، ولن أضع المسؤولية على القدر، على الحظ، على قوة أقوى منّي، وفي النهاية على الله. مثل هذا حصل لأفرايم أي لمملكة الشمال سنة ٧٢٢/٧٢١ حين مضى السكان بيد الأشوريين إلى المنفى في نينوى، في شمال البلاد. أما يهوذا فيمضي إلى الجنوب، إلى بابل. الموقف الأخير يكون بمثابة تجديف على اسمه تعالى.

٧: ١٦– ٢٨ ما أصاب شيلوه يصيب أورشليم العلامات أمامنا والآيات، ولا نتعلّم. سقطت شيلوه التي كانت مقام الله، فكيف يظن الناس بعد، أن أورشليم لا تؤخذ بقوة السلاح ولا يمكن أن تسقط. هي عصيّة على العدو كما كان الأمر سنة ٧٠١ حين عاد الأشوريون أدراجهم لأكثر من سبب. ولكنّ شعب الله نسوا أنّهم أذلّوا مذلة.

٧: ١٦– ٢٠ أولًا: الله لن يسمع بعد

ع. ١٦: لا تصلِّ لأجل هذا الشعب. لا تنفع الصلاة ولا التشفع بعد اليوم. ولا الدعاء مهما اهتمّ النبي. حدثنا الإنجيل عن تلك الأرملة. مضت إلى قاض لا يخاف الله ولا يهاب الناس. ومع ذلك ألحّت فنالت من القاضي الظالم وبالتالي من الله «الذي ينصف مختاريه الصارخين اليه نهارًا وليلًا» (لو ١٨: ٧). أما هنا فالسبب هو الشعب الذي يرفض أن يسمع وأن يرى. وهكذا يبدو النبي ضعيفًا.

ع. ١٧: أما ترى ماذا يعملون؟ هم يهيّئون الكعكات لملكة السماء (ع. ١٨)، كلهم معًا، الكبار والصغار. والنتيجة: الخزي لهم... (ع. ١٩).

ع. ٢٠: سيأتي الغضب مثل النار على جميع الخلائق. فالربّ مثل النار، لا يبقي ولا يذر. حتى الأشجار والثمار تحترق. كل هذا يدلّ على ما يتركه العدوّ المجتاح في أرض يمرّ فيها.

٧: ٢٠– ٢٨ ثانيًا: لأن الشعب لا يسمع شابه الرب أبًا يربي أولاده. وفي النهاية يتعب ويملّ، لأنّه لا يجد ثمرًا ولا تبدلًا في حياة شعبه.

ع. ٢١: وماذا يطلب الرب؟ أمحرقات وذبائح؟ كلا. وقال الرب: إنّه لم يكلم الآباء في شأن الذبائح، فهي أمور أتت فيما بعد، مع موسى والكهنة على مدّ تاريخ الشعب. ما نلاحظ هو أن الكهنة يجعلون اهتمامهم في الشرائع والعبادات وتقدمة الذبائح. ومن هذه كانوا يعيشون بحيث أن هوشع قال لهم: ادفعوا الناس إلى الخطيئة وهكذا يكون لكم الربح والفائدة. كلام قاس ونستطيع أن نسمعه اليوم في كل مكان. وماذا سمع الآباء؟ **اسمعوا صوتي فأكون لكم إلهًا.** هو متعلّق بالله، أبعد من انتظار الأجر ومن تقدمة المحرقات، فيشتمّ الرب رائحة الذبائح ويدخل البخور في منخريه فيخفّ غضبه. هكذا كانوا يقولون في القديم. وأخذ الشعب العبراني ببعض هذه العقليّة لكي «يهدّئوا» غضب الله. عندئذ، لا يتميّزون عن عبّاد الأوثان. ونسعى لكي «ندجّن» الله فيسمع لنا ويخضع لنا. وهكذا نحسب أن الله يعمل لنا ويلبّي طلباتنا. ونستطيع أن نغيّره. لا. بالصلاة نتغيّر نحن ونستعدّ لعطايا الله الذي يعرف أكثر منا خيرنا. يا ليتنا نسمع له، ونضع يدنا بيده. فهو لا يريد أبدًا أن يعمل وحده، بل يفرح حين نتألم معه، وحين نتعب معه ونحمل همّ الكنيسة معه.

ع. ٢٥: وذكر الرب ما عمل لشعبه منذ أخرجهم من مصر. كم أرسل إليهم من أنبياء **مبكرًا، كل يوم.** فكأني به يقول: كان يرسل إليهم كلامه كل يوم كما يفعل الوالدون مع أولادهم. والنتيجة: لم يسمعوا. والنهاية: **باد الحق**، مات. لم يعد له وجود. فكيف يكون وجه أورشليم والأرض المقدسة.

٧: ٢٩– ٣٤ ثمار مرّة

ع. ٢٩: جزّي شعرك. هي بداية الحزن. والسبب: **الرب رفض ورذل.** وهي عودة إلى تنجيس الهيكل. والمرتفعات (ع. ٣١). هي غير «المشارف» أو معابد البعل على رأس الهضاب المحيطة بالمدن. بل هي ركمة تراب جنائزيّة من أجل عبادة أوثانيّة. هي تلّة مصطنعة..... (ف. ي ١٩: ٦– ١٤) تدل على القوة، أو ربما على مذبح (إش ٣٠: ٣٣). ولكن اليهود قرأوا **توفت** أي العار، را. أي ١٧: ٦. **وادي ابن هنوم.** (را. ٢: ٢٣). في العبري: ج ي ا. ب ن. ه ن و م. هناك كانت تحرق «الزبالة» والنار مشتعلة دائمة. فأعطت لفظ «جهنم». ولكن صار المكانان موضعًا للجثث الكثيرة.

تلك هي الثمار التي تقتطفها أورشليم وبلاد يهوذا من الانحرافات الدينيّة، ومنها أنهم **يحرقون بنيهم وبناتهم** على مثال ما تفعل الشعوب المجاورة. فلا مجال بعدُ للفرح والبهجة، **لأنّ الأرض صارت خرابًا.** هكذا أضحت أورشليم بعد مرور الجيش البابلي.

٣– الخلاصة

شعب يعيش في الوهم. هم شعب الله. والهيكل موضع «حرز»

www.christianlib.com

يحمي المؤمنين من كل شرّ. ينتظرون من الرب كل شيء ولا يفعلون شيئًا من سماع الكلمة وتبديل السلوك خصوصًا على مستوى العبادات التي ملأت أورشليم ومدن يهوذا. يطلبون من الرب وفي الوقت عينه يذهبون إلى معابد الآلهة. كذب فوق كذب. كيف يرضى الله عن ذلك. وعلى الشعب أن يفهم من الحرب وعلامات الزمن أن عليهم الرجوع عن كل هذه «المكرهات». ماذا زرعتم لتحصدوا وماذا غرستم لتقطفوا من الثمار. فلماذا تتعجبون وتشتكون إلى الله إن لم يكن على الله. هو انحطاط على كل المستويات.

ونقرأ كل هذا في أيامنا. ماذا فعل الله لنا، كل هذه الأصوام والصلوات والعبادات، وماذا كانت النتيجة؟ الرب يقدم لنا يده ونحن نرفضها. أصنامنا هي أولًا في داخلنا: نزواتنا، شهواتنا، حبّنا للمال. نركع أمام آلهة من لحم ودم. وما هو أسوأ هو أننا نتخلّى عن إرادتنا ونسلّمها لـ«كبير» فيقرّر عنا ونحن نسير وراءه مثل الغنم. كل واحد مسؤول ولاسيما نحن المعمّدين. ما معنى هذه القوة التي أخذناها من الآب والابن والروح القدس. وهل نستند إلى الرب الذي قال لنا: «وها أنا معكم كل الأيام؟» كان مع آبائنا في الماضي وهو معنا اليوم. فهل نحن معه؟ هو وحده قائدنا. «زعيمنا» ولكنّنا جعلناه جانبًا بعد أن نسينا صورة وجهه وما عدنا نعرف صوته بين الأصوات الكثيرة.

٨: ١– ٢٢ بين كلام الله وكلام البشر

١– المقدّمة

ويتواصل كلام النبيّ. هو في واد والشعب في واد. أو بالأحرى، الشعب لا إرادة له. فالكبار يفكرون عنه ويتكلّمون باسمه، بل بالأحرى باسم مصالحهم. وحين يكون الحكّام من هذا المستوى من الحكمة والفهم، نعرف النتيجة مسبقًا. وحين نلاحظ المستوى الخلقي لهؤلاء «الرعاة» الذين يرعون أنفسهم، كما قال النبي حزقيال، لن نتعجب من النهاية التي تكون لنا في مناطقنا بل في العالم أجمع. هو الخوف في كل مكان. وأساليب أبعد ما تكون عن أساليب الله. ما هذا النبي إرميا الذي نستطيع أن نقرأه الآن ونحن نستمع إلى وسائل الإعلام أو نقرأها، إذا لبث معنا وقت للقراءة. بل نحن نستسلم لهذه الصور التي تمرّ أمامنا ولا نفكّر ولا نعود إلى أنفسنا. إلى أين نحن ماضون؟ وإن انتقلنا من بلد إلى بلد. وإن هربنا، نحمل الشرّ معنا. كلّنا نحتاج إلى كلمة الله يحملها «نبيّ». ولكن أين هم الأنبياء؟ وأين هم الكهنة؟ وأين هم الحكّام؟ هل يدلّون الناس على طريق الله أم على طريقهم الخاصة؟ بل على طريقهم. فالسياسي يجمع الناس حوله ولا يوصلهم إلى الخير. والكاهن يؤسّس جماعة تكون حوله وتحمل أفكاره بحيث «تتعبد» له وتلتصق به ولا ترضى عنه بديلًا. كلام البشر تغلّب على كلام الله. أما كلام البشر فهو موت، موت للإنسان وانحدار. أما كلام الله فهو حياة. فماذا نختار؟

قسمان في هذا الفصل. بعد امتداد لما في الفصل السابع (٨: ١– ٣). يطلق النبي في ٨: ٤– ١٣ قولًا جديدًا أمام شعب وجدانه فساد. فيوبّخ ويُنذر ويحكم. هو انحلال في المجتمع، فما عاد الشعب يجد معلّمًا يقوده ويوجهه. هو الظلام الظلام بعد أن تركوا الرب الذي هو النور الذي كان أوّل من وصل إليهم: «ليكن نور»، فكان نور. ونسوا كلامًا ينشدونه: «سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ وَنُورٌ لِسَبِيلِي» (مز ١١٩: ١٠٥). الإنسان يمشي ولا يعرف أين يضع رجله. فقد يعثر ويسقط. فيحتاج إلى «سراج»، إلى «قنديل». وحتى هذا السراج لا يستعمله، بل يفضّل الظلمة النور لأنّ أعماله شرّيرة. أما النور فنأخذه من البشر. تعالوا ورائي. وهكذا نسينا كلام الرب يسوع: «من أراد أن يتبعني». وبطرس نفسه أراد أن يبدّل طريق يسوع، طريق الآلام والصلب والقيامة. قال له: «حَاشَاكَ يَارَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!» (مت ١٦: ٢٢). فاستحقّ اسم «شيطان» أي ذاك الذي يكون عائقًا للمؤمن في الطريق فيمنعه من السير وراء يسوع. ولو ننتبه: «انتهره». انتهر يسوع مَن؟ بطرس. تتخيّلون! هو يريد الخير ليسوع! وأي خير نسمعه من العالم؟ فالرب سيقول لتلميذَي عمواس: «أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟» (لو ٢٤: ٢٦).

ذاك هو القسم الأوّل. والقسم الثاني (٨: ١٤– ٢٣) عنوانه: مرثاة على تعب فانٍ. عمق النبي أنه يدخل في سرّ الله، لأنه قريب من الله، وهو في حوار داخلي معه. هكذا كان يفعل موسى فيصعد إلى الجبل. ومرة لبث أربعين يومًا. وإرميا هو من يختلي بالله فيعلمه الله، وإلّا لا يكون في الحق، بل يكون كاذبًا، خاطئًا. ولا يحقّ له أن يقول: «هذا ما قال الله». والنبي اليوم بيننا، حامل الكلمة، إن لم يكن غارقًا في قلب الله، لا يستطيع أن يعلن كلام الله. وكم من الأنبياء الكذبة اليوم وكل يوم. والرب نبّهنا: «لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا» (مت ٢٤: ٢٤). وهنا يدعونا الرسول إلى فضيلة التمييز بحيث لا نسير وراء أول واحد يدعونا. فالمسيح نفسه وصلت إليه مشورة سيّئة من خلال إبليس. وكان الجواب الأخير: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (مت ٤: ١٠).

بين روح الشيطان وروح الله، ماذا نختار؟ لا شك في أن الشيطان لا يُرى، ولكن خدّامه عديدون وهم يتزينون بزيّ أهل الخير، كما قال الرسول. أما طريق يسوع فكان واضحًا حين كان في الناصرة: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ» (لو ٤: ١٨).

راح الشعب في طريق الضلال. نبّهه إرميا فلم ينتبه. ولكن أتراه تخلّى عنه؟ كلا. بل لبث متضامنًا معه خلال الكارثة الآتية. وإذ هو ضعيف تجاه أقوياء هذا العالم – كما هو الأمر اليوم وكلّ يوم –

www.christianlib.com

أطلق مرثاة على الشعب الذاهب إلى الموت: «من مفرا. عني الحزن؟» هو يحتاج إلى مَن يكون قربه ويعزيه. «قلبي فيّ سقيم» (ع. ١٨)، مريض، يتألّم.

٢- تفسير النصّ الكتابي

٨: ١- ١٣ ضمائر فاسدة

٨: ١- ٣ أولًا: في ذلك الزمان

ع. ١: **في ذلك الزمان** هي قمة الاحتقار. **يُخرجون عظام ملوك..** وبما أنهم كانوا يعبدون **الشمس والقمر وكل جنود السماء** في حياتهم يعبدونها بعد مماتها، وخصوصًا تبقى معروضة لتكون **آسنة**، زبالة على وجه الأرض.

ع. ٣: **ويختار الموت** الباقون في الأرض على الحياة. أهذه آخرة عبادة المحتل من الأشوريين والبابليين. في الماضي عبد الشعب بعل، وها هو يعبد الشمس والقمر والكواكب التي دعاها سفر التكوين النيّرين أو السراجين اللذين يضيئان في الهيكل. أما في الكون فلا اسم لهما. «أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ» (تك ١: ١٤). ويتواصل الكلام: «فعمل الله النورين (أو: السراجين) العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل مع النجوم». فكيف يعبد بنو يهوذا هذه المخلوقات؟ يا للعار!.

٨: ٤- ٧ ثانيًا: عناد لا مثيل له

ع. ٤: بعد استذكار العقابات التي تنتظر بني يهوذا، يعود النبي إلى موضوع ذنوبية إسرَإيل. هي مذنبة، مذنبة. هو تلاعب على الكلام. **يرشد أحدًا ولا يرجع. ثم ارتدّ هذا الشعب في أورشليم ارتدادًا دائمًا** (ع. ٥).

ع. ٦: **ماذا عملتُ؟** كل واحد ينكر عمله السيّئ، أو هو لا يعتبره سيّئًا. ذاك ما سمعهم الرب يقولون. كل واحد يسير كما يريد. وشبّههم النبي **بفرس ثائر** لا يستطيع أحد أن يمسكه.

ع. ٧: يا ليت بني يهوذا يشبهون **اليمامة والسنونو... حفظتا وقت مجيئهما.** أي في الربيع. ومتى يرجع شعبي إلى **قضاء الرب**، حيث يقضي له الرب ويهتمّ به. مثل الخروف الضال الذي عاد إلى الحظيرة. ففي نظر إرميا كما في نظر إشعياء (١: ٣)، لقد نال الشعب كلّ ما يحتاج إليه لكي يفهم قضاء الرب فهمًا عميقًا. أهو أقلّ فهمًا من الطيور؟

٨: ٨- ١٣ ثالثًا: بين كلام الله وكلام البشر

ع. ٨: **نحن حكماء وشريعة الربّ معنا.** لا شكّ في ذلك. لكن الكتبة ومفسّري الشريعة بدّلوا الوصايا. وهكذا يصيب إرميا أهل الشريعة والفتاوى، الذين يعملون في خدمة السلطة الملكيّة - أو أي قوة في المجتمع - وذلك بعد أن تحوّل سفر التثنية إلى قوانين في يد الدولة. ورُفعت يدُ الكهنة، وكأنّ يد الكهنة تفترق عن يد السلطة المدنيّة. فوجود المال يجعل هذه مثل تلك. شرائع جديدة محفورة على الصخر، كما عندنا لوحة الإعلانات، ليقرأها الناس. في ٣١: ٣٣، يقول النبي إنّ الرب ذاته يكتب هذه التعليمات في عمق القلوب. وهكذا كل الكذبات التي يحملها الوسطاء الذين لا يلهمهم الروح، يتجاوزها الزمن.

ع. ٩: **خزيَ الحكماء:** أي حكمة يمتلكون؟ والنتيجة معروفة سلفًا. فكلمة الله هي في قلب الحكمة البشريّة (را. يو ٨: ٣١- ٣٢). أما حكمة هؤلاء فتسقط وتسقط معها حكمتهم (يو ٨: ٣٤)، إن هم استخفّوا بكلمة الرب التي هي حيّة، دائمًا حيّة، كما يعبّر عنها إرميا.

ع. ١٠: **أعطي نساءهم لآخرين.** نقرأ هنا ما سبق وقرأناه في ٦: ١٢- ١٥. نلاحظ السبب الأول: سيّد التاريخ. هو من يعطي. أما المجتاح فيأخذ النساء والحقول، ولا يختلف عنهم **النبي والكاهن.** هم غير واعين، لا يعرفون أن يوجّهوا أنفسهم فكيف يوجّهون الشعب. خصوصًا وأنهم يسبقون الآخرين إلى العبادات الوثنية. يعلّمون الناس بالمثل وأيّ مثل.

ع. ١٣: **لا عنب في الجفنة.** عادة تبقى بعض الحبوب وكذلك التين. الجلوس تحت الكرمة والتينة علامة الأمان والسلام. أما الآن، فالناس والكروم انتقلت إلى العدوّ.

هنا نودّ أن نرجع إلى عمل الكتبة الذين يفتون بحسب نزواتهم وبحسب طلب الكبار: داود دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة هو والذين معه مع أن هذا محفوظ للكهنة (مت ١٢: ٤). ولكنهم أبرياء في نظر الفتاوى. ثم الكهنة يدنسون السبت وهم أبرياء (مت ١٢: ٥). وأقوى ما نقرأ في متى ١٥ حول الطاهر والخس. قال يسوع للكتبة والفريسيين: «لِمَاذَا تَتَعَدَّوْنَ وَصِيَّةَ الله بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ؟ فَإِنَّ اللهَ أَوْصَى قَائِلاً: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَمَنْ يَشْتِمْ أَبًا أَوْ أُمًّا فَلْيَمُتْ مَوْتًا» (مت ١٥: ٣- ٤). وصية واضحة جدًا ولا تقبل التأويل. ويواصل يسوع كلامه: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: مَنْ قَالَ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي. فَلاَ يُكْرِمُ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ. فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ الله بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ!» (مت ١٥: ٥- ٦) بهذه الطريقة يستفيد الشاب وحده من ماله ويترك والديه يموتان موتًا. هكذا فسّر له الكتبة والفريسيون. وهكذا فسّر معاصرو إرميا للناس. وهكذا يفسّر المسؤولون عندنا الأمور كرامة أنفسهم وكرامة الكبار.

٨: ١٤- ٢٣ بكاء على الشعب

ع. ١٤: **لماذا نحن جلوس؟** ينبغي أن نهرب لأن عصا الرب في إثرنا.

www.christianlib.com

ع. ١٥: **انتظرنا**، تحوّلت الأمور كليًا. لا خير، لا شفاء... فالخيل آتية. خيل العدوّ بصهيله. وتأتي الحيات كما أتت على آبائكم في البرية (عد ٢١: ٦) ولا «ساحر» أو «حاوي» يوقفها. في زمن موسى، رفع موسى الحيّة النحاسية. فكل من نظر إليها نال الشفاء بمجرّد النظر.

نتذكر أن الحية تحمل الموت. ولكن بقدرة الرب ويد موسى، أعادت الناس إلى الحياة. أما الإنجيل الرابع فقال: «كَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣: ١٤– ١٥). مسافة بعيدة جدًا بين «حية نحاسيّة» سوف تصبح صنمًا يسحقه الملك حزقيال (٢ مل ١٨: ٤)، وبين الصليب المرتفع بين الأرض والسماء. ولكنه لن يبقى وحده. فقد قال: «وَأَنَا إِنْ (أو: متى) ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يو ١٢: ٣٢). جاء بهم إلى الصليب ثم إلى المجد.

ع. ١٨: **من يفرا. عن الحزن.** حزن يسيطر على النبيّ، ومرض في قلبه. هو يتألم لألم شعبه. أجل، هو النبي الحقيقي ولا يشبه الأنبياء الكذبة الذين يشبهون «الأجراء» الذين يعملون لقاء أجرة ويهربون عنه ساعة الخطر. وفي تاريخ الكنيسة، الرعاة الحقيقيّون لبثوا مع الشعب وماتوا معه.

ع. ١٩: **هو صوت استغاثة.** ولا من يسمع. حتى الله. قالوا عنه: «**ألعلّ الربّ ليس في صهيون**». فيردّ الرب: **لماذا أغاظوني بمنحوتاتهم؟** انتهى **الحصاد**. عبر الصيف ونحن نسير نحو الشتاء. فلا انتظار. ولا **خلاص**.

ع. ٢١: **انسحقتُ، حزنت.** هي صرخة النبي الذي يرى ما يحلّ بشعبه. وها هي المرّة الأولى تأتي الجيوش على أورشليم.

ع. ٢٣: هنا نقرأ وجع إرميا الذي ما بعده وجع في أجمل ما قيل: **يا ليت رأسي ماء وعينيّ ينبوع دموع، فأبكي نهارًا وليلًا قتلى بنت شعبي.**

٣– الخلاصة

كيف يكون الإنسان عنيدًا إلى هذا الحد؟ وكيف يرفض سماع كلام الخير؟ من والديه، من أصدقائه، من صديق يعود به إلى كلام الله. ذاك ما يعيشه الرعاة الذين يحاولون إعادة النعجة الضالّة إلى الحظيرة.

ذاك هو وضع إرميا. يحمل كلام الله، فيجاوبه الأنبياء الكذبة بكلام البشر وما فيه من غش وكذب وطمع ورجوع إلى العبوديّة. ويحسّ النبي بحزن الرب فيحترق قلبه، ويودّ أن يوصل كلام الرب إلى كل واحد في شعبه، ولاسيّما إلى العظماء. ولكن عبثًا. فيلجأ إلى الدموع. قيل: الله قدير، كلّي القدرة. ولكنّه أب بقلب أمّ، فيكون ضعيفًا أمام أولاده، يرحمهم. يرسل من يعيدهم إليه. يرسل إليهم الكلام العذب. فمن منّا لم يسمع يومًا من الأيّام الربّ يدعوه في أعماق قلبه: عندئذ نكون في ذروة السعادة حين نطرح عنّا الإنسان العتيق ونلبس الجديد الذي يقدمه الرب لنا لنعيش له في البرّ والقداسة.

٩: ١– ٢٥ الفصل التاسع

١– المقدّمة

مات الحقّ. يقول ٥: ١– ٣: فتّشوا هل تجدون إنسانا واحدًا حقيقيًا، يشبه النبي؟ وإرميا بحث عن إنسان أو عامل بالعدل وطالب الحق، فلم يجد. وبما أنهم لا يسمعون للرب ولا يقبلون الدرس، قال الرب بفم نبيّه: باد الحق، مات الحق. وقُطع من قلوبهم (٧: ٢٨)، مضى إلى غير رجعة. فالنبي رأى الأمور، فتمنّى أن يمضي إلى البرية ويترك الشعب (ع. ١– ٥). والرب نفسه (ع. ٦– ٨). كلاهما يحزنان لضياع كل حقيقة في العلاقات البشريّة.

قال الشعب: «ارتدّ الحق إلى الوراء (رذلوه) والعدل يقف بعيدًا ولا يتدخل. يترك القوي يقتل الضعيف. ذاك ما يكون في عالمنا. بل في العالم أجمع، لأنّ الصدق (أو: الحق) سقط في الشارع، والاستقامة لا تستطيع الدخول إلى المحكمة لتقف في وجه الغش. وصار الصدق معدومًا (بحثوا عنه فلم يجدوه، فاعتبروه مات). والحائد عن الشرّ يُسلَب» (إش ٥٩: ١٤– ١٥).

وقال «الفلاسفة» في القرن التاسع عشر، في أوروبا: «مات الله». وبما أن الله غير موجود، لم يعد من أحد يرانا، فكانت الحروب بعد الحروب وصولًا إلى الحرب العالميّة الثانية. ونتساءل: هل ما زال الله ميتًا أم قام؟

والتصميم جاء في قسمين: الأول (٩: ١– ١٠) النبيّ مُحبَط. هل يواصل الجهاد؟ هل يحمل الكلمة بعد، أم يتوقف؟ هل يهرب؟ فهو رأى الفساد منتشرًا في الشعب. فرفع يديه تعبًا، كدتُ أقول منهارًا. ولكن الرب يرفعه من جديد: حتى لو كان أقاربك ألدّ أعدائك. عندئذ أعلن تهديدات جديدة: **أجعل أورشليم رجمًا** (كومة حجارة مثل رجمة) **ومأوى بنات آوى** (حيث بنات آوى لا وجود للبشر). **ومدن يهوذا أجعلها خرابًا بلا ساكن** (ع. ١٠).

والقسم الثاني (٩: ١١– ٢٥): **الإنسان الحكيم يفهم**. هنا تنطلق مرثاة جديدة تندب شعب الله على الشقاء الذي حلّ به. ونقرأ تأمّلًا فيه يدعو النبي إلى الحكمة لفهم أسباب الدمار: تركوا مشروع الله وقيَم العهد. والختان عينه، وإن كان علامة في اللحم يدلّ على الانتماء إلى شعب الله، هو سراب، إن لم يصبح ختان القلب وتبدّل عواطف الإنسان.

٩: ١– ١٠ النبيّ مُحبَط

ع. ١: **جميعًا زناة، جماعة خائنين.** وهكذا نفهم أن الزنى في

www.christianlib.com

المعنى الرمزي هو خيانة الرب والمضي إلى آلهة غريبة. هو رمز نجده في مثل الابن الضال.

ع. ٢: **ويمدّون ألسنتهم** مثل قوس مشدود. ينطلقون في الأرض فيخدمون الكذب لا الحق.

ع. ٣: **احترزوا كل واحد من صاحبه.** هي لوحة سوداء تدلّ على الفساد المسيطر في المجتمع.

ع. ٦: **هأنذا أنقيهم وأمتحنهم.** كما الفضة في النار بحيث أعرف معدنهم. وهكذا يتدخل الله. أما الشرّ فهو شرّ اللسان... ويقول الرب، **أما أعاقبهم؟** وكأنه يقول: هل تسمحون لي؟ هو رب الرحمة. لا يتغيّر.

ع. ٩: **على الجبال أرفع بكاءً ورثاء.** النار، السلب، النهب.. بل طيور البحار هربت بعد أن فرغت أرض يهوذا من السكان. ويقول ع. ١١: من هو حكيم يفهم من أين جاءت الكارثة.

٩: ١١– ٢٥ أمام الكارثة

ع. ١١: **مَن هو الإنسان.** الإنسان الحقيقي الذي لا يخاف من قول الحقيقة. يفهم، لأنه دخل في عمق الله. ويعلن ما سمعه لأنه لا يخاف قول الحق.

ع. ١٢: **ويبدأ الجواب:** تركوا شريعتي التي جعلتُها أمامهم. هل يسمعون لله أو للبعل (ع. ١٣)؟ وبما أنهم سمعوا للبعل سيشتّتون والسيف يلحقهم.

أولًا: هكذا قال ربّ الجنود (ع. ١٦). هو نداء إلى البكاء أمام ما يحصل في البلاد.. لأن الموت طلع إلى كوانا (ع. ٢٠). ادنوا فدنوا. ونحن نرى القتلى حولنا. وهنا أضحى الموت شخصًا مع منجل يحصد الأطفال والسكان. كم من تكرار في هذا المجال. فالنبي تكلّم تكلّم، ولا من يسمع....

ثانيًا: هكذا قال الرب (ع. ٢٢). لا يفتخرن الحكيم... والجبار... والنبي. بماذا سوف يفتخر هؤلاء؟ هل يعرفون؟ كلا. هل يفهمون؟ كلا. وإلا بماذا يفتخرون؟ أبعدد القتلى؟ والجواب: يفتخر **بأنه يفهم ويعرفني**. وهذه المعرفة تكمن في أن نرى الرب يمتزج بحياة البشر ليجذبهم إلى طريق التعاون والحقّ والبرّ.

استعاد بولس الرسول هذا الكلام ورفعنا إلى مستوى يسوع المسيح «الَّذي صَارَ لَنَا حكْمَةً منَ الله وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً. حَتَّى كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ» (١ كو ١: ٣٠– ٣١).

ثالثًا: الختانة في اللحم لا تحمي من العقاب (ع. ٢٤). فهذا العمل الخارجي لا يكفي. فهناك آذان مختونة أي مفتوحة على السماع، وقلوب مختونة أي مستعدّة للعمل بحسب مشيئة الرب. والعقاب لا يتوقّف عند مملكة يهوذا، بل يصل إلى مصر، إلى موآب. **وكل مقصوصي الشعر،** أي القبائل العربية (٢٥: ٢٣؛ ٤٩: ٣٢). هؤلاء كلهم عرفوا الختان في خط إسماعيل بكر إبراهيم. قال سفر التكوين إن إبراهيم أخذ إسماعيل ابنه، وختن لحم غرلته وكان إسماعيل ابن ثلاث عشرة سنة حين خُتن في لحم غرلته (تك ١٧: ٢٣– ٢٥).

٣– الخلاصة

كل هذا الفصل يدعو إلى المعرفة وإلى الفهم. ومعرفة الله وحدها هي الحكمة الحقيقيّة. أما معرفة الإنسان فهي قصيرة النظر. تشبه طير النعام الذي يجعل رأسه في الرمل لئلا يرى الخطر. ولكن هذا يعجّل في آخرته.

أما البداية فكانت صعبة. مات الحق. هلك. لم يعد له وجود. وإذا كان الحق قد مات، فالنتيجة كما قيل في أوروبا مات الله. ولكن الله ما مات. ولا هو بعيد في السماء، ولا هو في أعماق البحار. هو بقربنا، في متناول يدنا. وُلد كما يولد كل طفل من أطفالنا، وشبّ في القامة والحكمة والنعمة. وفي الثلاثين من عمره تقريبًا، بدأ رسالته. ولما كاد الرسل يضيعون الطريق لأن الرب يتركهم، سأل توما: لا نعلم أين نذهب. فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟ قال له يسوع: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يو ١٤: ٥– ٦). ويقول: أنا هو الطريق التي تقود إلى الحق والحياة. وأضاف: أنا معكم كل هذا الزمان وما عرفتموني. ثلاث سنوات قضوا معه، وما زالوا يبحثون عن طريق الله والخير، لا طريق الشرّ الحاضرة في الكون. فيا ليتنا نتطلع مثل بطرس ونقول له: «يَارَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟... وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ» (يو ٦: ٦٩). فمن يجسر أن يقول: باد الحق، سوى العميان الذين لا يريدون أن يروا ولا أن يسمعوا. أما نحن، فقد قال لنا يسوع: «أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ» (مت ١٣: ١١). فأيّ فرح هو فرحنا وأيّ رجاء هو رجاؤنا مهما كانت الصعوبات حولنا!

١٠: ١– ٢٥ الحكم على الوثنية

١– المقدّمة

الدور الأساسي في حياة النبي هو أن يكتشف الوثنية، أي عبادة الأوثان، في المجتمع الذي يعيشون فيه. فالصنم الذي هو نتاج الاستيهام والمخيّلة في النزوات البشرية، يولّد العبوديّة والموت.

أما هذا الفصل فينقسم إلى محطتين: الأولى (١٠: ١– ١٦)، طريق الأمم (الوثنية) وفرائضها وعباداتها. والثانية (١٠: ١٧– ٢٥): بكاء وصلاة. يرى النبي الخطر الآتي سريعًا، فيبكي. ويتحوّل بكاؤه إلى صلاة حيث يتقبّل الشعب العقاب ويطلب الرحمة من عمق الضيق. أتكون هذه الخطوةَ الأولى إلى السماع؟ «أدِّبْني يا رب، ولكن بالحق (بالاستقامة)، لا بغضبك (الذي هو حزنك عليّ وعلى

www.christianlib.com

تصرّفاتي) لئلا تفنيني» (ع. ٢٤) وتعيدني إلى العدم.

٢- تفسير النص الكتابي

١٠: ١- ١٦ طريق الأمم تعلّق الأمم بالأوثان، وشعب يهوذا بالعمل لدى الشعوب المجاورة، ولاسيّما عبادة البعل، وما يرافق هذه العبادة من سكر وعربدة وفلتان خلقي. كيف يتعلّق بها شعب يهوذا؟ ثم ماذا نفعتهم هذه الأوثان؟ أما الذين حملوها إلى أورشليم فكان همهم إذلال شعب الله وإظهار الربّ الإله أنّه أضعف من أن يعمل. فما هو الله تجاه مردوك (البابلي). إذا أردتم أن تعرفوا قوة الله، أنظروا إلى جيشه وإلى القوة التي يتمتعون بها. فحين حصار أورشليم، سُجن الرب الإله، وكاد يسقط بيد العدوّ من خلال تابوت العهد. ولكنّه خرج من المدينة ووقف على الجبل، من جهة الشرق. ثم إنّ النبي - إرميا أو حزقيال - يبيّن أن ما يصيب المدينة ليس فعل الملوك والجيوش، بل فعل الله الذي يعاقب شعبه من خلال هذه الجيوش الغريبة. وسوف يدعو إشعياء قائد الجيش فأسًا ومنجلًا، فيقول: «هَلْ تَفْتَخِرُ الْفَأْسُ عَلَى الْقَاطِعِ (الذي يقطع الخشب) بِهَا، أَوْ يَتَكَبَّرُ الْمِنْشَارُ عَلَى مُرَدِّدِه؟ (أو الذي يحرّكه)» (إش ١٠: ١٥). في درجة أولى، كلام على الأشوريّين الذين قطعوا الأشجار من أجل ما أرادوا أن يبنوه. وكما عاملوا الأشجار عاملوا البشر. ثم سبق الرب وقال: «وَيْلٌ لأَشُّورَ قَضِيبِ غَضَبِي (أنا أمسك القضيب) وَالْعَصَا فِي يَدِهِمْ هِيَ سَخَطِي» (إش ١٠: ٥).

أنقابل الرب، بعد اليوم، بالأصنام أو بالجيوش الغريبة؟ هذا لا يكون. فالكلمة الأخيرة تكون له. قولوا لي: أين هم الأشوريون اليوم، وأين هم البابليون؟ أما المؤمنون بالله فهم إلى الأبد.

ع. ٢: خطران يهدّدان الشعب؛ طريق الأمم في عبادة الأوثان. شابهت السامرة وصيدا وصور وعرفوا السرير النحاسي المطعّم بالعاج، ومشوا وراء إيزابل زوجة أخآب وعبدوا ما عبدت هي والكهنة الذين جلبتهم معها. الخطر الثاني: عبادة الكواكب في السماوات. في أي حال، ما زال التنجيم حاضرًا في مجتمعاتنا، نطلب من الكواكب معرفة المستقبل. ولكن إن نلنا مثل هذه المعرفة، فماذا نستفيد؟ أليس من الأفضل أن نستند إلى الله ونضع يدنا بيده؟ ذاك هو الإيمان الذي به نغلب العالم كما قال يوحنا في رسالته الأولى: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ. وَهذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا. مَنْ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ الْعَالَمَ، إِلاَّ الَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ؟» (١ يو ٥: ٤- ٥). المسيح يغلب الأصنام، وكلّ قوّة الرومان واضطهاداتهم لم يستطيعوا أن ينهوا الكنيسة بحيث لا يكون لها وجود.

ع. ٣: شعوب الأمم: أنظروا كيف يعملون الأصنام: الخشب، الفضة، الذهب. ما رأيكم بإله مثل هذه الآلهة تضعونه في جيوبكم، فيكون خاضعًا لكم، ولستم أنتم خاضعين له.

ع. ٤: هذه الأصنام مثل «تمثال مرعب» في الحقل، يُبعِدُ العصافير وسائر الحيوانات الصغيرة، أمن هذه تخافون؟

ع. ٦: لا أحد مثلك، عظيم أنت. هو فعل إيمان رائع أمام عابدي الأصنام، وفي جميع البلدان التي تشتّت فيها الشعب خلال المنفى. رفضوا أن يذوّبوا تاريخهم. ماذا بقي من هذه الأكثرية؟ صاروا أقليّة.

ع. ٩: الأصنام؟ فضة من ترشيش، ذهب من أوفاز. هل هي حيّة؟ هل تتحرّك؟ هل تفعل؟ لها عيون ولا ترى.... هي صنع البشر. أتعبدون ما صنعه البشر؟ وكم نبّه الله منذ الوصايا على سيناء: «لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ (أو: لها) وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ (أو: تعبدها)، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ» (خر ٢٠: ٣- ٥).

ع. ١٠: مقابل هذا، فعل إيمان آخر: **أما الرب الإله فحق.** هو الحقّ والحقيقة، وما غيرها سراب وخيال.

ع. ١١: أمّا الآلهة فسوف تزول سريعًا، وما هي صنعت السماء والأرض.

ع. ١٢: امتداد فعل الإيمان: **صانع الأرض بقوّته**، مؤسّس المسكونة **بحكمته**. هنا نلتقي مع مز ١٠٤: ٢٤: «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ. مَلآنَةٌ (أو: امتلأت) الأَرْضُ مِنْ غِنَاكَ». وفي سفر الأمثال ٣: ١٩: «الرَّبُّ بِالْحِكْمَةِ أَسَّسَ الأَرْضَ. أَثْبَتَ السَّمَاوَاتِ بِالْفَهْمِ». ويأتي المطر والرياح.

ع. ١٥: أما الأصنام... ولكن (ع. ١٦) **ليس كهذه** (الأباطيل) **نصيب يعقوب**. نصيب يعقوب **مصوِّر الجميع** وخالق الأكوان.

١٠: ١٧- ٢٥ بكاء وصلاة إن كنتم لا تبحثون عن الرب، ينهدم كل شيء. لا يبقى شيءٌ.

ع. ١٧: الساكنة في الحصار. هو النبي يتوجّه إلى أورشليم التي يحاصرها الأعداء. وينبغي أن لا يفلت أحد (ع. ١٨).

ع. ١٩: ويل لي. ما أتعسني. الخيام اقتُلعت، الأطفال والقطعان سُلبوا.

ع. ٢١: الرعاة، أي الملوك، هم بليدون لا يتحرّكون. لهذا طار بهم الفشل. والعدو الآتي من الشمال يحوّل مدن يهوذا إلى خراب (ع. ٢٢).

ع. ٢٣: عرفت يا رب أنه ليس للإنسان طريقه. أي ليس هو سيّد طريقه. فقد تمهله الظروف. إنّه مسافر ولا يعرف أين يتوقف ولا أين يضرب خيامه التي قد تحملها الريح.

ع. ٢٤: أدِّبْني يا ربّ، أي وجّهني في الطريق الصحيح. ولكن صبّ غضبك على الأمم بسبب ما يعملون بيعقوب (ع. ٢٦).

www.christianlib.com

٣- الخلاصة

كيف يتوجه شعب الله؟ هل يأخذ طريق السهولة بحيث لا يمسّه الخطر؟ ذاك ما فعل المؤمنون في غلاطية: إذا نحن جاهرنا بمسيحيّتنا نتعرّض للاضطهاد. إذن، نعود إلى الوراء ونكون من اليهود فنستفيد من امتيازاتهم ولا نُجبر على تقديم البخور للأصنام. لا، قال الرسول: «أنا لا أستحي بصليب المسيح». أنتبع الأمم في احتفالاتهم بما فيها من غنى. وخصوصًا أطلب رضى القائد العسكري. هذا يعني أنني أعبد ما يعبدون وأرذل ما يرذلون. ماذا أفادنا الله ونحن في قلب الضيق؟

نسير مع الأكثرية. ولكن النبيّ والذين تبعوه يرفضون هذا الطريق الواسع الذي يقود إلى الهلاك. بل يأخذون الطريق الضيّق. وفي وجه القوّة يعلنون إيمانهم بالرب الإله. هو الحقّ تجاه كذب المصنوعات. هو الحيّ قبالة الآلهة الميتة. هو الملك الأبدي. مرّت الجيوش والملوك. مرّت الآلهة وراياتها في مقدّمة المجتاحين. كلّهم راحوا، والرب وحده إلى الأبد. هو فعلُ إيمان يكلفّ الكثير كما كانت الأمور في وقت الاضطهاد. كما خلال المذابح الأرمنيّة والسريانيّة والأشوريّة: من كفر بإيمانه عفوا عنه. ولكن الذين كفروا كانوا أقليّة، والذين ماتوا فقط من الأرمن هم مليون ونصف المليون. هذا عدا المسيحيّين الآخرين. من أجل هذا نصلّي لأجل المضطهدين اليوم، في مئة بلد ونيّف. شجاعتنا شجاعتهم، قوّتنا قوّتهم، جهادنا جهادهم. ونستطيع أن نقول مع الذين ماتوا وكانوا تحت المذبح (رؤ ٦: ٩) وقد «قُتلوا من أجل كلمة الله». أمّا نحن فعلينا أن نكون شاهدين للربّ حتى انقضاء الدهر.

١١: ١- ٢٣ التذكير بالعهد

١- المقدّمة

العهد هو علاقة بين اثنين متعاقدين، علاقة تضامن بين شخصين، بين دولتين. وانطبق هذا الكلام على العهد مع الرب. نحن أمام طريقة بها نعبّر عن العلاقات بين الله والبشر. أنتم تكونون لي شعبًا وأنا أكون لكم إلهًا. واتخذ هذا العهد شكل زواج. الله هو الأمين ويطلب الأمانة من شعبه كما العريس من عروسه. وإن راحت العروس إلى آخر، كانت خائنة، زانية. وكذا الشعب يكون زانيًا إن مضى إلى آلهة أخرى. وكما العريس «يغار»، يتحرّك فيه الحب الذي يرفض كل مشاركة، كذلك هو الله. يُدعى «الغيور» كل مرة يمضي شعبه إلى تلك المعابد التي كانت تشرف على المدن.

مفهوم العهد مهمّ جدًا عند إرميا كما عند حزقيال، لأنّ الشعب، شعب يهوذا، يتعاقد مع الدول الكبرى وبالتالي يأخذ ديانتهم. مثلُ هذا التعاقد هو عبوديّة. يطيع يهوذا مصر ولكن ماذا فعلت مصر لأورشليم المحاصرة؟ تظاهرت أنها آتية لفكّ الحصار عن المدينة، فقامت برحلة «سياحة» انتظر منها الشعبُ الكثير، الكثير. ولكنها ما إن وصلت أو أطلّت حتى عادت أدراجها.

نسيَ الشعبُ العهد. وخبّأ الملك منسى «كتاب العهد» فوُجد في أيام يوشيا. وبدأ الإصلاح حين اجتمع الكهنة في المعابد المشتتة في البلاد. ولكن ما كان يتمّ من تجاوز للعهد في المدن، تركز الآن في أورشليم. لهذا ستنال المدينة المقدسة عن ذلك أكبر عقاب: إن راعت العهد وقيَمه كانت لها السعادة الكبرى. وإن تخلّت عنه كان ذلك سببًا في دمار قريب.

أما تصميم هذا الفصل فيتحدّث أولًا عن عقاب الخيانة للعهد (١١: ١- ١٤). فالشعب زيتونة يجب اقتلاعها (١١: ١٥- ١٧). مثل هذا الكلام يكلف النبيّ غاليًا، فيهدّده أبناء عناثوث: أهله، إخوته وأخواته (١١: ١٨- ٢٣).

٢- تفسير النص الكتابي

١١: ١- ١٤ عقاب الخيانة

ع. ١: الكلام الذي صار إلى إرميا من قبل الرب قائلًا. سمع النبي ما يجب أن يقوله، وهو يوصله بكل أمانة مهما كلّفه هذا الكلام. مثله تلقّى ناثان كلامًا يوصله إلى داود: «فأرسل الرب ناثان إلى داود». ذُكر ناثان قبل داود. فحامل كلمة الله يأتي قبل سامع الكلمة. وما يلفت النظر هو أنه لا يُقال «الملك داود»، بل فقط «داود». وما مضى ناثان من قِبَل نفسه، بل من قبل الله.

ع. ٢: اسمعوا كلام هذا العهد. هي عظة تتوجه إلى رجال يهوذا وسكان أورشليم.

ع. ٣: فتقول لهم: هكذا قال الرب إله إسرَإيل. إله إسرَإيل. الرب الإله. لا بعل كما في الماضي، ولا مردوك إله بابل. «فتقول»؟ «قال» الرب. هو من يتكلّم. كلامه نار. أما إذا كان الإنسان فيتكلّم باسمه. واليوم أيضًا. فلا يتعدّى الكلام الآذان. أما في شرقنا، فالسلطة السياسية تتكلّم وتفرض على خادم العهد أن يقول ما تريده هي، وليس ما يريده الرب. وأفصح مثل هو ميخا بن يملة (١ مل ٢٢). أمره رسول الله: «هُوَذَا كَلاَمُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ بِفَمٍ وَاحِدٍ خَيْرٌ لِلْمَلِكِ (قال لهم ما ينبغي أن يقولوا ليهدئوا قلبه ولو كان كلامهم كلامه). فَلْيَكُنْ كَلاَمُكَ مِثْلَ كَلاَمِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ» (١ مل ٢٢: ١٣). نتذكر أن الملك يهوشافاط لم يقبل بما قال «أنبياء الملك» (لا نبيّ الله). فقال لأخآب: «أَمَا يُوجَدُ هُنَا بَعْدُ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ فَنَسْأَلَ مِنْهُ (الجواب)؟» (١ مل ٢٢: ٧) قرأنا «بعد» لأن أخآب لم يترك نبيًا يتكلم باسم الله. فأجاب أخآب: «يُوجَدُ بَعْدُ رَجُلٌ وَاحِدٌ (ما هو نبي في نظر أخآب، بل رجل مثل غيره) لِسُؤَالِ الرَّبِّ بِهِ، وَلكِنِّي أُبْغِضُهُ لأَنَّهُ لاَ

www.christianlib.com

يَتَنَبَّأُ عَلَيَّ خَيْرًا بَلْ شَرًّا» (١ مل ٢٢: ٨).

ذاك هو وضع إرميا. أيتنبأ «خيرًا» أم «شرًا». وسوف نسمع صدقيّا يتملّق إرميا بأن يقول له الكلام السرابي الذي يدغدغ عواطفه. وكان لنا ميخا بن يملة مثلًا رائعًا. قال: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ (كلام رائع... ليس الله ميتًا مثل الأصنام) إِنَّ مَا يَقُولُهُ لِيَ الرَّبُّ بِهِ أَتَكَلَّمُ» (١ مل ٢٢: ١٤). وقال كلام الرب. فكانت النتيجة أن أحد الأنبياء الكذبة، صدقيا بن كنعنة، اقترب وضرب ميخا على الفك (١ مل ٢٢: ٢٤). والملك جعل هذا النبي الصادق في السجن مع الخبز والماء (١ مل ٢٢: ٢٦). ولن يكون مصير إرميا أفضل من مصير ميخا بن يملة الذي هو غير ميخا المورشتي صاحب السفر باسمه.

وقال النبي إرميا كلام الرب: ملعون الإنسان الذي لا يسمع كلام هذا العهد. والسماع يعني الحفظ والعمل. وذكرهم النبي بمسيرة الرب مع شعبه منذ الخروج من مصر (ع. ٤- ٥). وأتت الطاعة من إرميا: «فأجبتُ وقلتُ: «آمين، يا رب!». فقال الرب لي: «نادِ بهذا الكلام (ع. ٦). ومضى النبيّ وتكلّم. ولكن شعب يهوذا رفض السماع (ع. ٨).

ع. ٩ وقال الرب لي. هو الرب يقود نبيّه وسط الأشواك. «فتنة بين رجال يهوذا، وبلغتنا هي مؤامرة على الله. ولكننا لا نستطيع أن نصل إلى الله، فنهدّد نبيّه. هكذا كان أمر شاول- بولس: «لا يستطيع أن يصل إلى الرب يسوع، فيحاول أن يكمّ أفواه الذاكرين اسمه، كما نقرأ في أعمال الرسل: «أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهَدُّدًا وَقَتْلاً عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ» (أع ٩: ١). ولهذا سيقول له يسوع: «شاول. شاول، لماذا تضطهدني (أنا، من خلال اضطهاد المؤمنين)؟». أجل، غلت نفس شاول غليانًا شديدًا. وهكذا كل مرّة نعلن كلام الله.

إذ كان الوضع من الخيانة إلى هذا الحد، قال الرب لنبيّه: «لا تصلِّ لأجل هذا الشعب... لأني لا أستمع» (ع. ١٤).

١١: ١٥- ١٧ زيتونة خضراء

ع. ١٦: عاطفة قوية فكان الكلام شعرًا: ما لحبيبتي في بيتي؟ هو كلام الحب، لا كلام الغضب. ومع ذلك فهذه «الحبيبة» ماضية إلى الشقاء ولن تفلت.

هي زيتونة خضراء ذات ثمر جميل. ولكنها ما بقيت كذلك. أتعرفين من أتى بك من البعيد وغرسك هنا؟ الرب. رب الجنود غارسك. والشرّ الآتي عليك سوف يقتلعك. ذاك ما فعل يسوع بتلك التينة التي لم تحمل ثمرًا. لعنها. فيبست «لاَ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ!» (مر ١١: ١٤). قالوا: ما جاء بعدُ وقت الثمر. ولكن متى يأتي؟ ثلاث سنوات من البشارة. ذاك ما قال المعمدان وهو يُعدّ الطريق للرب. «وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ» (مت ٣: ١٠). من الثمر تعرَف الشجرة. وكما هُدّد يسوع من قبَل أهل بيته، كذلك هُدّد إرميا. قال لو ٤: ٢٩: «فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلٍ». أما إرميا فهو مثال بعيد عن يسوع.

١١: ١٨- ٢٣ تهديد إرميا

ع. ١٨: والرب عرّفني فعرفت. ما كان إرميا متنبهًا للأمر، وهو من قال عن نفسه حين دعاه الرب: «لأني ولد» (١: ٦). وأخيرًا، عرفت، فهمت.

ع. ١٩: كخروف (بل كحمل) داجن يُساق إلى الذبح. صورة سوف نقرأها في إش ٥٣: ٧ بالنسبة إلى عبد الرب. وهي ستصل إلى يسوع حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم (يو ١: ٢٩). تلك كانت صورة أولى. والثانية: لتهلك الشجرة بثمرها ونقطعه (كما تقطع الشجرة) من أرض الأحياء، فلا يُذكر بعد اسمه. وما كان جواب إرميا؟

ع. ٢٠: يا ربّ الجنود، أنت العادل، أنت تعرف عواطف البشر وأفكارهم. دعني أرى انتقامك منهم، لأني لك كشفتُ دعواي. هي العدالة على الأرض. أما يسوع فسلّم روحه إلى الآب (لو ٢٣: ٤٦). وهتف من أعلى صليبه: «إغفر لهم يا أبت». ولو تعرفون مَن هدّد إرميا!

ع. ٢١: أهل عناثوث يطلبون نفسه. أجل، أعداء الإنسان أهل بيته، كما قال الرب (مت ١٠: ٣٦). هكذا كان في زمن إرميا وأيضًا في زمن ميخا (مي ٧: ٦) وفي زمن يسوع، بانتظار كل واحد منا. لأنّه «ليس تلميذ أفضل من معلّمه وليس عبدٌ أفضل من سيّده». ومتى يكون المسيحيّون أفضل من يسوع المسيح!

٣- الخلاصة

كم أحبّ الربّ شعبه! ولكنّه لم يجد سوى العقوق ونكران الجميل. فالشعب هو «الحبيبة» التي تنال كل عناية من يد الرب، فتكون زيتونة خضراء، والرب ينتظر منها ثمرًا، كما ينتظر من كرمته ثمرًا طيبًا. ولكنّه ينال «عنبًا رديئًا» (إش ٥: ٢) أو «حُصرمًا بريًا».

وماذا يلقى الرب من شعبه سوى الخيانة بعد الخيانة؟ عرفوا في مصر العبوديّة وما زالوا يتوقون إليها مع السمك واللحم والبطيخ والقثاء. فكان حظ جميع الخارجين من مصر أنهم ماتوا في البرية ما عدا اثنين. وها هو المصير عينه ينتظرهم مع إرميا. يحنّون إلى أصنام بابل، إذًا سيذهبون إلى بابل. ومن يقول لهم مثل هذا القول يستحق الموت. هكذا بدأ الاضطهاد على إرميا من أهل بلده، من عناثوث، بانتظار أورشليم، قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. وكما كان لإرميا، كذلك كان ليسوع، ممّا جعل يسوع يبكي

www.christianlib.com

على أورشليم (مت ٢٣) وهو يبكي على كل جماعة بل على كل مؤمن يمضي إلى البعيد ولا يريد العودة إلى البيت الوالدي. كم من النعم نال الشعب في مصر كما في أرض الميعاد! وماذا كانت النتيجة؟ وأنا المؤمن كم نلت من وزنات! يا ليتني أتاجر بها فلا أُدعى ذاك «العبد الشرير الكسول» بل أسمع أجمل كلام: «كنتَ أمينًا على القليل فسأقيمك على الكثير، أدخل فرح سيّدك».

١٢: ١–١٧ شكوى إرميا وجواب الله

١– المقدّمة

هدَّد النبيَّ أقاربُه فاشتكى إلى الله. رأى أقاربه بألف خير وأمّا هو فيعيش في حالة من القلق والفقر. أهكذا يعامل الربُّ أحبَّاءه الذين يعيشون الأمانة له؟ أهي عدالة؟ لا شكّ كلاّ في منطق البشر. ولكن منطق الله غير منطق البشر.

٢– تفسير النص الكتابي

١٢: ١– ٤ شكوى إرميا بدأ النبيّ وطلب الأمن ليقدر أن يقول ما يريد قوله دون أن تكون حياته في خطر: أبرُّ (أي أكثر برارة) أنت يا ربّ من أن أخاصمك. أي أنت فوق كلِّ خصومة لأنَّك البرارة بالذات. ولكنّي أريد أن أرافع عليك كما المحامي في مركز القضاء. فأنا لستُ راضيًا على أحكامك. لهذا، لي بعض الكلام معك.

وها هو السؤال: «لماذا ينجح طريق الأشرار؟»، ففي المزمور الأوَّل تقول: «الأشرار هم كالعصافة التي تذرّيها الريح... ثمَّ: طريق الأشرار تهلك، أي تقود إلى الهلاك». هذا كلامك وها أنت تعارضه بتصرُّفاتك. ثمّ: اطمأنَّ كلُّ الغادرين غدرًا هؤلاء الذين غدرُهم لا يُحتمل هم في طمأنينة لا تجاريها طمأنينة.

وكيف هم مطمئنُّون؟ غرستهم فأصّلوا نموّا وأثمروا ثمرًا. صار لهم أصل عميق وجذور فلا تقتلعهم الرياح. بسرعة نموا وأعطوا ثمرًا. أمّا أنا فلا أعرف أو لا أقدر أن أثبت في مكان، وحياتي معرَّضة للخطر. وأنا ما تزوَّجت ولا كان لي ثمر كما لأبناء عناثوث. أنت قريب في فمهم أو من فمهم. يقولون ويردّدون: الربُّ إله الجنود أو إله الأكوان، ولكنَّه بعيد عن كلامهم والكلى موضع العواطف. أتريدهم أن يعبّروا عن محبّتهم بعواطفهم! لا تنتظر!

هكذا تُعامل الأشرار. لا تنسَ: أنا طلبتُ الأمان. وأنا، كيف تعاملني؟ وأنت يا ربّ عرفتني. والمعرفة عندك ليست عمل الرأس بل عمل القلب. أي اقتربت منّي وقرَّبتني إليك، كما العروس قريبة من عريسها. أما هذا هو العهد؟ رأيتني واختبرت قلبي. نظرت إليَّ نظرة خاصَّة نظرة حبّ واختيار. معك مرَّ قلبي في الامتحان، مثل الحديد في النار قلبي بين يديك هو وما فيه من أفكار. هي من جهتك. هي معك.

الأشرار! أفرزهم كغنم للذبح. هكذا يفصل الراعي الخراف التي يبيعهم للجزّار، للحّام. وخصِّصهم ليوم القتل. أي احفظهم لكي ترميهم أرضًا وتقدّمهم ليُسلَخوا ويُباع لحمُهم.

ع. ٤: حتَّى متى تنوح الأرض؟ هي تلبس الحداد وتحزن، والربّ ألا يحزن؟ ويبيس عشب كلّ الحقل. لم تعد خطرة. والسبب؟ شرّ الساكنين فيها. فالطبيعة ارتبطت بالإنسان منذ البداية. يرتفع فيرفعها. ينحطّ فتنحطّ معه. كلُّ هذا: فنيَت البهائم الطيور. لا عشب في الحقل ولا ثمر في الشجر. هي المجاعة. وشرّ هؤلاء الناس لا يحتمل. لو تسمع يا ربّ ماذا يقولون: الربُّ لا يرى آخرتنا. وفي اليونانيَّة: لا يرى طرقنا. يا لويلنا! الربُّ لا يرى! هل غدا مثل الأصنام. وإن هو رأى فهو لا يتدخَّل. هم بعيدون عن كلِّ رقابة.

١٢: ٥– ٦ جواب الله إن كنت لا تفعل شيئًا، أيُّها الربّ، فعلى الأقلّ كن رحومًا معي. عزّني بعض الشيء شجّعني. لا. بل جاء الجواب قاسيًا.

ع. ٥: إن جريتَ مع المشاة فأتعبوك. صعوبات صغيرة بسبب أهل عناثوث وتعبت. وما عدت قادرًا أن تمشي. فإن جاء الأصلب فماذا تفعل؟ فكيف تباري الخيل. كيف تستطيع أن تسابق الخيل أو السير معها. وكانت صورة ثانية. إن كنتَ منبطحًا في أرض السلام فكيف تفعل في كبرياء الأردنّ. هي «ب ط ح» اطمأن، وثق بنفسه. والمعنى: إن أنت لست مطمئنًا في أرض سهل، فماذا تفعل في صعوبات الأردنّ؟ حين ترتفع أمواجه خصوصًا في وقت الربيع وذوبان الثلوج.

ع. ٦: إخوتك أنفسهم وبيت أبيك يغدرون بك. هو أمر بسيط ويُحتمَل لأنَّك باقٍ وسط الأقارب والمعارف وتستطيع أن تتفاهم معهم. ولكن إن قامت عليك مؤامرة فيكلّمونك بكلام طيّب ويطعنونك في ظهرك فماذا تفعل؟

ما نلاحظ هنا هو أنَّ الله يبتعد عن الأنبياء الكذبة: كلُّ شيء على ما يرام. سوف ترون كيف تتبدَّل الأحوال. هو الربُّ ينبّه نبيّه إلى صعوبات أكثر من هذه التي عرفها حتَّى الآن. وإذ يقول له هذا يذكره أنَّه جعله «مدينة حصينة وعمود حديد وأسوار نحاس» (١: ١٨).

١٢: ٧– ١٣ ترك الربُّ ميراثه اشتكى النبيُّ من الحالة التي وصل إليها. وها هو الله ذاته يشتكي. هو يتألَّم لأنَّه يُجبر على تسليم ميراثه لمن يدمّروهم (را. هو ١١: ٨– ٩). اعتدنا أن نتكلَّم على الله أنَّه «روح، سرمديّ محض» بعيد عن الناس ويضربهم. هو تجديف على الله الذي هو أب بقلب أمّ. يتألَّم لألم أولاده الذين يتصرَّفون بقساوة الواحد تجاه الآخر. حتَّى الأشرار يتأخَّر الله ليعاقبهم لأنَّه يتأسَّف حين يعاقب بشرًا يحبُّهم محبَّة كبيرة. وإن هو تأخَّر وما تدخَّل ليوقف الأشرار عن شرّهم، فلكي يعطيهم مهلة للتوبة، كما قال بطرس في رسالته الثانية (٣: ٩).

www.christianlib.com

ع. ١٠: **رعاة كثيرون أفسدوا كرمي.** داسوه فصار برّيَّة خربة. وتتواصل الصورة المؤلمة... والنهاية: حموّ غضب الله (ع. ١٣).

١٢: ١٤-١٧ خلاص الأمم

ع. ١٤: **اقتلعهم** (جيران يهوذا) من أرضهم واقتلع بيت يهوذا من وسطهم. هي مرحلة أولى بفعل البشر. ولكنَّ الربَّ لا يرضى بما يصير إليه الإنسان.

ع. ١٥: **ويكون بعد اقتلاعي إيّاهم أنّي أرجع وأرحمهم.** من؟ قبيلة يهوذا وحدها؟ كلاَّ جميع الشعوب «وأردّهم كلَّ واحد إلى ميراثه». فإنَّ البابليّين حين أتوا إلى المنطقة سبوا السكّان من يهوذا وموآب وعمُّون... كلُّ شعب يعود إلى أرضه. والكلمة الأساسيَّة: هؤلاء الشعوب «يُبنَون (أي يبنيهم الله) وسط شعبي. صارت كلُّ شعوب الأرض شعب الله. وهكذا ينحصر شعب الله في بيت يهوذا. ويبقى الشرط الأساسيّ: أن يسمعوا.

٣- الخلاصة

وهكذا ينتهي هذا الفصل بموضوع «تربية الأمم». فكما ربّى الله شعبه، وجعله يمرُّ في الألم والمنفى والبُعد عن أرضه، هكذا هو يربّي سائر الأمم. كلُّهم مرُّوا في محنة الدمار، وكلُّهم عادوا إلى البناء. لا حصر بعد اليوم. فالله هو إله الجميع. وعندما يعتبر شعب من الشعوب أنَّ الربَّ هو إلهه، ليعرف أنَّ ذاك الإله ليس الإله الحقيقيّ. وهكذا ينفتح كلام إرميا على الأمم الوثنيَّة، كما قال له الربّ حين دعاه: «انظر! وكلتك هذا اليوم على الشعوب (أو على الأمم) وعلى الممالك». سيكون هدم وقلع، ولكنَّ الله في النهاية يبني ويغرس. يبني ما تهدَّم ويغرس الكرم والزيتون والتين وسائر الأشجار، فيستطيع كلُّ واحد أن يجلس تحت كرمه وتينه، يقرأ التوراة، ولا يرعبه أحد. هكذا كان نثنائيل حين جاء إليه يسوع. فقال له: «وقبل أن دعاك فيلبُّس، وأنت تحت التينة، رأيتك» (يو ١: ٤٨). إلى مثل هذا السلام نتطلَّع اليوم أيضًا. فمتى يكون لنا سلام! تلك هي طلبتنا.

١٣: ١-٢٧ الربُّ يرذل شعبه

١- المقدّمة

لا يكلّم الله فقط شعبه بالكلام: هكذا قال الرب، بل هي فعلات رمزيّة، بحيث يرون وفي الوقت عينه يسمعون. هي صور واستعارات تصيب المخيلة أكثر من توسّعات نظريّة. فصور «المنطقة من كتان» و«الجرّة المكسورة»، و«الظلمات؟ و«الملك الجالس أرضًا» و«الحبشي والنمر»، كل هذه تدلّ بقوة على الانحطاط الذي وصل إليه شعب الله، وعلى طابع مصيره المأساوي.

أما التصميم فيرد في ثلاث محطات. الأولى (١٣: ١- ١١): منطقة من كتان. نحن نعرف «الحزام من جلد» الذي يحيط بخصرنا. وأما هنا فالحزام هو من كتّان ويمكن أن يهترئ. الثانية (١٣: ١٢- ١٧): آنية الغضب. والثالثة (١٣: ١٨- ٢٧): عقاب الخيانة.

٢- تفسير النصّ الكتابي

١٣: ١- ١١ منطقة من كتّان هذه الفعلة الرمزية مَثَلٌ يصل بالإيماء (لا بالكلام، بل بالحركات). فيستذكر تطوّر العلاقات بين الرب وشعبه. أولاً: اقتناء (أو شراء) المنطقة وإلصاقها بالجسم (ع. ١١). ثانيًا: إزالة المنطقة بسبب خطيئة الشعب. ثالثًا: فساد المنطقة بحيث لا تصلح لشيء. هو في الوقت عينه عقاب إلهي (ع. ٩) ونتيجة إزالتها. لم تعد ملتصقة بجسم الإنسان. ذاك ما نلاحظه بعد أيام كثيرة، فنندهش. فبالنسبة إلى الذين ينفذون العمل كما بالنسبة إلى المشاهدين، مثل هذه الفعلات لم تكن فقط صورًا وزخرفة، بل تتطلع حقًا إلى المستقبل. عندئذ نفهم ردة فعل فشحور في ٢٠: ٢. كانت فعلة إرميا خطيرة جدًا. هي صورة مسبقة لما يحصل لفشحور الكاهن. فكلمة الله في فم النبي، ليست فقط تحرّك الهواء، بل هي قاتلة.

ع. ١: **اشتر لنفسك منطقة.** هي جديدة. والنبي لا يغسلها بالماء. فالعرق الخارج من الجسم والوسخ كفيلان بإفساد النسيج بشكل سريع.

ع. ٣: واشترى النبي المنطقة (أو: الحزام). وعندها سمع كلام الرب. إمّا هو كلام حميم من قبل النبي نفسه مع كلمة الرب الحية (١: ٤). وإمّا هو شهادة حول هذا الحدث في حياة النبي (٢٨: ١٢). هذه العبارة (ع. ٣: فصار إليّ كلام الرب ثانية) هي مقدمة ترد مرارًا لما سوف يكشف الربّ لنبيّه (١: ٤، ١١، ١٣) ولما يحمّله من بلاغات ينبغي عليه أن يحملها (٢: ١).

ع. ٤: **انطلق إلى الفرات** أو بالأحرى وادي فارة التي تبعد ساعة سير على الأقدام. وهي واقعة إلى الشمال من عناثوث. ولكن يبقى أن «ف ر ت» يعني في البيبليا: نهر الفرات. واستذكار الفرات هنا يأخذنا إلى العالمين الأشوري والبابلي، وإلى المنفى لمملكة الشمال (أي نينوى) ومملكة الجنوب (أي بابل). ولكن المنفى لن يفسد المنفيّين الذين نالوا وعدًا بمستقبل مزدهر، ممّا يعني أنه يكون فيهم خير (را. ف. ٢٤ و٢٩). إلا إذا رأينا في المنطقة التي تفسد قرب الفرات استذكار محن المنفى. والنتيجة: هكذا هو شعب يهوذا، الشعب الشرير، المعاند.

ع. ١١: **لأنه كما تلتصق المنطقة بحقوي الإنسان،** هكذا ألصقت بنفسي كل بيت إسرَإيل وكل بيت يهوذا. يتعلّق الرب بأحبائه، ويرتبط تعلّق الشعب بالربّ. الشمال والجنوب. إسرَإيل ويهوذا. ما زال الأمل حاضرًا بعودة الذين كانوا واحدًا مع سليمان وداود. فجميع الفرائض تتلخّص وتجد ينبوعها في هذا الالتصاق: المخافة والخدمة

www.christianlib.com

والمحبة والسماع إلى الكلمة، وحفظ وصايا الربّ والمسيرة في طرقه وفي إثره (تث ١٩: ٢٩؛ ١٣: ٥؛ ٣٠: ٢٠). فالذين يلتصقون بالرب يرثون الأرض (تث ١١: ٢٢- ٢٥) وينجحون (٢ مل ١٨: ٦- ٧) وتكون لهم الحياة. أما الذين يركضون إلى البعل فيفنون (تث ٤: ٣- ٤؛ ٣٠: ٢٠). وهذا الالتصاق هو التعلّق بكل كياننا (تك ٢: ٢٤)، نفسًا وجسدًا. وتتجدد الحيوية الشخصية الحميمة بيد الرب نفسه (٣٨: ١٦)، وهذا ما يقودنا إلى مشيئته تعالى (مز ١١٩: ٣١)، إلى العبادة الحقّة، عبادة حياتنا كلّها.

١٣: ١٢- ١٧ آنية الغضب هي عبارة من عندنا تعود إلى رسالة بولس إلى أهل رومية (٩: ٢٢) حيث يعاملنا الله بطول أناته وصبره.

ع. ١٢: **كل زق يمتلئ خمرًا.** والزقّ هو كل واحد، من الملك حتى سكان أورشليم إن امتلأوا خمرًا سكروا. وأحطّمهم، نرى هنا القساوة لأنّ الرب لا يعود ينتظر. وما العمل؟ يسمعون. والويل لهم إن تأخروا.

ع. ١٧: **وإذا لم يسمعوا،** ماذا تكون ردّة الفعل عند الله؟ فإن نفسي تبكي في أماكن مستترة (بحيث لا يراني أحد) من أجل (أو بسبب) الكبرياء. وماذا ينظر الله ونبيّه؟ شعب الرب ماضٍ إلى السبي. يسيرون ماشين على أرجلهم، مربوطين بحبل لئلا يهرب واحد. وإن تعب واحد منهم أو مرض أو ربما مات، يحلّون الحبل ويتركونه في الطريق الصحراويّة ويواصلون الطريق.

١٣: ١٨- ٢٧ نتيجة العصيان وهنا تتفجّر العاطفة فيردُ الكلام شعرًا.

ع. ١٧: **قل للملك والملكة:** اتضعا واجلسا، أو امتدّا على الأرض. لا عرش بعدُ ولا تاج. أفرغت مدن الجنوب.

ع. ٢٠: **ارفعوا أعينكم وانظروا.** العدوّ آت من الشمال، يراه النبي وإن كان لا أحد يستطيع أن يراه. عين النبيّ ترافق عين الله.

ع. ٢٣: **هل يغيّر الكوشي** (أي صاحب اللون الأسود) جلده أو النمر رقطه؟ والجواب هو كلا. والشعب لا يتغيّر لأنّ أهواءه تسيطر عليه. لم يعد حرًّا في تصرّفه. فيشبه ما يقول الرسول: لا أصنع الخير الذي أريد، بل أصنع الشرّ الذي لا أريد. هو انحطاط. اعتادوا على الطريق المنحدرة ولا شيء يوقفهم.

ع. ٢٤: **فأبدّدهم كقش.** ذاك ما حصل للهاربين إلى مصر وللمقادين في السبي والمشتّتين في كل مكان... بان عار أورشليم، ومع ذلك هي لا تريد أن تكون طاهرة من كلّ نجاسة، وعندئذ تتبعني. وكم تحتاجين إلى وقت؟

٣- الخلاصة

لا يريد الشعب أن يسمع كلام النبي. ربما يرى. وما هو وضعه؟ في تشبيه بسيط: أنتم مثل «منطقة كتان» كنتم بخير، حين كنتم ملتصقين بي. كما الأم تحمل ابنها. هو في سلام. مغمور بمحبتها. ولكن ماذا يحصل حين ترميه على الطريق، في هذه البريّة بعد أن يكون تلف مثل هذه المنطقة، هذا الحزام. حزام لا ينفع. يُرمى. إلى أين يمضي هؤلاء؟ هم سكارى، امتلأوا خمرًا، فهم يترنّحون بانتظار أن يصبحوا في قعر الوادي، فلا يبقى للرب سوى التحسّر والبكاء. متى تعودين يا أورشليم. أنا أنتظرك عند الباب وأدعوك للدخول. ولكن الباب ضيّق. اجتهدوا لتدخلوا. ترفضون، تتأخرون. «مِنْ بَعْدِ مَا يَكُونُ رَبُّ الْبَيْتِ قَدْ قَامَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ، وَابْتَدَأْتُمْ تَقِفُونَ خَارِجًا وَتَقْرَعُونَ الْبَابَ قَائِلِينَ: يَارَبُّ، يَارَبُّ! افْتَحْ لَنَا. يُجِيبُ، وَيَقُولُ لَكُمْ: لاَ أَعْرِفُكُمْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ!» (لو ١٣: ٢٣- ٢٥). ذاك كان وضع معاصري إرميا؛ دعاهم الرب ودعاهم، ما أرادوا أن يتوبوا، ما أرادوا أن يسيروا وراءه كما الخراف وراء راعيها، رحمهم، أطال أناته. وفي النهاية كانت الكارثة.

وما حصل لمعاصري إرميا، يحصل لكل واحد منا. يريدنا الرب له. «من يحبني يحفظ كلمتي وأبي يحبّه وعنده نصنع منزلاً». لا مكان لك عندنا يا ربّ ولا نفتح لك الباب. مرّ الرب يسوع في شوارع أريحا، فما فتح له أحد بابًا، سوى زكّا العشّار. والرب دعانا غصنًا في كرمه. هل نلبث متعلقين بالكرمة وننال منها الحياة. «اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ» (يو ١٥: ٤). ولكن «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ» (يو ١٥: ٦). لا يا ربّ. بل نحن نتعلّم. نبقى ثابتين فيك لأنّ فيك الحياة وبقدرتك نصنع ثمرًا وتدوم ثمارنا.

١٤: ١- ٢٢ الجفاف وما يتبعه من صلاة

١- المقدّمة

ناحت يهوذا وأبوابها (أو الناس الذين على أبوابها)، ذبلت. حزنت وانحنى رأسها إلى الأرض، وصعد العويل من أورشليم. هكذا تبدأ الصلاة الجماعيّة. هي صلاة شعرية في زمن الجفاف والضيق. يتعرّض الشعب للحالة التي وصل إليها (ع. ١- ٦) ويدعو إلى عون الله الذي يحمل اسمه (ع. ٧- ٩). ولكن جواب الرب أتى قاسيًا. ورفض كل تشفّع من لدن النبي وثبّت الحكم على الشعب. عندئذ يستعيد الشعب صلاته ويقرّ بخياناته (ع. ١٩- ٢٢). ولكن الرب يرفض أيضًا هذا التشفع ويثبت مرّة أخرى دينونته (١٥: ١- ٤). فصورة الله الذي لا يرحم، هي تعبير عن جذريّة العهد. فالرب لا يرضى بأنصاف الحلول، ولا بتوبة تزول سريعًا مثل ندى الصباح. أو مثل حبّة قمح زُرعت في أرض غير عميقة التراب. فما إن نمت حتى يبست (مت ١٣: ٥). ولا يريد موقفًا مثل موقف العبرانيّين الذين تركوا مصر ولكن قلوبهم لبثت في مصر. بل قالوا

www.christianlib.com

مرة لموسى: نبقى عبيدًا ونخدم فرعون، صاحب البيت الكبير (خر ٥: ٢١). فما لنا وهذه البرية الشاسعة حيث لا نرى سوى الرمل. نستطيع أن نقول بشكل بشري: تعب الرب وما عاد يثق بما وعده به شعبُه. هو انشداد بين الله والشعب. وفي النهاية، يتألم الله لأنّ شعبه تركه. ويدعوه يومًا بعد يوم إلى التوبة، مثل أب يحاول أن يعيد ابنه إليه: «لتذرف عيناي دموعًا ليلًا ولا تكفّ (عن البكاء) لأنّ العذراء بنت شعبي سُحقت سحقًا عظيمًا» (ع. ١٧).

أمّا التصميم فيبدو كما يلي. أولًا: الجفاف وتوسل أول (١٤: ١-٩). ثانيًا حكم لا استئناف فيه (١٤: ١٠-١٦). ثالثًا: توسّل جديد (١٤: ١٧-٢٢).

٢- تفسير النصّ الكتابي

١٤: ١-٩ الجفاف وتوسّل أوّل هو حوار طويل بين الله والنبيّ. في هذا المقطع وصف للجفاف (ع. ١-٦) ثم صلاة النبي باسم الشعب (ع. ٧-٩) في صيغة المتكلّم الجمع: «إن تكن آثامنا (نحن) تشهد...».

ع. ١: هو البحث على الماء في كل مكان. لا يجدون. خزوا وخجلوا وغطوا رؤوسهم.

ع. ٤: الأرض عطشى. تشققت. حيوانات البرّ كلّت عيونها لأنّه ليس عشب. هي عواطف الإنسان في الحيوان. عادة كانوا يعتبرون الجفاف مقدّمة للجوع وربّما الموت. وفي ذلك الوقت، لم تكن تأتي المساعدات، فلا بدّ من الذهاب إلى حيث يوجد قمح. وبالنسبة إلى العبرانيّين: مصر. إلى هناك مضى إبراهيم (تك ١٢: ١٠) وكاد إسحاق يمضي لو لم يُثنه الله ويباركه: «لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ (أن تسكن فيها)» (تك ٢٦: ٢). ويتواصل الكلام: «وَزَرَعَ إِسْحَاقُ فِي تِلْكَ الأَرْضِ فَأَصَابَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِئَةَ ضِعْفٍ، وَبَارَكَهُ الرَّبُّ» (تك ٢٦: ١٢). وكان جوع في أيام يعقوب. «١ فَلَمَّا رَأَى يَعْقُوبُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمْحٌ فِي مِصْرَ، قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ:... انْزِلُوا إِلَى هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لَنَا مِنْ هُنَاكَ لِنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ» (تك ٤٢: ١-٢). أما الجوع في زمن إيليا فكان عقابًا من أب على شعب يحسب أن بعل هو من يعطيه الخصب والبركة.

ع. ٧: وإن تكن آثامنا تشهد علينا، يا ربّ فاعمل لأجل اسمك. نحن لا نستحق لأننا خطاة. فاسم الرب هو شخصه وقدرته. وهو يعمل. فكلّ عطيّة صالحة هي من لدن أبي الأنوار (يع ١: ١٧). وعلّمنا الرب يسوع أن نقول: أعطنا خبزًا ما يكفي يومنا. هل أنت يا ربّ غريب، مسافر، إنسان متجبر، جبار لا يستطيع أن يخلّص. ولكن يعود المصلّي إلى رشده: «أنت في وسطنا يا رب». أما العبرانيون في البرية فتساءلوا: هل الله معنا أم لا؟ وهل يقدر؟ هو الإيمان يضعف عندنا وخصوصًا حين يصبر الرب بحيث لا يفعل بسرعة. فنلحّ ونلحّ: الرب تأخّر.

١٤: ١٠-١٦ حكم لا استئناف فيه توسّل الشعب ومعه النبي، فكان جواب الرب سلبًا: الرب لم يقبلهم (ع. ١٠)، ولم يقبل صلاتهم. وينطلق حوار حول التشفع وحول كرازة أنبياء آخرين. ولكنّهم في الواقع أنبياء كذبة: لم أرسلهم ولا أمرتهم (ع. ١٤).

ع. ١٥: قال الرب عن الأنبياء: هم يفنون بالجوع والسيف ومثلهم الشعب الذي يسمع لهم.

١٤: ١٧-٢٢ توسّل جديد هو الإلحاح. توسّلوا مرّة أولى. وها هي مرّة ثانية. لن يتوقفوا عن الاعتراف بخطاياهم والبكاء. ولكن هذا التوسّل يسبقه استذكار الشرور التي تنصبّ على الشعب (ع. ١٧-١٨). وهذا الاستذكار يبدو توسّلًا آتيًا من عند الله. وهو يدلّ أن الرب يتألم حين يرى شعبه مسحوقًا.

ع. ١٨: إذا خرجتُ إلى الحقل... ماذا أرى؟.. ويأتي السؤال إلى الرب:

ع. ١٩: هل رفضت يهوذا... هل كرهت نفسك صهيون... انتظرنا... ولكن

ع. ٢٠: قد عرفنا يا ربّ شرّنا. لأجل اسمك. ثم كرسي مجدك. وأخيرًا عهدك معنا (ع. ٢١). وهنا نتذكر المزمور ١١٥: «لَيْسَ لَنَا يَا رَبُّ لَيْسَ لَنَا، لكنْ لاسْمِكَ أَعْطِ مَجْدًا، مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ مِنْ أَجْلِ أَمَانَتِكَ. لِمَاذَا يَقُولُ الأُمَمُ: «أَيْنَ هُوَ إِلهُهُمْ؟» إِنَّ إِلهَنَا فِي السَّمَاءِ. كُلَّمَا شَاءَ صَنَعَ» أترضى يا ربّ أن يُقال عنك إنك ضعيف. غير قادر، أو أسوأ من هذا، أنك لا تريد أن تفعل فتقسّي قلبك على أولادك الذين في الضيق. أهو الرب نائم لا يتحرك مثل الأصنام؟ كلا. والشعب ينتظر. مع كل هذا «فَاسْتَيْقَظَ الرَّبُّ كَنَائِمٍ، كَجَبَّارٍ مُعَيِّطٍ مِنَ الْخَمْرِ» (مز ٧٨: ٦٥). وهذا ما يقودنا إلى التلاميذ الذين كانوا في القارب مع معلّمهم. هو نائم. هاج البحر. أيقظوه قائلين: «يَا مُعَلِّمُ، أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟» (مر ٤: ٣٨). وفي الحال «قَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ... فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ» (مر ٤: ٣٩).

٣- الخلاصة

كل ما كُتب في العهد القديم إنّما هو لتعليمنا. نجعل نفوسنا وسط هؤلاء الذين يهدّدهم الجوع أو الحرب. ما هي عاطفتنا؟ الإحباط، اليأس، الهرب. لماذا لا نلجأ إلى الصلاة سواء كان الضيق جماعيًا أو فرديًا؟ فمعاصرو إرميا توسّلوا إلى الله، تأخّر. إذًا، هو رفضنا وما أراد مساعدتنا. ومَن قال لكم ذلك؟ هو تأخر. انظروا إلى يسوع. هل استمع له الآب وهو على الصليب وخلّصه حين تحدّاه المارّون. الرب يفعل. ولا شك في ذلك. فما أحلانا حين ننتظر خلاص الرب!.

والصلاة إلحاح بلا توقّف. أعطانا الرب يسوع مثلين عن صلاة

www.christianlib.com

لا تتوقف ولو طال الانتظار. «مَنْ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ صَدِيقٌ، وَيَمْضِي إِلَيْهِ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُولُ لَهُ يَا صَدِيقُ، أَقْرِضْنِي ثَلاَثَةَ أَرْغِفَةٍ» (لو ١١: ٥). يجيبه: «لا تزعجني». ويستخلص يسوع: «أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ لاَ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِكَوْنِهِ صَدِيقَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ لَجَاجَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ» (لو ١١: ٨). إذا كان البشر كذلك، فما يكون الله.

وأعطانا يسوع مثلاً آخر عن أرملة تطلب من قاضٍ لا يخاف الله ولا يهاب البشر (لو ١٨: ٢). قالت: «أنصفني من خصمي»، وألحّت. وفي النهاية نالت ما أرادت. واستخلص يسوع: «أفلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ، الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلاً؟... أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعًا!» (لو ١٨: ٧-٨). ولكن ماذا ينقصنا في كل هذه الحالات؟ الإيمان، والاتكال على الله وحده. أما معاصرو إرميا فانتظروا مع الله عون بعل أو سائر الآلهة. وهكذا ما نالوا الخلاص الذي أرادوا. فالرب قال لنا: مهما تطلبونه بإيمان تنالونه. والإيمان تعلّق بالله. نضع يدنا بيده. جرّبوا، تحسوا بالطمأنينة وهو يهتمّ بكم على الأقلّ كما يهتمّ بطيور السماء.

١٥: ١-٢١ تركت أورشليم الربّ فتركها

١- المقدّمة

جوّ ثقيل. صراع بين الله وشعبه. وبين الاثنين إرميا. يريد أن يتوسّل، ولكن الرب يرفض التوسّل. إلى مَن يلتفت؟ إلى الذين يديرون له ظهورهم. هم ماضون إلى الموت، وجميع المحاولات باءت بالفشل. صرخ الرب فما كان أحدٌ يسمع. بكى كما الأب يبكي على أولاده الذين لا يريدون أن يسمعوا. نحن نحسب أن الله يعاقب بيده ونعاتب. عمليًا، نحن نبحث عن الكارثة، نفتح لها أبوابنا ونبقى غير واعين لما يحدث حولنا. يرى الرب أمواج البحر العاتية تتقدّم وتتقدّم. أما أولاده فلا يخافون. ولكن حين يغرقون، يتألم النبي ويتألم الرب معه. الشقاء آت لا محالة. ويريد الرب أن يمسك بيد شعبه. ولكن شعبه يرفض هذه اليد الممدودة.

وأما تصميم هذا الفصل، فيقع في ثلاث محطات. الأولى (١٥: ١-٤) هي امتداد للفصل السابق. عنوانها: حكم نهائي محتوم، لا رجوع عنه. المحطة الثانية: تركَتْه فتركها وشأنها (١٥: ٥-٩)، وأخيرًا، ثبّت الربّ إرميا في مهمّته (ع. ١٠-٢١).

٢- تفسير النص الكتابي

١٥: ١-٤ عقاب نهائيّ محتوم في الفصل السابق، كان حوار بين الله ونبيّه. توسّل الشعب، رفض الله توسّله. توسّل مرة ثانية، فجاء الجواب في ١٥: ١-٤. لا مجال لتوسّل ثالث. وطلب إرميا المساعدة من موسى وهو الذي أبعد الكأس مرارًا عن شعبه خصوصًا بعد خبرة العجل الذهبي. قال له الرب: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا» (خر ٣٢: ٩-١٠). فتضرّع موسى أمام الرب: هو شعبك الذي أخرجته من مصر. فماذا يقول عنك المصريّون: «أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ؟» (خر ٣٢: ١٢) وصموئيل، قال له بنو إسرائيل: «لاَ تَكُفَّ عَنِ الصُّرَاخِ مِنْ أَجْلِنَا إِلَى الرَّبِّ إِلهِنَا فَيُخَلِّصَنَا...» (١ صم ٧: ٨). عندئذ «أَخَذَ صَمُوئِيلُ حَمَلاً رَضِيعًا وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً بِتَمَامِهِ لِلرَّبِّ، وَصَرَخَ صَمُوئِيلُ إِلَى الرَّبِّ مِنْ أَجْلِ إِسْرَائِيلَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ الرَّبُّ» (١ صم ٧: ٩). صلّى موسى فاستجاب له الرب. وقدّم صموئيل ذبيحة فنال ما طلب. أما إرميا فسمع كلامًا قاسيًا: «لا تكون نفسي (إحساسي) نحو هذا الشعب» (إر ١٥: ١)، بل لن ألتفت إليهم. أطرحهم من أمامي. أبعدهم. لا أريد أن أراهم. ليخرجوا، ليمضوا.

وإن سألوك: إلى أين نخرج، نمضي؟ هناك أربعة اتجاهات، وكل اتجاه أسوأ من الآخر. واتركهم يختارون: الموت، السيف، الجوع، المنفى. استعاد سفر الرؤيا هذا الكلام في قلب الاضطهاد، لا غضبًا من الله، بل توضيحًا لما سيكون للمؤمنين في الإمبراطورية الرومانية. والنتيجة: «هنا صبر القديسين» (رؤ ١٣: ١٠). و«القديسون» هم المؤمنون. والصبر هو الفضيلة الضروريّة في وقت الشدة ولاسيّما أمام الموت.

ع. ٣: وأوكل عليه أربعة أنواع. فكأنه يرسل عليهم أربع فرق عسكريّة لا يقف في وجهها أحد. السيف، الكلاب (تسحبهم)، الطير والوحوش، للأكل. صورة عن الحرب في أبشع مظاهرها.

ع. ٤: وأدفعهم للقلق. يكونون مثالاً. كل من يراهم يحسّ بالقلق والاضطراب، لا لبني إسرائيل فقط، بل لكل ممالك الأرض. وأساس الشرّ هو منسّى الذي أدخل كل هذه العبادات الوثنية والتي لا يستطيع الشعب التخلّص منها.

١٥: ٥-٩ تركَتْه فتركها الرب لا يتركنا أبدًا ولا يبتعد عنا. بل نحن نفعل مثل الابن الضال (لو ١٥) ونمضي إلى البعيد. وهكذا أورشليم. لا تسأل عن أخبارك، عن سلامتك، هذا إذا كنت بعدُ حيّةً ترزقين. قال المزمور الثلاثون: «غضبه لحظة». هو لا يطول ويطول، إذا كان الرسول قال لنا: «لا تغرب الشمس على غضبكم»، أيطول غضب الرب أكثر من غضبنا؟ كلا ثم كلا. «حَيَاةٌ فِي رِضَاهُ. عِنْدَ الْمَسَاءِ يَبِيتُ (يمضي إلى بيته) الْبُكَاءُ. وَفِي الصَّبَاحِ تَرَنُّمٌ» (مز ٣٠: ٦). لا، لا تخافوا.

ع. ٦: وها هي الشكوى. أنا ما تركتك، أنتِ تركتني. وحاول الرب أن يضرب عروسه. ولكنها الندامة. لا في هذه المرة. نعطيها فرصة.

ع. ٧: لا أولاد عندهم. فالرجال في الحرب، والأرامل كثيرات

www.christianlib.com

بسبب القتلى. من لا يذكر الحرب العالميّة الثانية. لم يبقَ شبان في ألمانيا للعمل. فاستعانوا بالغرباء ليعيدوا بناء المدن. ويبدو أن الأمور لم تنتهِ. فالسيف ما زال هنا، وكل هذا نداء إلى التوبة والعودة إلى الرب.

١٥: ١٠– ٢١ إرميا يشتكي ويتألّم النبي ويستعدّ لأن يترك الأرض ويتنازل عن رسالته، ولكن الربّ يشجعه ويثبته في رسالته. كما يشبه إيليا الذي هرب من إيزابيل خوفًا من الموت، ثمّ طلب الموت لنفسه. ووصل إلى الرب على جبل حوريب. ولكن ما قال له الرب: إبقَ هنا، في هدوء في طمأنينة. كلا. وبّخه. ماذا تعمل هنا؟ هربت. «بقيتُ أنا وحدي» (١ مل ١٩: ١٤). لا، لست وحدك. «اذهب راجعًا في طريقك» (١ مل ١٩: ١٥). ذاك الذي أعطاك القوّة لتصل إلى حوريب، يرافقك في عودتك لتواصل الرسالة.

وهكذا كان إرميا: ويل لي يا أمي لأنك ولدتني إنسان خصام. الناس يخاصمونني، يعارضونني. وأسوأ من كل شيء: وكل واحد يلعنني. فكأنه هو السبب. يعلن الشرّ فيعتبر الناس أنه هو أصل الشر. ذاك كان وضع أليشع. اعتبره ملك السامرة سبب هذا الجوع، فقال: «هكذا يصنع لي الله وهكذا يزيد إن قام رأس أليشع بن شافاط عليه اليوم» (٢ مل ٦: ٣١). اعتبر الملك أن أليشع هو سبب ما يحصل في المدينة. نقتل أليشع فلا يكون تمرّد في المدينة. وكذا قال بيلاطس: نرسل يسوع إلى الصلب (يو ١٩). وسبق رئيس الكهنة فقال: «خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمّة كلّها» (يو ١١: ٥٠).

ع. ١٢: هل يُكسَر الحديد، الحديد الآتي من الشمال؟ هو غضب الله مثل نار تُحرق. توقّد عليكم (ع. ١٤).

ع. ١٥: أنت يا ربّ تعرف. بل تعرفني... المضطهدون كثيرون. وأنت تنتظر ولا تفعل. أتكون لي مثل (سيل) كاذب (ع. ١٨)، يكون قويًا في الشتاء ويجفّ في الصيف. هو عتاب بين صديق وصديقه. مَن لم يختبر مثل هذا الحوار مع الرب؟ وهكذا يكون إرميا قريبًا منا. بعضنا يندم لأنه جادل الرب. فما أحلى الولد يجادل والده فيرتاح قلبه بعض الشيء. إذا كنت تعامل هكذا الذين يهابونك فكيف تعامل الآخرين.

ع. ١٩: لذلك، هكذا قال الرب. أنت ترجع وأنا بيدي أرجعك. إن كنت لا ترجع إلى العمل فأنا لا أُجبرك على التحرّك. وانتبه ماذا تقول، لا الكلام الفارغ، السطحي، الذي يمالق الإنسان. قال: وإذا أخرجتَ (الكلام) الثمين من (الكلام) المرذول، عندئذ يكون فمك فمي. هكذا يكون النبي الحقيقي. وكم نفرح حين يقول لنا الرب مثل هذا الكلام. عند ذلك نعرف ما نحن نقول، لأنّ الربّ هو مَن يقول. وخصوصًا نعدّ نفوسنا ليكون فمنا حاملًا كلام الله لا كلام البشر.

٣– الخلاصة

هذا جزء من «اعترافات» إرميا. هو يبكي بكاء الله، ويغضب غضب الله. والراعي في الرعية هكذا يكون. إذا كانت الأمور لا تهمّه، سواء نجحت في نظر الرب أو لم تنجح، فما هو براعٍ بل هو أجير. ماذا نأكل؟، ماذا نشرب؟، ماذا نلعب؟. فجاء كلام الرب: هذه أمور تطلبها الأمم. أما أنتم فأبوكم السماوي يعرف ما تحتاجون إليه. وهو من سبق وقال لرسله حين بعثهم: «مجانًا أخذتم مجانًا أعطوا». فالسلطة التي في يدكم، بل كل التعليم الذي تلتموه: كل هذا جاءكم مجانًا. فلماذا تريدون أن تجمعوا الثروة؟ وفي أيّ حال، يكون سهلًا للنبيّ أن يجمع المال إن هو خضع «للملك». كان هيرودس يفرح بأن يسمع ليوحنا المعمدان. فلماذا لم يستفد يوحنا من هذه «العاطفة». بل فضّل أن يقبع في السجن. أما رعاتنا فيعرفون من يصاحبون، لا المساكين كما كان برنامج يسوع (لو ٤)، بل الأغنياء والأقوياء وغيرهم. عندئذ لا يكون الإنسان نبيّ الله، بل نبيّ الملك والعظماء. لا يقولون سوى ما يأمرونه بأن يقول. يصبح فمهم فمه، مع أن الله قال لإرميا: «فمك يكون فمي». عندئذٍ يكون كلامك كلامي وإلّا أرفضه وأرفضك معه.

١٦: ١– ٢١ الرجاء من قلب العقاب

١– المقدّمة

تعب الربّ أمام قساوة قلب شعبه. فما عرفوا أن يستفيدوا من الشقاء الذي يحل بهم ليعودوا إلى الرب. وكما الرب، كذلك نبيّه، وعواطف النبيّ هي عواطف الرب، وفمه فم الربّ وكلامه كلام الربّ. والويل له إن أضحى كلامه كلام البشر. عندئذ لن يتميّز في شيء عن الأنبياء الكذبة. هذا النبي واجه عدم الفهم والرفض من قبل مواطنيه. بل سئم نفسه لأنه لا يعلن سوى الشقاء، لأنّه لا يجد أمامه سوى الضيق والحرب والجوع والسيف. يا ليته يقول للناس: لا تخافوا. لا شيء. هو السلام والرب يحمينا ولو كنا نحن لا نحمي نفوسنا! هذا في الواقع ما به يحمي شعبه. ويتكرر الكلام ويتكرر. عندئذ تحرّك الشك في قلب إرميا وضاعت كلّ شجاعة عنده، فأرخى يديه وصكّت رجلاه. لماذا المقاومة بعد؟ بل لماذا الكلام في آذان لا تسمع؟ وهكذا، في حوار مع الله، يصرخ ضيقه في بكاء لا يمكن إلّا أن يؤثّر فينا. أما الرب فذكره برسالته وما فيها من نسك، ووعده بأن يكون له سندًا.

في هذا الإطار نقرأ الفصل ١٦ في محطتين اثنتين: الأولى (١٦: ١– ١٣) حياة منعزلة، والثانية، إعلان التحرير والخلاص (١٦: ١٤– ٢١).

www.christianlib.com

٢- تفسير النص الكتابي

١٦: ١- ١٣ حياة منعزلة كما هوشع حين تزوّج زانية، تقبّل أن يدلّ على حبّ الله لشعبه الخائن، الزاني (هو ٢)، هكذا هو إرميا بأن تكون عزوبته علامة العزلة والشقاء حيث يغرق الله شعبه بفعل خياناته.

اعتدنا أن نرى فعلة إرميا: حين أخذ منطقة (أو حزامًا) من كتان (إر ١٣: ١)، أو حين أخذ جرارًا من خمر (١٣: ١٢). أما هنا فحياته كلّها فعلة رمزية. يعني: تصوَّر المصير المحفوظ ليهوذا. فحياته المعزولة عن الناس تتحوّل إلى عزلة. وحياته بدون فرح تعني أن كل فرح أبعد عنها. هكذا فرض الله موقفًا على هوشع، وخصوصًا على حزقيال حين توفّيت زوجته (حز ٢٤: ١٦- ٢٤).

ع. ١: **ثم صار إليّ كلام الربّ قائلًا:** ها نحن ننتظر نداء هامًا. لا تتخذ لنفسك امرأة، ولا يكن لك بنون وبنات في هذا الموضع. تلك هي الفعلة الرمزيّة. ويجب أن تأتي الكلمة لتشرح للناس ما فعل إرميا. والأمر عينه كان مع حزقيال في كل فعلة رمزية. هؤلاء البنون والبنات يموتون، فلماذا التعب في إيلادهم وتربيتهم.

ع. ٥: **لا تدخل بيت النوح** (أو النواح) أو الحداد، بل لا تعزِّ أحدًا، لأنّهم كلّهم سيموتون. من الكبار والصغار (ع. ٦).

ع. ٨: **ولا تدخل إلى بيت الوليمة.** لا يحقّ للنبي أن يحزن ولا أن ينوح.

ع. ١٠: **ويسألون:** لماذا تكلّم الربّ علينا... ما هو ذنبنا. ولكن ألا ذنب عليكم؟ أنتم أبرار ولا تستحقون كل هذه الشرور؟ الخطيئة الكبرى: تركوني... وذهبوا وراء آلهة أخرى.

١٦: ١٤- ٢١ إعلان التحرير والخلاص بين قول يحكم على الشعب (ع. ١٠- ١٣) وقول آخر يرسل فيه الله الصيادين (ع. ١٦- ١٧)، نشاهد رؤية كلّها تفاؤل على المستقبل: وعد بتحرير شعب الله (ع. ١٤- ١٥)، ووعد بأن تجتمع الأمم حول الرب الواحد (ع. ١٩- ٢١).

ع. ١٤: **ها أيام تأتي.** مع هذه العبارة يأتي وعد بالسعادة: انتظروا عمل الله وما فيه من خير. فبعد التهديد بالمنفى، أدرجت مواعيد بالعودة من المنفى. وهذا ما سوف نقرأه في ٢٣: ٧- ٨ (أو «أصعد وآتي بنسل بيت إسرَائيل من أرض الشمال»). البداية: حيّ هو الرب. هو الفاعل اليوم وفي كل يوم. أرجعهم إلى أرضهم. هي تعزية تشبه ما فعل يسوع حين تجلّى أمام ثلاثة من رسله (مر ٩: ١ ي)، وهذا التجلّي جاء بين إنباءين بالآلام. في مر ٨: ٣١: «وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ». وبعد التجلّي يُنبئ يسوع أيضًا بموته وقيامته (مر ٩: ٣١).

ع. ١٦: **جزّافي** أو صيادي سمك. ثم صيادون. يتسلقون الجبال. ولا أحد يقدر أن يختبئ من أمامي ولا أن يخفي إثمه.

ع. ١٨: **ضعفين** يكون العقاب بسبب المكروهات، الأصنام.

ع. ١٩: وبالرغم من الأصنام المنتشرة في كلّ أرض يهوذا، سيفهم الأبناء أن ما عبد آباؤهم كان من النجاسات. ومتى يصنع الإنسان آلهة ويعبدها؟ إلى أي مستوى يصل الإنسان. فكأني به يعبد ذاته. هو الجهل إلى أقصى الحدود. ويبدو الرب كأنه يعذرهم.

ع. ٢١: **هأنذا أعرفهم.** أجعلهم يعرفون يدي وجبروتي، أو جبروت يدي. وأخيرًا يعرفون أن اسمي يهوه، الرب. يا للهدف الرائع! عرفوا أسماء جميع الأصنام وما عرفوا اسم الله ولا أعماله. لهذا تدخّل الله بالذات وجعلهم يعرفون. وأمل النبيّ أن معرفتهم ستقودهم إلى تبديل حياتهم.

٣- الخلاصة

وانطلق إرميا من قلب وحدته، فأعلن قولًا يفتح طريق المستقبل أمام هؤلاء المقلقين الذين لا يعرفون إلى أين تقودهم الأحداث. جعلهم يتطلعون إلى «ذلك اليوم». هم لا يزالون جهالًا أو هم يتجاهلون وها هو الرب يأتي بنفسه ويعلّمهم. وسوف يقول النبي: لا يحتاج الأخ أن يعلّم أخاه، بل الربّ بالذات يعلّمهم. ونحن الذين حولنا معلّمون عديدون، لنعرف أن معلّمنا واحد وكلّنا إخوة. أما معلّمنا فهو المسيح (مت ٢٣: ١٠). وهو يعلّمنا قبل كل شيء التواضع لكي نكون خدامًا بعضنا لبعض في خط يسوع الذي جاء ليَخدُم ويبذل حياته لآخرين.

١٧: ١- ٢٧ خطايا شعب يهوذا

١- المقدّمة

يبدو هذا الفصل وكأن النبي نسي الخطر المحدق بأورشليم وبلاد يهوذا. فالخطاة متشبّثون بخطاياهم. هم لا يستطيعون أن ينكروها، وهي مكشوفة بكثرة أماكن عبادة الأصنام (ع. ٢- ٣، ١١: ١٣؛ را. ١: ٢٧) وهي متجذرة في كل واحد من السكان... أبعد من خطيئة عامة يدفع ثمنها الفرد لأنّه يخصّ المجموعة، هي خطيئة خاصة. كل واحد يفرح بهذه العبادات. ولهذا، وبتجديد العهد، يجب على الله أن يسجّل هذه التعليمات في الأعماق (٣١: ٣٣) على لوح قلبهم. ذاك ما قال المعلّم الحكيم: «لاَ تَدَعِ الرَّحْمَةَ وَالْحَقَّ (أو الأمانة) يَتْرُكَانِكَ. تَقَلَّدْهُمَا (اجعلهما قلادة، عقدًا) عَلَى عُنُقِكَ. اُكْتُبْهُمَا عَلَى لَوْحِ قَلْبِكَ» (أم ٣: ٣) وفي أم ٧: ٢- ٣ نسمعه يقول: «احْفَظْ وَصَايَايَ فَتَحْيَا، وَشَرِيعَتِي كَحَدَقَةِ عَيْنِكَ. اُرْبُطْهَا عَلَى أَصَابِعِكَ. اكْتُبْهَا عَلَى لَوْحِ قَلْبِكَ»، فنحن لا ننسى أن القلب هو مركز

www.christianlib.com

العاطفة... وأكثر من ذلك، مركز الإرادة ومركز القرار الحرّ الذي لا يصل إليه سوى الله.

أربع محطات في هذا الفصل: خطيئة متجذّرة (١٧: ١- ٤)، ثم ينبوع الرجاء الحقّ (١٧: ٥- ١١). المحطة الثالثة: صلاة إرميا (١٧: ١٢- ١٨) والأخيرة، الحثّ على الحفاظ على السبت (١٧: ١٩- ٢٧).

٢ - تفسير النص الكتابي

١٧: ١- ٤ خطيئة متجذرة الشعب يعاند ويترك مشروع الله. والآن هو الرب يترك شعبه يخضع لمشاريع الأمم التي لا تحمل سوى الخراب.

ع. ١: خطيئة يهوذا مكتوبة. لا الوصايا التي أعطاها الله لموسى على جبل سيناء مرتين. كُسرت المرة الأولى بعد خبرة العجل الذهبي، ولكنّها لبثت حاضرة، لا بهمّة الناس، بل بقدرة الله. والآن، جُعلت هذه الوصايا جانبًا. هذا إذا لم تكن الوصايا تكسّرت ودوّن محلّها الخطايا في أقدس الأماكن. على لوح قلبهم. بل محفورة بحيث لا يمحوها أحد بقلم من حديد، برأس من الماس. جميع الكتابات تزول بفعل الزمان. أما هذه فلا شيء يزيلها. وحفرت أيضًا على قرون مذابحكم. هو كلام يُتلى حين كانت المعابد والمذابح موزّعة في طول البلاد وعرضها. لهذا جاءت صيغة الجمع: مذابحكم. لا مذبحكم. نتذكر أن صيغة الفرد هي لله (خر ١٧: ١٥- ٢٠، ٢٤، ٢٤، ٢٦... وما يليه) أما صيغة الجمع فللعالم الوثني كما في خر ٣٤: ١٣ وتث ١٢: ٣ «تهدمون مذابحهم». وفي ٢ أخ ٣٤: ٥: «عظام الكهنة على مذابحهم».

قرون مذابحكم. لا في أي مكان، بل على «قرون المذبح». هي المكان الأقدس في هذا المذبح. والهارب من ملاحقة العدو «يتمسّك بقرون المذبح» فينجو من الخطر بانتظار المحاكمة. ذاك ما فعل أدونيا خوفًا من أخيه سليمان (١ مل ٢: ٢٣- ٢٥). ولكن مع ذلك «أرسل الملك سليمان (أحدَ قوّاده) وبطش به (أي: أدونيا)، فمات».

ع. ٢: كذكر بنيهم مذابحهم. هم يحبون هذه المذابح فيذكرونها في كل وقت وآن، ومحبتهم لها تساوي محبتهم لأبنائهم. لهذا يتكلمون عنها وعن سواريهم... هي في أفضل الأماكن: عند الأشجار... على الآكام.

ع. ٣: يا جبلي في الحقل. بل بحسب التفسير اليهودي، وهو الأفضل: «أنت الورع لعبادات، على الجبل، في الطبيعة». كل هذا الغنى سوف يزول. تتبرأ (ع. ٤) أي تدفع الضرائب، لا في فلسطين، بل في أرض غريبة. لأنكم أضرمتم نار غضبي. هكذا يشبّه الغضب بالنار التي تحترق وتحترق (١٥: ١٤). ونتذكر أن غضب الله هو حزنه على أولاده. فهو عارف أنهم، حين تركوه، مضوا إلى الدمار.

١٧: ٥- ١٣ ينبوع الرجاء الحقيقي قرأ النبيّ هنا المزمور الأول وما يحمل من بركات. فالمؤمن أرض تأتي بركةُ الله وتسقيها. وهكذا ننتقل من مجازاة الجميع إلى مجازاة الفرد. وأمام كل مؤمن طريقان: طريق الطمأنينة الكاذبة وطريق الطمأنينة الحقيقية (٢: ١٨؛ را. إش ٣٠: ١٥؛ ٣١: ١- ٣).

ع. ٥: ملعون، أي يُحرَم من البركة، الرجل الذي يتكل على الإنسان (الإنسان مائت). ويجعل البشر (ب ش ر: اللحم والدم وما فيهما من ضعف)، ذراعه (والذراع تدلّ على القوّة التي تفعل)، وعن الرب يحيد قلبه. فالقلب هو الإنسان بكليّته. قلب يميل إلى البشر، لا إلى الله، نهايته الموت.

ع. ٦: هو يكون في البادية حيث لا ماء ولا سكن.

ع. ٧: مبارك. انتقلنا من اللعنة إلى البركة. اتّكل «الملعون» على البشر. أما المبارك فعلى الله. قال: الرب متكلي. فما أجملها عبارة نردّدها خلال نهارنا وليلنا.

ع. ٨: هذا المبارك هو شجرة مغروسة على المياه. الماء هنا، البرودة لا الحرّ، الثمر لا العقم.

ع. ٩: القلب أخدع من كل شيء، بسبب الأفكار التي تتحرّك فيه. لا شيء يصلحه. ويطرح النبي السؤال: من يعرفه. من يقدر أن يعرفه؟ ويأتي الجواب (ع. ١٠): أنا الرب (أعرفه). أنا فاحص القلب. فاحص الأفكار، مختبر الكلى. الكلى هي مركز العواطف، كما كانوا يقولون. تمرّ في «مختبر» الله، مثلما يمرّ الحديد في النار. هنا لا نستطيع أن نكذب أعطي كل واحد حسب طرقه، حسب ثمر أعماله (أو: أجازيه).

المجازاة من لدن الرب تعليم معروف نقرأه في أكثر من موضع (٢٥: ١٤؛ ٣٢: ١٩؛ حز ١٨: ٣٠؛ هو ١٢: ٣؛ مز ٦٢: ١٣). والثمر يدلّ على الشجر. قال الرب يسوع: «هكذا كل شجرة جيّدة (صالحة) تصنع أثمارًا جيّدة، وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثمارًا رديئة. لا تقدر شجرة جيّدة أن تصنع أثمارًا رديئة، ولا الشجرة الرديئة أن تصنع أثمارًا جيّدة» (مت ٧: ١٧- ١٨). والنتيجة: «كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيّدًا تُقطع وتُلقى في النار» (مت ٧: ١٩). نحن لا نستطيع أن نغش أحدًا مهما كان ظاهرنا: «من ثمارهم تعرفونهم» (مت ٧: ٢٠).

وقال يوحنّا عن يسوع المسيح: «كان يعرف الجميع. ولأنه لم يكن محتاجًا أن يشهد أحد عن الإنسان: هو يعرف ما في الإنسان» (يو ٢: ٢٤- ٢٥). الله يعرف الإنسان. وهذا يعني أن يسوع المسيح الذي هو إنسان حق، هو في الوقت عينه إله حق، كما نقول في إيماننا.

ع. ١١: ويرد تشبيه بين الحجلة وبين من يجمع ماله بلا حق. هذا يتركه ماله مثل الغنيّ الغني (لو ١٢). جمع وكدّس واستعدّ أن يعيش أيامًا كثيرة، حلوة، فقيل له: «في هذه الليلة تؤخذ منك نفسك».

www.christianlib.com

في نهاية حياته، يعرف هذا الرجل أنّه كان أحمق. ولكن ماذا ينفع الندم. فهو لم يقدر أن يأخذ شيئًا معه. عريانًا أتى على الأرض وعريانًا يمضي، كما قال أيوب.

١٧: ١٢– ١٨ صلاة إرميا نحن أمام جزء من «الاعترافات» (را. ١١: ١٥؛ ثم ١٨: ١٨– ٢٣). كل هذا يكشف تسلسل العواطف المتضاربة التي تمزّق قلب إرميا. فالنبي الذي يأنف أن يعلن العقاب بعد العقاب ولا يتوقف، هو مستعدّ لأن يكون متفائلًا، شأنه شأن سائر الأنبياء (٨: ١٨– ٢٢؛ ١٣: ١٧؛ ١٤: ١٧). ولكنّه تصل به الأمور فجأة بعد أن يتعب من جراء اللامؤمنين وكلامهم (ع. ١٥: را. ١١: ١٨– ١٩؛ ١٥: ١٠... وما يليه) فيتمنى تحقيق تهديدات الله بأسرع وقت (١٥: ١٥). فهذا الانتظار ينتج من استسلامه بين يدي الرب (١١: ٢٠؛ ٢٠: ١١– ١٢)، من إيمانه بقدرة الله الخلاصيّة (ع. ١٣– ١٤). وهو يعرف أيضًا هذا الفرح العميق الذي يصل إليه من علاقته الحميمة بالرب (١٥: ١٦).

ع. ١٢: **كرسي مجد مرتفع.** هناك يكون مقدسنا أو معبدنا (٣: ١٧) فمن يبتعد عن هذا القدس يخسر الماء الحي (ع. ١٣).

ع. ١٤: **اشفني يا ربّ فأشفى.** يكفي أن يتكلّم الرب لكي يتمّ ما نكلّمه به. لأنّك تسبحتي وبالأحرى لأنّك لقب مجدي. وهكذا نلتقي مع ع. ١٢: كرسي مجد.

ع. ١٥: **يقولون: أين هي كلمة الرب؟** فكلامهم يحمل الهزء. هي ما تحقّقت بعد. ويقولون: ليأت.

ع. ١٦: ما قاله النبي قاله في حضرة الله. وهو ما تمنّى يومًا أن يأتي الشرّ سريعًا (ع. ١٧) وينهي صلاته بأن لا يُخزى، أن لا يخجل إن لم يتحقّق ما قاله عن فم الرب.

١٧: ١٩– ٢٧ الحفاظ على السبت وها هو إرميا يحثّ الشعب على ممارسة السبت. هكذا تتحررون وتكونون مستعدّين لخدمة الله والقريب. وهذه الممارسة أضحت بعد المنفى، ولا تزال في أيامنا، العلامة المميّزة لانتماء الشعب إلى الله وتعلّقه بالعهد. ووصلت هذه القاعدة إلى المسيحيّين الذين يجتمعون يوم الأحد، فجميع ظهورات يسوع كانت في ذلك اليوم المبارك. وإذ أطلّ بعض التراخي، ذكرتهم الرسالة إلى العبرانيّين فقالت: «غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا (الأسبوعي) كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ، بَلْ وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَبِالأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَقْرُبُ» (عب ١٠: ٢٥).

ع. ١٩: **اذهب وقف في باب بني الشعب،** أي الباب الكبير. منه يدخل الملك والشعب كلّه، ربما في إثره.

ع. ٢٠: **لا تحملوا حملًا يوم السبت.** ممنوع العمل الشاق في يوم السبت. ذاك ما نبّه إليه أيضًا نحميا (نح ١٣: ١٥ ي)، بل اتخذ إجراءات صارمة، فأقفل الأبواب بحيث لا يستطيع التجار الآتون من الخارج أن يدخلوا. أساس هذه الوصية نجده في سفر الخروج: «اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ (أو: راحة) لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ (أي: أبواب مدينتك)، لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ» (خر ٢٠: ٨– ١١). وستكون ممارسة رائعة مع عطيّة المن (خر ١٦). يوم السبت، لا وجود للمن، ويوم السبت لا ينتن المن الذي جُمع في اليوم السادس.

ع. ٢٢: **قدّسوا يوم السبت، كما أمرتُ آباءكم.** هكذا ردّد الأنبياء هذه الوصيّة وإرميا مثلهم. ولكنّهم لم يسمعوا. هو الموقف السلبي.

ع. ٢٤: **ويكون إذا سمعتم لي.** عندئذ تتحوّل الأمور كليًا. تعود أورشليم إلى سابق عزّها وتأتي إليها مدن يهوذا حاملة المحرقات والذبائح والتقدمات.

ع. ٢٧: **لكن إن لم تسمعوا** تأتي النار فتحرق أبواب المدينة وقصورها.

٣– الخلاصة

يوم الأحد هو يوم الرب. هو يوم الراحة والزيارات بين الأقارب، والاهتمام بالأولاد والمرضى والمعاقين. ولكنّه قبل كلّ شيء، هو يوم سماع كلام الرب. سواء في الاجتماع الأسبوعي أو في المنزل بين ربّ البيت وسائر العيال. لا راحة إلّا قرب الرب. وهي تدوم. أما الراحة لدى البشر فتدوم ما دام النهار. ثم ما أحلانا نجتمع كما كان التلاميذ مجتمعين في العليّة (لو ٢٤). مجتمعون هم. إذًا يعرفهم الناس بحضوره الحيّ. ولكن إن مضى كل واحد في طريقه، وإن لم نجتمع اثنين أو ثلاثة أو ثلاثين، لن يكون المسيح في وسطنا وتنتفي كل بركة عندنا. يوم الرب لا يخصّنا، بل يخصّ الرب. فلا نسلبه منه. بل يريدنا في هذا اليوم بكليّتنا له. فهل نقبل بذلك؟

١٨: ١– ٢٣ في بيت الفخاري

١– المقدّمة

طلب الربّ من نبيّه أن يمضي إلى الفخاري (الذي يشتغل الفخار) أو الخزّاف (الذي يشتغل الخزف ويصنع الجرار والأباريق) (ع. ٢): قم انزل. والرب أيضًا يكشف لإرميا المعنى الرمزي للأمور التي يراها: فصار إليّ كلام الرب (ع. ٥). لا مبادرة إطلاقًا من النبي، فلا يكشف أي شيء بفهمه البشري. وإليك ما كشف له الرب: الفخاري هو سيّد المواد التي بين يديه. يستطيع أن يرمي المواد التي بين يديه

www.christianlib.com

ويصنع إناء لا يتجاوب مع الصورة التي يتصوّرها. وكذلك الرب. يستطيع بسلطانه أن يعمل شعوبًا أو أن يدمّرها. وتأتي ع. ٧– ١٢ فتفسّر الرمز بشكل يختلف بعض الشيء. ثم كانت إضافة لاحقة.

أما التصميم فوارد في قسمين: الأوّل، الله يصنع التاريخ كما الفخاريّ يصنع إناءه. فالرب يُدخل الأحداث في مشروعه. وما لا يتوافق مع قصده، يرميه خارجًا ويُحلّ محلّه عملًا آخر (١٨: ١– ١٧). في ١٨: ١– ١٢ هو الشرّ يعلنه النبيّ باسم الله. وأما في ١٨: ١٣– ١٧، فتجيش العاطفة ويأتي النصّ شعرًا. ضلال مأساوي وضياع. «اسألوا بين الأمم. أما القسم الثاني (١٨: ١٨– ٢٣) فعنوانه: مؤامرة على إرميا. هم يردّون الشرّ لمن عمل لهم الخير.

٢– تفسير النص الكتابي

١٨: ١– ١٧ الفخاري والخزف هذا القسم يبين بوضوح مجازاة الإنسان. كما الإناء يُرذَل ويُرمى أرضًا، كذلك الشعب الذي لا يفيد شيئًا. وإلّا يحفظ.

١٨: ١– ١٢ الفخاريّ

ع. ١: الكلام الذي صار إلى إرميا من قِبَل الرب. وهي عبارة ترد أكثر من مرة. يسمعها النبي وعليه أن ينفّذها بدون تردّد. قم انزل (ع. ٢) وأنا أسمعك كلامي. إرميا يسمع وينقل الكلام الذي سمع. فنحن لا نتكلّم بأنفسنا. لا نقول من عندنا، لأننا قد نخطئ. والمثل اقتراحات ناثان النبي. عرض داود: «إني ساكن في بيت من أرز» (٢صم ٧: ٢). فلماذا يبقى تابوت الله في الخيمة؟ لماذا لا أصنع له «قصرًا»؟ وجاء جواب ناثان المتسرّع، إرضاءً للملك: «افعل كل ما بقلبك لأن الله معك» (٢صم ٧: ٣). هل رضي الرب على جواب ناثان؟ كلا. لهذا «كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى نَاثَانَ قَائِلاً: اذْهَبْ وَقُلْ لِعَبْدِي دَاوُدَ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَأَنْتَ تَبْنِي لِي بَيْتًا لِسُكْنَايَ؟» (٢ صم ٧: ٤– ٥). لا يريد الرب بيتًا له، بل كان دائمًا في الخيمة مع الشعب. الحمد لله أن ناثان سمع صوت الله. ونحن مرات عديدة نأخذ قرارات سريعة، كدتُ أقول: قد تحيي أو تميت. فالرب يكلّمنا في ظلام الله أو عند إطلالة الصباح. هنيئًا لنا إن سمعنا ونقلنا الكلام الذي قاله الرب لنا.

ع. ٣: فنزلتُ إلى بيت الفخاري. هو الاستعداد لدى النبيّ. سواء سمعنا صوتًا في قلوبنا أو كلمنا مسؤول عنّا أو رئيس فريق. فسد الوعاء يأخذ الخزاف المادة عينها ويصنع منها وعاءً آخر (ع. ٤).

ع. ٥: صار إليّ كلام الرب. ما هو المعنى الرمزي لعمل الفخاري؟ هكذا يفعل الرب بحسب البرنامج الذي أعطي له في البداية (١: ١٠): تقلع وتهدم (ع. ٧).. ثم: تبني وتغرس (ع. ٩).

ع. ١١: والآن، ها أنا أصنع. أتريدون الشر، أم ترجعون من الطريق الرديء؟ (ع. ١٢). فكان الجواب: لا فائدة من هذا التبدّل، باطل! بل نسعى وراء أفكارنا.

١٨: ١٣– ١٧ يا للضلال!

ع. ١٣: اسألوا بين الأمم (را. ٢: ١٠– ١١). ابحثوا. لا أحد تصرّف هكذا مع إلهه. نقشعر ممّا عملت عذراء إسرَإيل. هي عذراء، لأنها في البدء كانت مكرّسة للرب. أما الآن...

ع. ١٤: ثلج لبنان... المياه المتفجّرة. هي صورة الماء تعود هنا. فمن يقدر أن يعيش في هذه البلدان الحارّة. فنتطلع إلى الأيل، إلى الغزال «الذي يشتاق إلى مجاري المياه»، أما شعبي فلا يريد مثل هذا الماء الحيّ. ويطلب السبل القديمة (أو الطرق) التي اعتاد عليها حين كان عابد أصنام يطلب قرب بعل المياه التي يغتسلون فيها قبل الصلاة (ع. ١٥).

ع. ١٦: خرابًا وصفيرًا. هو انذهال تقشعرّ له الأبدان. والسبب: أريهم القفا (أو: أسفل الظهر) لا وجهي. العدوّ، الهزيمة... كل هذا رآه إرميا بعينيه. وتلاميذه معه، فصوّروا الأمور كما رأوها.

١٨: ١٨– ٢٣ مؤامرة على إرميا

ع. ١٨: نفكر أفكارنا أو مشاريعنا وما فيها من شرّ على إرميا. فالأعداء يمتلكون الكثير، كدت أقول يجمعون العلم من أطرافه: التشريع، أو التوجيهات الإلهيّة، عند الكهنة. ثم المشورة والنصائح لدى الحكماء. وأخيرًا الكلمة عند النبيّ. بهذه الوظائف الثلاث (الكهنة، الحكماء، الأنبياء) يجدون الوسيلة لكي يعرفوا في كل وقت مشيئة الله (٢: ٨؛ مر ٢١: ٩– ١٠). ولكن بدل استعمالها للخير يتمّ استعمالها للشر. كم يشبهون الفريسيّين. قال لهم يسوع: «أَنَا عَالِمٌ أَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ. لكِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي لأَنَّ كَلاَمِي لاَ مَوْضِعَ لَهُ فِيكُمْ» (يو ٨: ٣٧). وفي يو ٨: ٤٣– ٤٤ «لِمَاذَا لاَ تَفْهَمُونَ (أو: لا تريدون أن تفهموا) كَلاَمِي؟ لأَنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي. أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ (هو يرفض الله ويدفع الآخرين إلى أن يفعلوا مثله) وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ» والمعادون لإرميا يشبهون هؤلاء الفريسيين، وما يهددون به إرميا، يهدّد الفريسيّون يسوع. أجل، إرميا صورة بعيدة عن يسوع. هلمّ فنضربه باللسان. وماذا لا يفعل اللسان. ذاك ما فعلوا بيسوع حين حرّفوا أقواله. نوايا سيّئة، والمعنى بحسب السريانية: نضربه بلسانه ونراقب أقواله. والهدف واضح: حفروا لنفسي حفرةً، أي أحاطوني بالفخاخ، أتلك مجازاتي بعد أن عملتُ لهم ما عملت؟

ع. ٢١: وها هو النبي يطلب مجازاة خصومه بكلام قاسٍ جدًا. هي العدالة على هذه الأرض. كما نقرأها في بعض المزامير، التي قد تكون تأثّرت بإرميا. قال المرتل: «يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ، طُوبَى

www.christianlib.com

لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!» (مز ١٣٧: ٨– ٩). هناك أناس يرفضون أن يصلّوا مزامير العنف هذه. ولكن هذه النصوص تحمل صلاتنا. كلّ مرة يحلّ بنا الشرّ ويضايقنا من كل جهة، وندعو الرب أن يحارب عنّا، فيبتسم لنا. أتمنى الموت لخصومي. وليمت ابنُهم كما مات ابني. وليأتهم الدمار كما حلّ بي. ولكن الربّ لا يسمع لنا. فإن نحن نلعن فهو يبارك.

٣– الخلاصة

كل مرة نقرأ بعض اعترافات إرميا، نحسّ أن عواطفه هي عواطفنا. فنحن ضعفاء مثله. وعلينا أن نعيش بحسب الإنجيل. وإن فعلنا كلام الله كما فعل هذا الذي عاش في وسط محنة ما بعدها محنة، منه نتعلّم أن نسمع كلام الله، في عمق صمتنا وفي قلب الليل. وحين نسمع ننفّذ. فلسنا نحن من نرسل أنفسنا. الله يرسلنا. وهو يوجّه حياتنا وكلامنا. وكم نفرح إن شابهنا التلاميذ الذين قاموا بالرسالة، وأتوا يخبرون الربّ: «حتى الشياطين (أي كلّ ما يعيق الرسالة، أمنظورًا كان أم غير منظور) تخضع لنا باسمك» (لو ١٠: ١٧).

١٩: ١– ١٥ إبريق الفخاري

١– المقدّمة

هو مثَل، أو بالأحرى فعلة رمزيّة. كسر إرميا الإبريق ليدلّ على أن الحكم على أورشليم لا استئناف فيه، والسبب: ذبائح الأصنام في وادي بن هنوم أي وادي القتل، كما نقرأ عنها في ٧: ٢٩، ٨: ٣ «وبنوا مرتفعات... ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار» (٧: ٣١).

٢– تفسير النص الكتابي

ع. ١: هكذا قال الرب: اذهب واشترِ إبريقًا. لا يكون عتيقًا، بل جديدًا. لأنّ الشعب كان مميّزًا حين اختاره الرب. وها هو بانحطاطه لم يعد صالحًا سوى أن يُكسَر. وخُذ بعضًا من شيوخ الشعب وبعضًا من شيوخ الكهنة. هؤلاء يكونون شاهدين لما سوف يُعمل.

ع. ٢: واخرج إلى وادي ابن هنوم. في هذا الوادي كانوا يرمون بقايا المجتمع ويحرقونها بالنار. وبما أن هذه «الزبالة» لا تتوقف، فالنار لا تتوقف. هي مشتعلة نهارًا وليلًا. من هنا قال إشعياء النبي: «ويخرجون (الناس) ويرون جثث الناس الذين عصوا (أو ثاروا) عليّ (وعصوا أوامري وما أطاعوها) لأن دودهم لا يموت (هذه الأوساخ هي مرتع الدود) ونارُهم لا تُطفأ، ويكونون رذالة لكل ذي جسد» (إش ٦٦: ٢٤). باب الفخار. هناك يُرمَى الكسْر الذي لا ينفع بعدُ لشيء. هذا الباب يشبه باب الوادي (إر ٢: ٢٣) وباب الزبالة (نح ٣: ١٤)، فيصل إلى وادي ابن هنوم. والفعلة الرمزيّة المصوّرة في ع. ١٠ (را. ١٣: ١) التي تمّت في هذا الوادي، دعت إلى التكرار مع بعض تحوّلات خفيفة في الكلمات. تلفّظوا بها تجاه هذا الموقع الملعون والمذكور سابقًا.

ع. ٣: وقل: اسمعوا يا ملوك يهوذا وسكان أورشليم. لم يعُد من وجود لمملكة السامرة، بعد أن زالت من الوجود وما من أمل بعودتها. فما بقي فيها من سكان امتزج بوثنيين أتوا بهم من هنا وهناك. فسيطر المناخ الوثني. وهكذا رفضت مملكة يهوذا التعامل معهم، ورفضت لهم أن يعينوها في بناء الهيكل، حيث ينتهي العمل حوالي سنة ٥١٥ ق م. قال الرب: أنا جالب على هذا الموقع شرًّا، كارثة، شقاء، كل من سمع به تطنّ أذناه. ينذهل كل الانذهال.

ع. ٤: تركوني. ولكن ما هو أسوأ هو أنهم جعلوا مذابح الله لعبادة الآلهة الغريبة. وماذا فعل لهم هؤلاء الآلهة؟ ما اهتمّوا بهم ولا بآبائهم. ومع ذلك قدّموا لهم ذبائح وسفكوا دم (الأطفال) الزكي، الأبرياء.

ع. ٥: وبنوا مرتفعات للبعل، وعلى هذه المرتفعات كانوا يذبحون أطفالهم. هذه العادة التي حملها الملك منسّى تواترت في زمن إرميا. فما كان يسكت حين يرى ما تقشعرّ له الأبدان. وحين كانوا لا يريدون أن يسمعوا صراخ الأطفال كانوا يقرعون الطبول والصنوج وسائر الآلات الموسيقيّة. فكأن طفلًا ما مات!

ع. ٦: لذلك ها أيّام تأتي. عادة مع هذه العبارة، ننتظر الخير بحسب مواعيد الله. أما هنا، فانتقلنا من سيّئ إلى أسوأ. صار هذا الوادي وادي القتل. أما الجثث فتكون طعامًا للطيور الكواسر ووحوش البر. وتتحوّل أورشليم من مدينة الحياة إلى مدينة الموت. ما يكون موقفنا حين يطلّ أمامنا مثل هذا المشهد الذي يجب أن نضربه بالملايين نسبة إلى ما حصل في الحرب العالميّة الثانية، وما يحصل كل يوم حولنا من قتل ودمار وحريق وغيرها. وحين حلّت المجاعة، أكل الناس أطفالهم من بنين وبنات، بل تحوّلوا إلى أكلة لحوم البشر (أنتروبوفاجيا).

ع. ١٠: ثم تكسر الإبريق أمام القوم الذين يسيرون معك. سمعوا، وها هم يرون. إبريق منكسر وشعب سوف يكسره الله ويحطّمه. هي الحرب بفعل البشر، ولكن الله يبقى سيّد التاريخ. وهكذا نفّذ إرميا ما طُلب منه. الجميع رأوا ما فعل، والجميع سمعوا. وما اكتفى بالمضيّ إلى توفت، بل أتى إلى الهيكل وكلّم الشعب بكل هذا الكلام وما يحمل من خراب، ومن آلام وبكاء.

٣– الخلاصة

شعب معاند، قساة الرقاب. والرب يعاقبهم. لا بيده، بل بيد نبوخذنصّر وجيشه. هو المنشار بيد الله، والمنجل بيد الحصّادين.

www.christianlib.com

ينبغي أن نعرف أن سفر إرميا هو تهديد دائم حيث يحاول الشعب أن يعود إلى الرب ولكنّه اعتاد على هذه العبادات ولاسيّما تقديم الأطفال ذبيحة لمولك. واليوم ما زال آباء عديدون يضحّون بأولادهم. لا تربية ولا اهتمام ولا محبة. فالولد هو مُلك الوالد، يفعل به ما يشاء. فإذا كان صبيًا، يعمل أو يمضي يتسوّل، ويقدّم ما جمع من مال لوالده، والويل له إن صرف أقلّ «مصرية» من أجل طعامه أو شرابه. فسيكون عقابه كبيرًا. وإذا كان الطفل بنتًا فهي تعمل أيضًا. وإن جاءها العريس، ولو كانت بنت سبع أو ثماني سنوات، يزوّجها والدها ويقبض ثمنها، وليحدث لها ما يحدث، ولو كان الموت. هو أولًا لن يطعمها، بل لا تأخذ مكانًا في بيت ضيّق وسط إخوة وأخوات كثر. لا. قتلُ الأطفال لم ينتهِ. وماذا تكون رسالة المؤمنين؟ هل يقبلون بهذا الوضع المزري؟ ويقول لهم الرب، كما قال لقايين: أين أولادكم، أين إخوتكم وأخواتكم، أين بنوكم وبناتكم. فماذا يجيبون؟ وماذا تجيب الكنيسة؟

٢٠: ١ – ١٨ وجاء ملك بابل

١– المقدّمة

هدّد الربّ. الكارثة آتية بسبب قساوة قلوب الناس ورقابهم. الرب يهدّد ولكنه لا يضرب. فهو أب وأم. فيقول مثلًا: «لا أُجري حموّ غضبي (أي: لا أترك غضبي يكون حاميًا، بل أبرّده). ولا أعود أضرب أفرايم (أكبر قبيلة في مملكة الشمال)، لأني الله لا إنسان. القدوس في وسطك، فلا آتي بسخط (هو ١١: ١٠). فالإنسان يتصرّف بالبغض والعنف والانتقام، أما الله فيتميز، هو القدوس، فلا يكون مثل البشر، ومع ذلك، يبقى قريبًا.

أما الضربة فآتية بيد ملك بابل، هو الشرق يغلي كما الماء في القدر (إر ١: ١٣). ولن يُضرَب يهوذا وحده، بل موآب وعمون وآرام. أما بنو يهوذا فلا يربطون هذا بالقدر، الأقوى من الله والبشر، ولا بأمور سياسيّة أو حربيّة، وهم مقيمون في منطقة معزولة. ليسوا على طرق القوافل أو الاجتياحات العسكرية. بالنسبة إلى بيت يهوذا، هم ينظرون إلى الأحداث على ضوء كلام الله. كان بإمكان مملكة إسرَإيل أن تكون مثالًا لمملكة يهوذا. هي سقطت ومضت إلى المنفى. أما تتعلّم مملكة يهوذا؟

أما التصميم فيرد في قسمين كبيرين. الأول، القبض على إرميا (٢٠: ١– ٦) والثاني، شكوى إرميا (٢٠: ٧– ١٨). وفي هذا القسم الثاني ثلاث محطّات: الرب يدفع نبيّه إلى الحرب (٢٠: ٧– ١٠). ولكنه يبقى قريبًا من نبيّه، وهو العارف بوضعه المؤلم (٢٠: ١١– ١٣). وأخيرًا، يكون إرميا مثل أيّوب فيطرح السؤال: لماذا وُلدت؟ (٢٠: ١٤– ١٨).

٢– تفسير النص الكتابي

٢٠: ١– ٦ القبض على إرميا هي السلطة الدينيّة تحاول أن تمنع عمل النبيّ. أمّا النبي القويّ بقوّة الله، فأعلن الكلمة بنشاط أشدّ.

ع. ١: **فشحور الكاهن وهو ناظر أول في الهيكل.** هو المسؤول، ضرب إرميا وجعله في المقطرة. هكذا يُهان النبي، لاسيّما وأنه في مكان عام يمرّ فيه الناس. باب بنيامين الأعلى. ولكن هذا لم يدُم سوى يوم واحد (ع. ٢).

ع. ٣: **في الغد أخرج إرميا من المقطرة.** كانت مناسبة ليبدّل النبيّ اسم فشحور: رعبٌ في كل مكان. ثم أعلن ما سيحدث للمدينة: السبي. المضي إلى المنفى، إلى بابل (ع. ٤). ويحمل ملك بابل كل ثروة المدينة (ع. ٥).

ع. ٦: **وأنت يا فشحور** ذاك ما حصل لهذا الكاهن. راح إلى السبي ولم يرجع. ضُرب إرميا ولكنّه ما تراجع. وُضع في المقطرة وكأنه في سجن أمام المارّة. ولكنّه ما سكت. وأوضح أن السبي يكون في بابل للذين ينجون من الموت.

٢٠: ٧– ١٨ **شكوى إرميا** ها هنا آخر ما نقرأ من «اعترافات إرميا» (را. ١٧: ١٢). هي قريبة من ١٥: ١٠– ٢١. وهي شهادة أصيلة (ع. ٧– ٩) حول صعوبات خدمة إرميا. وبحريّة كبيرة يتوجّه النبيّ إلى الربّ: غلبتني (ع. ٧– ١٨) وما عدتُ أقدر أن أقاومك، لأنّ كلامك فيّ يشكّل قوّة متفجرة.

٢٠: ٧– ١٠ **الرب يدفع نبيّه إلى الحرب**

ع. ٧: **قد أقنعتني يا ربّ فاقتنعت** أو خدعتني فكنت بسيطًا وقبلتُ بما تدعوني إليه دون أيّ شفقة. تعرض عليّ أن أنادي بالعنف والدمار. والنتيجة: العار والسخرة كل النهار (ع. ٨).

ع. ٩: **اتخذت قرارًا:** لا أذكره، ولا أنطق بعد باسمه. الكلام سهل. ولكن مع مَن يتكلّم هذا النبيّ. مع الله الذي هو نار محرقة. لهذا قال: أحاول أن أمسك الكلمة، أحصرها في عظامي، ولكن لم أستطع.

ع. ١٠: **اشتكوا.** قال البعض. فأجاب البعض الآخر: نشتكي عليه. من هم؟ كل أصحابي أو رجال سلامي (١٤: ١٣) هؤلاء الذين كنت أنتظر منهم أن يحملوا إليّ السلام والصداقة.. ولكنّهم يراقبونني. أهذه حالة يا ربّ؟

٢٠: ١١– ١٣ **ولكنه يبقى قريبًا** هي صرخة ثقة بالرغم من العنف الذي يدفعه إلى إعلان الكلمة.

ع. ١١: **ولكن الرب معي.** لا. الله ليس ببعيد. وليس بضعيف. هو جبّار، قدير، هذا يعني أن النبي ينتصر ومقاوموه يعثرون.

ع. ١٢: **فيا رب.** يتوجّه النبي إلى الرب مباشرة. ناظر الكلى (أي عواطف الإنسان) والقلب أي أفكار الإنسان (١١: ٢٠). دعني أرى

www.christianlib.com

نقمتك (أو: انتقامك) منهم. يعرف إرميا أن كل جريمة تعاقَب. وكل عمل سيّئ يجد مجازاته بالألم. فمبدأ التوازن يسيطر في المجتمع. سنّ بسنّ، عين بعين، كما قال سفر الخروج. أما إرميا فلا يردّ على الشر بالشر، بل يسلّم أمره إلى الرب (تث ٣٢: ٣٥؛ رو ١٢: ١٩). وأما يسوع واستفانوس فرفعا صلاة من أجل جلّاديهما (لو ٢٣: ٣٤؛ أع ٧: ٦٠). ثمّ إنّ إرميا اعتبر أن ما تلفّظ به فمه كان في حضور الربّ. ممّا يعني أنه لا يفعل شيئًا إلّا ما يسمح به الرب (إر ١٧: ١٦).

ع. ١٣: طلب النبي وهو متأكد أن الرب يسمع له ويستجيبه، لهذا بدأ ينشد منذ الآن: رنّموا للرب، سبّحوا الرب.

٢٠: ١٤–١٧ إرميا وأيوب

قال أيوب ٣: ٢٣: «سيّج الله حوله» وكأنه لا يعرف. وهكذا يسجنه مثل حمل وراء السياج. قد يكون أيوب استلهم إرميا. أمام إنسان تعب وملّ، يجب أن نتذكر إر ١٥: ١٩–٢١ جواب الرب على ع. ١٠، ١٥–١٨.

ع. ١٤: ملعون اليوم. ذاك ما سيقول أيوب (أي ٣: ٣). ثم ملعون الإنسان الذي بشّر أبي. وينال هذا الإنسان نصيبه من التمنيات بالشرّ (ع. ١٦).

ع. ١٧: لأنه لم يقتلني من الرحم. هو الرب الإله. لماذا تأخر. لو فعل لكان رحم أمي قبري. وانتهى الكلام (ع. ١٨) بسؤال: «لماذا وُلدت؟». وكأنه يقول: كان من الأفضل لو لم أولَد. وهكذا تصل الشكوى إلى الله وعلى الله

٣– الخلاصة

مع ف. ٢٠ نصل إلى الذروة في اعترافات إرميا. لم يبقَ عنده شيء يقوله عن نفسه، فشابه أيوب حيث يقول الراوي: «تمّت أقوال أيوب» (أي ٣١: ٤٠). وفي ع. ٣٥: «مَن لي بمن يسمعني (يسمع شكواي). هوذا إمضائي (إمضاء في آخر الرسالة). ليُجِبْني القدير». فهل من جواب لدى الله على مشكلة إرميا؟ ولكن الرب سيَظهر له ويفهمه الأمور العديدة. بدأ أيّوب حيث انتهى إرميا (٢٠: ١٤). ولكن لا جواب لدى البشر، بل من عند الله. وهكذا ينتهي هذا الاعتراف: «ولكن الرب معي كجبار قدير». وسيكون معه حتى النهاية، حتّى في فشله الظاهر، الذي جعله قريبًا من كلّ نبيّ، من كلّ رسول، على ما قال الرب عن بولس: «سأعلمه كم سوف يتألّم من أجلي».

٢١: ١–١٤ ملوك يهوذا، صدقيا

١– المقدّمة

يبدأ سفر إرميا هنا كلامًا على ملوك يهوذا (ف. ٢١–٢٢). والبداية مع صدقيا: ص د ق، ي ه و ه. الله بار، الله صادق. هو ملك يهوذا (٢ مل ٢٤: ١٨–٢٥؛ ٢ أخ ٣٦: ١١–٢١). جعله نبوخذ نصر بعد يهوياكين، بعد سقوط أورشليم سنة ٥٩٧. كان اسمه نتنيا. فبدّل له نبوخذنصر اسمه وكأنه «خلقه» من جديد. كان آخر ملوك يهوذا (٥٩٧–٥٨٧). رجل ضعيف الشخصيّة يخاف من محيطه في البلاط الملكي. حوالي سنة ٥٩٤، كانت القلاقل في بابل، وفي الوقت عينه اعتلى العرش في مصر، خفرع. والتقت المقاومة في أورشليم. ولكن صدقيا سيدفع الثمن غاليًا. يهرب. فيمسكونه في أريحا. اقتادوه إلى ربلة. وبعد أن قتلوا له أبناءه اقتلعت عيناه ليكون له هذا المشهد المريع آخر ما يراه قبل موته.

قسمان في هذا الفصل. الأوّل (٢١: ١–١٠) جواب إرميا إلى صدقيا. سأل الملك فنصحه النبي بالاستسلام لكي يوفّر الدماء في المدينة. فالرب ليس معنا، كما قال النبيّ. هو يحارب شعبه، وأورشليم قد حُكم عليها. وعنوان القسم الثاني: البيت الملكي (٢١: ١١–١٤). إذا كان النبيّ نصح الملك بالاستسلام، فلأنّ الحكم الملكي صار إلى النهاية، بعد أن رفض مشروع الله.

٢– تفسير النص الكتابي

٢١: ١–١٠ جواب إلى الملك صدقيا

ع. ١: الكلام الذي صار إلى إرميا من قبل الرب. هي رسالة وصلت إليه. ما حملها أحد، بل طُبعت بيد الربّ في قلب النبيّ. وهو سوف يحملها كما اعتاد أن يفعل، بالرغم من الصعوبات والأخطار التي تواجهه، لاسيّما وأن صدقيا كان ملكًا ضعيفًا، يجتذبه الذين حوله تارة إلى الجنوب، إلى مصر وطورًا إلى الشمال، إلى بابل. أرسل الملك اثنين من رجاله إلى النبيّ. فشحور هو غير الكاهن الذي ذُكر في ٢٠: ١. ثم صفنيا الكاهن.

ع. ٢: اسأل الرب من أجلنا: هل يصنع لنا كما صنع في الماضي مع سنحاريب سنة ٧٠١؟، هي ظروف جعلته يترك حصار أورشليم، بسبب مؤامرة أُعدّت له بيد ولديه.

ع. ٣: جواب إرميا: كان نبوخذنصر خارج الأسوار، سآتي به إلى وسط المدينة. هذا يعني أنه سيدخلها. والرب يأتي به، لأنّ الربّ هو سيّد التاريخ ويسيطر على الأحداث. ولكن الملك لا يريد أن يفهم، أو أن الذين حوله يتعاملون بكبرياء.

ع. ٥: وأنا أحاربكم. ذاك هو كلام الرب. وأضيف على الحرب الوباء فيموت الناس والبهائم معًا (ع. ٦).

ع. ٧: بعد ذلك أدفع صدقيا والذين حوله إلى يد الملك نبوخذنصر... فيضربهم بحدّ السيف. ذاك ما حصل عمليًا. هل رأى النبيّ مسبقًا ما سوف يحل؟ بل النبي يلقي كلام الله على الأحداث

www.christianlib.com

فيبقى على الناس أن يكتشفوا إرادته. هما قراءتان. قراءة أصوليّة: النبي هو الذي يعرف الأحداث مسبقًا. والثاني، نعرف أن ما كُتب إنّما جاء بعد موت النبي، لتكون النبوءة أو كلام الله على الأحداث مناسبة لتأمل وإصلاح السيرة. سنة ٥٩٧ كان سبيٌ حيث مضى الملك يوكنيا إلى المنفى مع أهل القصر والموظفين. هل تعلّم صدقيا، كلا. وسيكون له ما كان للملوك الذين سبقوه. هنا نتذكر أن إرميا لم يكتب بل هو سكرتيره أو تلميذه باروخ الذي ما اكتفى بأن يورد، حرفيًا، ما قال إرميا، بل أضاف أمورًا عديدة (٣٦: ٣٢).

ع. ٨: وتقول لهذا الشعب: ليس الملك وحده مسؤولًا. وليس الشعب قطيع غنم لا يفكّر ولا ينظر إلى الأمام. بل يفعل ما يُقال له. أجعل أمامكم طريق الحياة وطريق الموت: من يلبث في المدينة يموت، ومن يسلّم نفسه لنبوخذنصر يبقى على قيد الحياة. لأني جعلتُ وجهي على هذه المدينة للشرّ لا للخير (ع. ١٠). في قراءة الأحداث، يبقى علينا أن نتخذ القرار. ماذا سيفعل الشعب؟ يمضي إلى نبوخذنصر أم يلبث في المدينة؟ هو خوف من صدقيا الذي يعتبر الخارجين خونة وخوفٌ من نبوخذنصر الذي سوف يأخذهم عبيدًا إلى بابل. شرّان لا شرّ واحد. إلى هنا وصل التدبير الملكي: إلى الحائط المسدود.

٢١: ١١– ١٤ البيت الملكي في هذه الأقوال النبوية، يتوجه إرميا إلى الأسرة الملكية بشكل محدّد (٢٢: ٦– ٧)، لا إلى أورشليم بشكل إجمالي. فعلى العدوّ الآتي من الشمال (را. ٤: ٦) أن ينزل ليصل إلى القصر الذي هو تحت الهيكل نزولًا. هو صخر كبير يقفل ساحة الهيكل ويشرف على وادي قدرون.

ع. ١١: ولبيت الملك تقول. وماذا يُطلَب منهم؟ إقامة العدالة. كل صباح. ففي هذا الوقت كانت تنعقد المحكمة عند باب المدينة. وأنقذوا المغصوب (من يغتصبه القوي) من يد الغاصب، الذي يظلمه ويستغله. كلام توجّه في القرن السادس ق.م. وسيتوجّه إلينا في القرن الحادي والعشرين. فالقضاء ليس مستقلًا. بل توجّهه السلطة السياسيّة. وبما أن القوّة في يدها، فالذين تقف بجانبهم هم الذين «يقضون» في الشعب. أو يقضون عليه. ذاك ما يشعل غضب الله.

ع. ١٣: هأنذا ضدك يا ساكنة العمق. هي هضبة تحمي القصر الملكي والذي حوله. يعتبرون أنهم في أمان ولا خطر يحدق بهم. من ينزل علينا ومن يدخل إلى منازلنا. وهكذا يظن الأقوياء أنهم يفلتون من يد الله. السلطة، المال، العبيد... أعاقبكم بحسب أعمالكم (ع. ١٣). لا ظلم عند الله. ولكن العدالة تأخذ مجراها على الأرض، في وقت لم يكن العبرانيون يتحدثون عن مجازاة في الآخرة. وعره، وعر الملك أي الغابة. فنحن نعرف أنه كانت عواميد وجدران من خشب الأرز في القصر الملكي. بعض النار كافية كما سيفعل العدوّ بالهيكل حين يدخل أورشليم.

٣– الخلاصة

في ف. ٢١ بدأ الكلام على ملوك يهوذا، بدءًا بصدقيا الذي هو آخر الذين حكموا في أورشليم. مضى إلى ربلة وهناك نال عقابه حين ذُبح ولداه. ومع أن الخطر آت والموت آت. فالقريبون من الملك حتى آخر موظّفيه يستغلّون الفقراء ويميلون بالعدالة إلى جانبهم. فكلّ هذا الغنى الذي ترونه في قصر الملك وفي قصور الأغنياء والمسلّطين، كل هذا سيكون مأكلًا للنار. وما يؤسَف له وما يجعل الرب يبكي بعيني إرميا، هو أن أحدًا لا يستعدّ أن يعيش بحسب وصايا الله وعهده مع شعبه. ليس هناك ذرّة من التأمل. كان آباؤنا يقولون: أذكر عواقبك يا إنسان، فلا تخطأ إلى الأبد. الموت، الدينونة وما ينتظر من سماء أو جحيم. أن تسمع: تعالوا يا مباركي أبي، أو أن تسمع: أمضوا عنّي يا ملاعين إلى النار الأبديّة المعدّة لإبليس وأعوانه. فنحن نتعلّق بهذه الأرض وبما تحويه حتى الدقيقة الأخيرة. فكأنّنا نريد أن نأخذها معنا. وإذا كان الملك وبيته وأهل قصره لا يقيمون العدالة، ففي أيّ حال، الله يعرف كيف يمارس العدالة. سكان أورشليم إمّا ماتوا إمّا مضوا إلى المنفى وعملوا كعبيد على مثال آبائهم في مصر. كل ما عمله الآباء والأجداد غرق في سياسة خرقاء، وكلّ ما بنوه تهدّم، وما غرسوه اقتُلع، فعدنا إلى البداية: النبي يقلع ويهدم، يهلك وينقض، وإذا لبث في الأرض يبني ويغرس. في أي حال، يبقى أمام المؤمنين الأمل والرجاء.

٢٢: ١– ٣٠ دينونة الملك الشرير

١– المقدّمة

جمع تلاميذ النبي أقوالًا متفرّقة قالها في ملوك يهوذا. في ف. ٢١، قرأنا جوابًا للملك صدقيا الذي أرسل وفدًا يسأله إن كان الله سوف يعمل معجزة كما عمل سنة ٧٠١. بصلوات إشعياء، عاد سنحاريب الأشوري إلى بلاده وما دخل أورشليم، لقاء جزية باهظة. فاعتبر سكان يهوذا أن أورشليم نجت بعجيبة، لأنّ إشعياء صلّى لأجلها. وكان جواب إرميا قاطعًا: لا عجيبة إطلاقًا. هل يأتي الرب ليعوّض عن عجزنا وتكاسلنا ورفضنا الرعاية لشعبنا؟ كلا. فالرب لا يحارب ولا سلاح في يده، بل يعطي القدرة للملك ليحمي حدوده وليقيم العدالة في أرضه بحيث لا يأكل القوي الضعيف والغنيّ الفقير. أما صدقيا فراح مع القويّ على الضعيف. وأحلّ الجور محلّ العدالة. وفي أي حال، لن يكون ملوك يهوذا أفضل منه.

إن عنوان ف. ٢٢: دينونة الملك الشرّير. فكل ملك في هذه السلسلة المذكورة هنا كان شريرًا. سبقهم يوشيا ومات بشكل مأساوي وأخذ معه الإصلاح الذي بدأ به. وشرع الانحطاط يسير مسيرته إلى أن كانت الكارثة سنة ٥٨٧– ٥٨٦. وهذا الشرير، سيكون الظالم الذي

www.christianlib.com

سيبني قصره بعرق الفقراء ودمهم. وها نحن نقسم هذا الفصل قسمين كبيرين. دينونة الملك الشرير (٢٢: ١– ١٢)، ثم ويل للظالم (ع. ١٣– ٣٠).

٢– تفسير النصّ الكتابي

٢٢: ١– ١٢ دينونة ملوك يهوذا

٢٢: ١– ٩ الوضع بشكل عام

ع. ١: انزل. نتذكر أن القصر الملكي يقع في نقطة أسفل من الهيكل، حيث كان إرميا يكلّم الشعب.

ع. ٢: اسمع كلمة الرب. هي مرسلة إليك بشكل شخصيّ، يا ملك يهوذا. لم يعد من وجود لملك إسرَإيل. أنتم البقية الباقية. أما تعلمتم ممّا حصل لإخوتكم في السامرة. الجالس على كرسي داود. وهكذا عاد النبي إلى الأساس، إلى ذاك الذي دعاه الله «بحسب قلبه». والمقابلة صاعقة. ولكنها لا تؤثر في أيّ من هؤلاء الملوك المنحدرين ومحدرين المملكة إلى الهاوية، على مثال آخر ملوك السامرة قبل سقوطها في يد الأشوريين. الملك يسمع، ومعه عبيد الملك وشعبه.

ع. ٣: أجروا حقًا وعدلًا. أين حقوق الصغار في المملكة؟ وأين ممارسة العدالة؟ كيف توقفون الظالم؟ والفئات الثلاث الغريب واليتيم والأرملة. وأخيرًا تسفكون الدم الزكي، البريء؟ وهكذا يخاف الآخرون ويخضعون لسلطتكم. أمور قديمة وحديثة. لو وُجد مَن يحاسب باسم الأمم المتحدة وما نقص من حقوق، لكان عمله طويلًا. في أي حال، من يجسر أن يطالب؟ يدعون مطالبته: «القدح والذم». يُعاقب صاحب العدالة، وينتصر صاحب الظلم. هذا الكلام هو لنا. اليوم وكل يوم. لكن الضعفاء يموتون في ضعفهم ولا أحد يسأل عنهم. مثل طير يموت من البرد في فصل الشتاء مع أن الرب قال: «أليس عصفوران يباعان بفلس؟ وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم» (مت ١٠: ٢٩). أما عندنا، فالإنسان تساوي حياته فلسًا أو فلسين، وليس من يسأل ولا من يحاسب. يا ليت إرميا يكون معنا!.

ع. ٤: إن فعلتم... وإن لم تسمعوا (ع. ٥). هو الخيار دائمًا. إما ملك مع شعبه في أورشليم وإما هذا البيت يضحي خرابًا أو تلّة خراب.

ع. ٦: ماذا كان يهوذا؟ رأس من لبنان. ولكن ماذا صار؟ يقطعون خيار أرزك ويلقونه في النار. نتذكر أن قصر الملك وقصور العظماء احتوت عواميد من أرز بشكل زينة في رواق واسع (ع. ٧).

ع. ٨: تعبر أمم كثيرة. وتسأل: ماذا فعل الرب لهذه المدينة؟ هم أكثر فطنة من سكان يهوذا! سألوا فعرفوا السبب: تركوا عهد الرب إلههم (ع. ٩).

٢٢: ١١– ١٢ حول شلوم

ع. ١١: لا تبكِ ميتًا ولا تندبوه. هو قول قيل يوم معركة مجدو سنة ٦٠٩ (را. ٢ مل ٢٣: ٢٩). وما انتهى بعدُ الحداد الوطني على يوشيا، حتى يدعو إرميا لبكاء شخص آخر مضى وما عاد. هو شلوم أو يوآحاز. اسم الولادة واسم الملك مثل يديديا وسليمان (٢ صم ١٢: ٢٥). فشلوم هذا كان الملك السابع عشر في يهوذا. أُعلن ملكًا على أثر موت والده يوشيا في مجدو.. ولكن عزله الفرعون نخو، بعد ثلاثة أشهر على اعتلائه العرش ونفاه إلى مصر حيث مات (٢ مل ٢٣: ٣٠– ٣٤). لهذا قال إرميا: أبكوا من يمضي، لأنّه لا يرجع بعد فيرى أرض ميلاده (ع. ١٠)، را. ع. ١١– ١٢ حيث يُقال نثرًا ما قيل في ع. ١٠ شعرًا.

٢٢: ١٣– ٣٠ ويل للظالم ذُكر في ١: ٣. هو يواقيم.

٢٢: ١٣– ١٩ حول يواقيم لماذا هو الظالم؟ لأنّه بنى بيته (قصره) بغير عدل (أي احتقر العدالة)، وعلاليه بغير حق. فالدفاع عن الحق والعدل أول واجب للملك (ع. ٣، ١٥؛ ٣٣: ١٥؛ را. تك ١٨: ١٩؛ مي ٣: ١؛ أم ١٦: ١٢– ١٣؛ ٢٩: ٢٤... وما يليه). وواجب كل إنسان (٥: ١). فالملك هو وكيل الله على الأرض، ثم هو ينتقم للمظلومين (٥: ٢٨– ٢٩؛ ٩: ٢٣؛ عا ٢: ٦– ٨... وما يليه) ويُسلّمه الله بشكل خاص الاهتمام بالقضاء: يقضي لهم ويصلح أمورهم. يهتمّ بالأذلاء والمساكين والضعفاء (ع. ١٦؛ مز ٧٢: ٢– ٤، ١٢– ١٤؛ مز ١٣٢: ١٥). أما يوياقيم فتصرّف مثل ظالم شرّير (ع. ١٣، ١٧) بأحلام لا حدود لها (ع. ١٤؛ ١٠: ٢٤).

الذي يستخدم صاحبه (أي: الآخر، الآخرين) مجانًا ولا يعطيه أجرة. يا للخطيئة الكبيرة!. وهو لا يطلب مساعدة بسيطة بل يشيد قصرًا واسع الأفناء. را. تث ٢٤: ١٤– ١٥: لا يكون الملك واحدًا من الطغاة الذي يستطيع، ساعة يشاء، أن يفرض أعمال السخرة من أجل خدمته الخاصة. لا الملك ولا أي فرد يُعفى من دفع الأجرة لعمّاله. الكبار بيننا أخبرهم آباؤهم عن السخرة في زمن العثمانيّين، الأتراك. كما اعتاد «الشيخ والبيك» أن يفرض السخرة على الفقراء والغرباء الذين يقيمون حوله. كان المساكين يفتخرون بأنهم حملوا «البيك» على ظهرهم وأوصلوه إلى حيث يريد، كما يفعل الحمار.

ع. ١٤: القائل: أبني لنفسي. هو واع كل الوعي لما يعمل من أبنية ضخمة، فخمة. ويأتي فحص الضمير: أهكذا فعل والدك فافتخر بالأرز؟ أما عرف السعادة من دون هذه الآلهة؟ بلى (ع. ١٥).

ع. ١٦: قضى قضاء الفقر... اهتم بحقّه. أما كان سعيدًا؟ بلى. فمعرفة الرب هي الخير الأسمى.

www.christianlib.com

ع. ١٧: **أما أنت يا يويياقيم**، يا ظالم، فكانت سعادتك على الخطف (السلب والنهب لتكديس المال والخيرات) وعلى الدم الزكي. حين تكون البلاد مقلقلة يسود الظلم والاغتصاب. أي التصرّف بعنف للمحافظة على أمور الملك والذين حوله. أما الدم الزكيّ فهو أوريا بن شمعيا، الذي تنبأ باسم الرب على هذه المدينة وعلى هذه الأرض، بكل كلام إرميا (٢٦: ٢٠). سمع الملك وطلب أن يقتله. فهرب إلى مصر. فأرسل الملك أناسًا فجاؤوا به من مصر وقتلوه (ع. ٢١- ٢٣). ولكن كيف نجا إرميا، والكلام كلامه؟ حماه «أخيقام بن شافان» وإلّا لكان مصيره كمصير أوريا بن شمعيا.

ع. ١٨: **وماذا حصل ليويياقيم؟** لن يبكيه أحد. كان تابعًا لنبوخذنصر سنة ٦٠٥- ٦٠٤. ولكنّه ثار عليه فكان نصيبه الموت سنة ٥٩٨ ق.م. هو مات ودُفن في مقبرة آبائه، ولكن يبدو أن نبوخذنصّر نجّس عظامه وبعثرها (٨: ١- ٢). لهذا قيل فيه هنا: «يُدفن دفن حمار» (ع. ١٩).

٢٢: ٢١- ٢٣ أورشليم العاصية الخائنة

ع. ٢٠: **اصعدي على (جبل) لبنان واصرخي**. صارت أورشليم شخصًا حيًا يستطيع أن يصرخ، وأن يطلق الصوت. تتحدّث عن ضيقها الذي هو عقاب خياناتها وعدم أمانتها. عباريم. قال التفسير اليهودي: في كل مكان، واليوناني والسرياني: عبر البحر، واللاتيني: العابرين. فحبيبك هم الآلهة الكاذبة أو حلفاء يهوذا في حربها على بابل (٣٠: ١٤).

ع. ٢١: **في راحتك**، أو في عدم اهتمامك وبلادتك. وكان الجواب: لا أسمع، لا أريد أن أسمع، وهذا موقفك منذ صباك.

ع. ٢٢: **كل رعاتك**: أي الملوك. هو تلاعب على الكلام: ترعاهم الريح، أي تأخذهم في كل الجهات. ومحبوك سواء الأصنام، أو الحلفاء. فنحن نعرف أن جميع الممالك الصغيرة نالت نصيبها مثل أورشليم. وحين سيطر الفرس على الشرق أعادوا كل شعب إلى أرضه (عز ١: ١ ب).

ع. ٢٣: **أيتها الساكنة في لبنان** أو في جبل لبنان، الذي هو أرفع مكان في المنطقة المعششة في الأرز أي صنعت عشك في الأرز. في أعمدة الأرز، في القصور. كل هذا البذخ يتبعه عذاب يشبه وجع الوالدة حين تلد.

٢٢: ٢٤- ٣٠ حول كنياهو

ع. ٢٤: **كنياهو** سبق وتكلّمنا عن هذا الملك في ١: ٣. هو أيضًا يكنيا أو يهوياكين الذي ملك ثلاثة أشهر. ثم سُبيَ إلى بابل. خاتمًا على يدي هو وثيقة رسميّة تدلّ على شخص وتعلن هويّته. هو في يد الرب أو على صدره، ولكن الرب نزعه من يده اليمنى، وما عاد يعترف به.

ع. ٢٥: **أسلّمك إلى نبوخذنصر**... وهناك تموت.

ع. ٢٨: **ويرد الشعر بعد النثر**: وعاء خزف مكسور ولا نفع منه.

ع. ٢٩: **أرض أو أرضي**. هو يتحسّر على الماضي. هو عقيم ولن يكون له من يخلفه.

٣- الخلاصة

لوحة عن الملوك الذين عاصرهم إرميا. يوشيا والإصلاح الذي قام به فجمع المعابد المشتّتة في البلاد بحيث لا تكون ذبيحة إلّا في هيكل أورشليم. ولكن انتقلت العبادات من البلاد إلى أورشليم، فكانت الآلهة في كل زاوية من شوارع المدينة المقدّسة. أما يويياقيم فعاد إلى ما كان يفعله الفرعون بالشعب العبراني. وكرّر طريقة سليمان في بناء الهيكل وقصوره. وقال سفر الملوك الأول: «وَسَخَّرَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ مِنْ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ، وَكَانَتِ السُّخْرُ ثَلاَثِينَ أَلْفَ رَجُل. فَأَرْسَلَهُمْ إِلَى لُبْنَانَ عَشْرَةَ آلاَفٍ فِي الشَّهْرِ بِالنَّوْبَةِ. يَكُونُونَ شَهْرًا فِي لُبْنَانَ وَشَهْرَيْنِ فِي بُيُوتِهِمْ. وَكَانَ أَدُونِيرَامُ عَلَى (أو رئيس) التَّسْخِيرِ. وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا يَحْمِلُونَ أَحْمَالاً، وَثَمَانُونَ أَلْفًا يَقْطَعُونَ فِي الْجَبَلِ» (١ مل ٥: ١٣- ١٥). فمَن بقي من بني إسرَإيل ولم يكن في السخرة. أما مع يويياقيم، فكانت مملكة يهوذا صغيرة. فسخّر الشبان في قصره وما دفع لهم أجورهم. في أي حال، كلّهم مضوا إلى المنفى أو ماتوا. أما الرعاة- الملوك، فراحوا في كل جهة، كما كانت الريح تأخذهم. وهكذا أضحى الشعب فقيرًا، جائعًا بحيث سوف يأكلون أطفالهم خلال حصار أورشليم. وإذا كان الشعب ثار على رحبعام بن سليمان فقسم المملكة، فمع هؤلاء الملوك لم يبقَ مملكة ولا كلام. فلبث شعب الأرض يعمل في الحقول لكي يدفع الضرائب للمحتلّ، نبوخذنصر.

٢٣: ١- ٤٠ كتاب على الأنبياء

١- المقدّمة

يتحدّث ف. ٢٣ على الأنبياء الذين يقيمون في القصر الملكي. هم يتكلّمون باسم الملك، لا باسم الله. فيعدون بمستقبل زاهر كما يريده أولئك الذين يدعونهم. وكم مرةً أراد صدقيا أن يُقنع إرميا بأن يقول له كلامًا معزيًا ولو كاذبًا!. أما النبيّ الحقيقيّ فلا شيء يزعزعه. إرميا في السجن. يا ليته يقول كلمة حلوة فينال بعض رضى السلطة!. ذاك هو المجتمع اليوم وكلّ يوم. ومَن هو النبي؟ هو الذي يعظ، يعلّم، يعلن كلام الله. أظنّ أن الأنبياء زالوا من مجتمعنا، فيحكم علينا بولس الرسول: «لو كنتُ أريد أن أرضي الناس لما كنتُ عبدًا ليسوع المسيح». أما نحن فنرضي الناس إلى وقت يشمئزون منا، لكي نكون عبيدًا لهم ونستفيد منهم. أما هم فيستغلّوننا من أجل

www.christianlib.com

مآربهم الشخصيّة. كلمة الله صارت خفيفة. هي لا تجرح.

أما إرميا فرفض هذا النوع من الأنبياء وبيّن كذبهم. لذلك صاروا يعادونه. فميزات النبوءة الحقة نقرأها في ع. ٢٢: «ولو وقفوا (هؤلاء الأنبياء)، لو كانوا حاضرين في مجلسي، لأخبروا شعبي بكلامي، وردّوهم عن طريقهم الرديء وعن شرّ أعمالهم». أما أنبياؤنا فيجارونهم ولا يزعجونهم لئلّا يخسروا عطفهم.

والتصميم يأتي في ثلاث محطات: الأولى (٢٣: ١– ٨)، قول على الرعاة الأشرار. الثانية (٢٣: ٩– ٣٢)، أقوال على الأنبياء الكذبة الذين يجعلون الشعب يعيش في سراب. وفي الثالثة (٢٣: ٣٣– ٤٠)، نبوءات كاذبة وأنبياء كذبة.

٢– تفسير النص الكتابي

٢٣: ١– ٨ غصن البرّ بعد توبيخات جديدة للملوك المسؤولين عن دمار شعب الله، يبشّر القول النبوي بأزمنة مسيحانيّة حيث يعيش فيها الشعب في البرّ والحق بقيادة من يكون بحسب قلب الله. دُعيَ غصن البرّ.

ع. ١: ويل للرعاة. هم تعساء بسبب ما ينتظرهم بعلّة تصرّفهم مع الرعية. هم عملوا عكس ما يريد الله. بدّدتم غنمي. والنتيجة: أنا أعاقبكم. وكيف يكون عقاب الملك؟ ضغط على الشعب الذي يصيبه ما كان يجب أن يصيب الملك والذين حوله. والمثل اللافت نقرأه في سفر صموئيل الثاني. أراد داود إحصاء شعبه وكأنّهم مُلكه. وهو إحصاء من أجل الضرائب. في ٢ صم ٢٤: ١٠ نقرأ: «فقال داود للرب: لقد أخطأت جدًا في ما فعلت». ولكن الغضب لم ينصبّ على الملك، فقال الكتاب: «وعاد فحميَ غضب الربّ على إسرَإيل» (٢ صم ٢٤: ١) وأرسل النبيّ جادًا لكي يختار بين ثلاث ضربات (ع. ١١). أمّا في إرميا، فكيف كان العقاب؟

ع. ٣: وأنا أجمع بقيّة شعبي. لماذا العقاب؟ لماذا الضربة؟ كما يُقال في أيامنا. فالرب حوّل الشرّ إلى خير. أعاد أولاده إلى البيت فتثمر وتكثر. وبدل الرعاة الأردياء، يقيم الرب رعاةً يرعون الغنم. فلا تفقد. يكفي أن يناديها الرب فتلبّي النداء، على مثال ما يعمل يسوع الراعي الصالح الذي يعرف خرافه وخرافُه تعرفه (يو ١٠).

ع. ٥: ها أيّام تأتي. هي انطلاقة جديدة ووعدٌ بالخير. أقيم لداود غصن برّ. دائمًا هي العودة إلى داود وصولًا إلى يسوع ابن داود، وإن كان هو ربّ داود (مر ١٢: ٣٥– ٣٧). هو غصن أو نبت كما في زك ٣: ٨. هو شرعيّ وما استولى على الملك، وهو بارّ وصادق. أما يسوع فدلّ الله على رضاه من أعلى السماء: «أنت ابني الحبيب الذي به سُررت» (مر ١: ١١).

ماذا يعمل هذا الغصن؟ يختلف كل الاختلاف عن الملوك الذين تحدّث عنهم إرميا: يُجري حقًا وعدلًا في الأرض. هنا نلتقي مع كلام إشعياء عن «الولد الذي يُولَد لنا» فرأى فيه الآباء يسوع المسيح. قال: «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا... عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ» (إش ٩: ٦– ٧).

ع. ٦: يخلص يهوذا. مملكة يهوذا في خطر. يخلّصها. ويسكن إسرَإيل آمنًا. مملكة إسرَإيل مشتّتة. تعود إلى ديارها وتعرف الأمان. اسمه: الرب برّنا «ص د ق. ي ه و ه» أو«ص د ق. ي ا». هو اسم الملك. لا ذاك الذي نبّهه إرميا، بل الربّ بالذات ومن يرسله: الصادق، البار. هي طريق الرب حين يرى الرعاة يهملون واجباتهم. يستعيد الأمور (صف ٣: ٣– ٥) بشخص من نسل داود المنتظر (حز ٣٤: ٢٣). هو أداة طيّعة بيد الملك الأوّل، الله (١ صم ١٢: ١٢ غير ما كان عليه شاول) مثل هذا الملك الداودي يقيم العدل في مملكة الشمال وفي مملكة الجنوب، اللتين تجتمعان (إر ٣١: ٢٧– ٢٨؛ ٣٣: ٧). وفي العهد الجديد، هذا البرّ ينقله المسيح إلى جميع أعضاء الشعب (رو ١: ١٧؛ ١ كو ١: ٣٠؛ ٢ كو ٥: ٢١؛ فل ٣: ٩). في ٣٣: ١٦ سيُعطى هذا الاسم (الربّ برّنا) إلى أورشليم الجديدة.

ع. ٧: لذلك، ها أيام تأتي. ويتكرّر هنا ما قرأناه في ١٦: ١٤. كانوا يتكلّمون عن الخروج من مصر. أما الآن، فالكلام هو على العودة من الشمال حيث تشتّت الشعب بعد دمار الهيكل وسقوط أورشليم.

٢٣: ٩– ١٢ حول الأنبياء

٢٣: ٩– ١٢ أولًا: شكوى النبي الفوضى عامة، عارمة، فقال النبي: انسحق قلبي. أو: انكسر (ع. ٩). لا احترام للوحي، لا احترام لكلام الله. بل لا احترام للربّ.

ع. ١٠: الأرض امتلأت من الفاسقين. لا في الشعب فقط، بل لدى الأنبياء والكهنة (ع. ١١). وهذا الشرّ يحصل في بيتي. لا في أسواق أورشليم فقط. فلا بدّ من تأدية الحساب (ع. ١٢).

٢٣: ١٣– ١٥ ثانيًا: أسوأ من أنبياء السامرة شدّد إرميا على انحرافات الأنبياء، في أورشليم. وهكذا تفوّقوا على أنبياء السامرة الذين أوصلوا البلاد إلى الدمار، والسكان إلى المنفى. ويا ليت أنبياء أورشليم لبثوا على مستوى أنبياء السامرة، بل تعدّوهم، فأضافوا العصيان والجحود (٣: ١١).

ع. ١٣: رأيتُ في أنبياء السامرة. لا يتنبأون باسم الله، بل باسم البعل، السيد، وبالتالي الملك. وهكذا أضلّوا شعبي. الملك هو هنا. فمن يجسر أن يعانده. ما يقوله هو وما يقوله أنبياؤه، هو الحق كلّ الحق، والويل لمن يعارض. كلّ فئة في أيامنا لها قائدها. تسير وراءه مثل الغنم. ما يقوله تقوله، وما يرفضه ترفضه. فالمستقبل بيد هؤلاء القادة! مساكين، وأكثر منهم أولئك الذين يتبعونهم.

ع. ١٤: وفي أنبياء أورشليم... يسلكون بالكذب. ويقودون

www.christianlib.com

الشعب في عالم الأوهام. وصاروا لي كسدوم وسكانُها كعمورة. هي قمّة الشرّ، وقد نالت ما لم تنله مدينة من عقاب. هكذا دعا إشعياء أورشليم: «اسْمَعُوا كَلاَمَ الرَّبِّ يَا قُضَاةَ سَدُومَ! أَصْغُوا إِلَى شَرِيعَةِ إِلهِنَا يَا شَعْبَ عَمُورَةَ» (إش ١: ١٠). مدينتان راحتا إلى الفناء. وكادت أورشليم تتبعهما، «لَوْلاَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ أَبْقَى لَنَا بَقِيَّةً صَغِيرَةً» (إش ١: ٩).

ع. ١٥: **من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق في كلّ الأرض**. هي المدينة المقدسة. هي التي اختارها الله، وحوّلها مركزًا لسكناه إذ جعل فيها بيته، هيكله. ولكن منذ سليمان الحكيم بنى هذا مع هيكل الرب هياكل لكل امرأة من نسائه. وهكذا تعلّمت سائر المدن. وبالنسبة إلى يسوع، الخطر آت من أورشليم ومنذ بداية الرسالة اعتبروه «يجدّف» (مر ٢: ٧) لأنّه قال: «مغفورة لك خطاياك» وكم من موقع مقدّس في أيامنا، ينطلق منه الشرّ والخطايا والبغض والعنف فيصبح «مغارة لصوص»!.

١٨: ١٦– ٢٢ ثالثًا: أنبياء كذبة النبي، قبل أن يكون حامل كلام الله (ع. ٢٢؛ ١٥: ١٩)، يكون في مجلس الله، يكون حاضرًا يَسمع برنامج الله (ع. ٢٠؛ عا ٣: ٧، ١ مل ٢٢: ١٩– ٢٢). ومن هناك يستطيع أن يتدخّل بصورة ناجعة (تك ١٨: ٢٣– ٣٢؛ ٧: ١– ٦). النبي هو الصديق الذي يعرف ما سوف يعمله الله (لو ١٥: ١٥؛ تك ١٨: ١٧). ولكن لا شيء من كل هذا لدى الأنبياء الذين يتكلّم عليهم إرميا.

ع. ١٦: **لا تسمعوا لكلام الأنبياء**. كلامهم كذب ومن نسيج الخيال. يتكلّمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب. أناس عديدون في أيامنا، مسؤولون، يعلنون بالفم الملآن أن الرب يكلّمهم. أو يضعون كلامهم على فم شخص معروف. كم نحتاج إلى الصمت الصباحي لندخل في سرّ الله (لأنّ هذا معنى فعل «نبأ» أو نبع حيث ندخل إلى النبع الذي هو الله)!. والويل لنا إن اعتبرنا كلامنا كلام الله، فنشكك الناس ونكون لهم سبب عثرة. عندئذ نستحق ما قال الرب يسوع: «خَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى (هو يُستعمل لطحن القمح ليتحوّل برغلاً) وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ» (مت ١٨: ٦).

ع. ١٧: **من هم الذين يكلّمهم هؤلاء الأنبياء؟** الذين يحتقرون الربّ وكلامه. مثل هؤلاء لا يسمعون سوى كلام الخيال: يكون لكم سلام. أو: لا تخافوا. فالأمور هي بألف خير. أما المعاندون فيقولون لهم: لا يأتي عليكم شرّ.

ع. ١٨: **هل مثل هؤلاء الأنبياء** وقفوا في مجلس الرب؟ رأوا؟ سمعوا؟ أصغوا؟

ع. ١٩: **لأنهم كاذبون يحلّ غضب الله عليهم**. يتأسّف الرب. هو يريد أنبياء صادقين، يحملون كلامه الذي به يحذّرهم، بدل كلام الملك الذي يستعبدهم. ومتى يهدأ غضب الله على مثل هؤلاء الناس؟ حين يريهم مشروعهم. ومتى تنفّذ في آخر الأيام يفهمون فهمًا. سوف يرون بعيونكم عمل الله. لا عقوبات ولا قصاص. حين يرون يفهمون. ربما يخزون ويخجلون من موقفهم وما أسمعوه للشعب (ع. ٢٠).

ع. ٢١: **لم أرسل الأنبياء**. الرب لم يرسلهم. بل هم أسرعوا وتنبّأوا.

ع. ٢٢: **يا ليتهم وقفوا في مجلسي**، لكانوا سمعوا كلامي وأوصلوه إلى شعبي فيرجع عن شرّ أعماله.

٢٣: ٢٣– ٣٢ رابعًا: الربّ يملأ الكون

ع. ٢٣: **العليّ إله من قريب وليس إلهًا من بعيد**. را. ٢ مل ٥: ٢٦ وما قال النبي أليشع لخادمه جيحزي. والمعنى: «وهل أنا إله محصور في البيت، أم إله الكون؟» أو: ليس الرب إلهًا نستطيع أن نسجنه في مدى محدّد وفي زمن معيّن. هو إله كل مكان وكل زمان. أما قمحي والنص الآرامي فأبرزا الوجهة الزمنيّة: «أأكون إله الساعة الحاضرة ولا أكون الإله الذي يدوم؟»

ع. ٢٤: **إذا اختبأ إنسان**. هو الولد يختبئ ويجب أن لا يراه أحد. ويأتي فعل الإيمان: أنا أملأ السماوات والأرض.

ع. ٢٥: **كيف تقابل بين القش والحنطة؟** بين الإله الحيّ والآلهة الكاذبة التي هي أصنام لا ترى ولا تسمع ولا تتحرّك. وأي علاقة بين حلم يرويه نبيّ كاذب، وبين مَن تسلّم كلمتي وحملها.

ع. ٢٩: تشبه كلمة الرب النار. والمطرقة. هذا ما يدلّ على قوّتها، فيهدّد الرب: هأنذا على الأنبياء. والويل لهم إن قالوا كلمة من عندهم واعتبروها كلمتي!

٢٣: ٣٣– ٤٠ نبوءات كاذبة وأنبياء كذبة

ع. ٣٣: **وحي الرب**. والجواب: أي وحي. ثلاث فئات يعلنون كلام الرب: شخص من الشعب، الكاهن، النبي. كلهم نالوا وحي الله، كلّهم عرفوا فكر الله. كلّهم يتكلّمون باسم الله. كلّهم يعرفون رغم جهلهم، وبقدر ما هم جهلة يرفعون صوتهم ويشدّدون على براهين تشبه خيط العنكبوت.

٣– الخلاصة

جدال كبير بين الله ومثل هؤلاء الأنبياء، وحرب بين إرميا وأنبياء كذبة يبدون أقوى منه لأنّ الملك والعظماء بجانبهم. والناس يسمعون لهم، لأنّ كلامهم يدغدغ عواطفهم. لماذا الهمّ؟ لماذا القلق؟ مثل هؤلاء الأنبياء يهدئون الخواطر: ناموا في بيوتكم. لن يصيبكم شر، بل إن الأيام تحمل لكم الطمأنينة وكل خير. لماذا الدعوة إلى التوبة؟ لا حاجة، يقول هؤلاء الأنبياء. لماذا الدخول في الباب

www.christianlib.com

الضيّق، والبابُ الواسع مفتوح أمامنا؟ الله بعيد وربما لا يرانا. أما بعل فهو أمامنا ونحن نرفعه ونحمله في تطواف. نراه، نلمسه، نتبرّك به. التمثال كبير، ضخم، يُرى من بعيد. ونحن لا نتركه. هو أمر اعتدنا عليه منذ دخلنا أرض الموعد، وتجذّرت هذه العبادة فينا، فيصعب علينا اقتلاعها. أما بعل فلا يمثل فقط «الصنم» بل كل ما يبعدنا عن الله: المال، الفلتان الجنسي، مختلف الشهوات... وخصوصًا هو العمى، بحيث لا نرى أو لا نريد أن نرى. لمثل هذا الشعب أتى الأنبياء. حسب المبدأ المعروف: «كما تكونون يُولّى عليكم». تحبّون هذا التعليم، لا غيره، فيعطى لكم هذا التعليم لكي تلبثوا عبيدًا للخوف الذي فيكم، وللإنسان الذي يستعبدكم. كل هذا الوضع يملأ قلب النبي حزنًا. هو ضعيف ولا يقدر أن يفعل شيئًا لإصلاح ذات الحال، فيكتفي أن يبكي ويسلّم أمره للربّ، ويسلّمه هذا الشعب. متى تنقلب اللعنة عندهم إلى بركة؟ فينعمون بخلاص آتٍ يحمله «غصن البر» الذي هو صورة بعيدة عن يسوع المسيح، والذي يأخذ المشعل من الأنبياء ويطلقه فينير العالم، لأنّه هو نور العالم. وإن نحن سرنا وراءه لا يدركنا الظلام.

٢٤: ١-١٠ سلّتا التين

١- المقدّمة

«أين هو شعب الله»؟ الذين لبثوا في الأرض وما مضوا إلى المنفى، فاعتبروا أنّهم نالوا بركة الله؟ أم الذين مضوا إلى المنفى فتنقّوا من كل غشّ. وهكذا يكونون هم شعب المستقبل.

ففي سنة ٥٩٧ اعتبر الأوّلون أنهم الأبرياء، والآخرون هم المذنبون. وماذا كان كلام الرب؟ الرب ينظر برضى إلى الذين بدَوا وكأنّهم رُذلوا. ذاك ما نفهم من إش ٥٣ ومن مز ١١٨: ٢٢ «الحجر الذي رذله البنّاؤون صار رأس الزاوية». فالرب فضّل مرارًا الثاني على الأول: فضّل يعقوب على عيسو، ويوسف على سائر إخوته، وداود الذي هو الأخير على أليآب، الطويل القامة، وسائر إخوته المحاربين. والرب أغدق نعمته على النساء العواقر، كما قالت حنّة أم صموئيل (١صم ٢: ٥؛ را. مز ١١٣: ٩: «العاقر تسكن في بيتها فتكون أم أولاد فرحانة».

وكذا نقول عن يسوع المسيح. قال: ما جئت من أجل الأصحّاء، بل من أجل المرضى. ما جئتُ من أجل الأبرار، بل من أجل الخطاة. وسيقول بعد شفاء غلام قائد المئة، مفضلًا الوثنيين على الشعب اليهودي: «إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ» (مت ٨: ١١-١٢). ونقرأ في مت ٢١: ٣٢: «إِنَّ الْعَشَّارِينَ وَالزَّوَانِيَ يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ».

ومهما يكن من أمر، فالرب لا يرفض هذه الفئة ولا تلك. كلتاهما شعبه، كلتاهما تخصّان الرب. فالسلّتان (سلّتا التين) موضوعتان أمام الهيكل. وإذا فضّل الذين هم في المنفى، فهو يكون رجاء للذين لبثوا في البلاد (٣٢: ١٥، ٣٣: ١-١٨).

٢- تفسير النص الكتابي

٢٤: ١-١٠ سلتا التين

ع. ١: السلّتان موضوعتان أمام هيكل الرب. لا سلّة تفضّل على الثانية، فكلتاهما للرب. ومتى كان الكلام؟ حين أخذ نبوخذنصر إلى المنفى البابلي يوكنيا والموظفين... يعني النخبة في المجتمع وفي الجيش بحيث لا يبقى سوى شعب الأرض. هكذا يستبعد كل ثورة لاحقة.

ع. ٢: تين جيّد وتين رديء، كل واحد يحسب نفسه الجيد والآخر هو الرديء. تلك نظرة الفريسيّ إلى العشّار (لو ١٨: ٩-١٤) وفكرة سمعان بالنسبة إلى الخاطئة. والرسول يقول: «ليحسب كل واحد الآخرين أفضل منه».

ع. ٣: ماذا ترى؟ دعا الرب نبيّه لينظر وبعد ذلك يحكم. في الظاهر، نفضّل الجيّد على الرديء.

ع. ٤: الناس يختارون التين الجيّد، أي الذين لبثوا في الأرض. أما الرب فعكس ذلك. كهذا التين الجيّد هم الذين مضوا إلى المنفى وأنا أرجعهم إلى هذه الأرض (ع. ٦). يكونون لي شعبًا وأنا أكون لهم إلهًا (ع. ٧). والسبب: «يرجعون إليّ بكل قلبهم»، إذًا هم صادقون. عكس الباقين في الأرض.

ع. ٨: هم كالتين الرديء الذي لا يؤكل من رداءته. هكذا هو صدقيا والذين معه. العقاب يأتيهم. السيف والجوع والوباء (ع. ١٠).

٣- الخلاصة

فإن كان التين الجيّد هو ذاك الذي مضى إلى المنفى، فالسبب لأن إبراهيم كان هناك. وأتى إلى فلسطين، فكانت مسيرته من جنوب العراق، حيث بابل، إلى شمال العراق حيث نينوى، بشكل أب يجمع أبناءه الذين سُبوا من السامرة ومن أورشليم. كلّهم عادوا إلى الأرض برفقة إبراهيم. أما المفضّلون ما دُعيَ التين الرديء فيتحدثون عن إبراهيم الذي لبث في الأرض. ولما مضى إلى مصر كانت له مغامرة سيّئة حيث تخلّى عن سارة خوفًا على حياته. فالذين لبثوا في الأرض تحجّروا وما عادوا يفكرون سوى بالطعام والشراب، وكان القلق يساورهم في كل حين. أمّا الذاهبون إلى المنفى فتصفّوا مثل الذهب في النار.

www.christianlib.com

٢٥: ١– ٣٨ سبعون عامًا في السبي

١– المقدّمة

القسم الأول من هذا الفصل (ع. ١– ١١) يتضمّن جميع العناصر الهامة في كرازة إرميا قبل السبي. كما يظهر عنصر جديد: تحدّد مدى العقاب سبعين سنة (ع. ١١). ويعلن القسم الثاني أنه، بعد هذا الوقت، تعاقَب بدورها أداةُ غضب الله. في اليونانية، لا تتوضّح هوية هذه الأداة (ع. ٩، ١٢). وموضوع هذا القسم الثاني لا يظهر في كرازة النبي إلا بعد عشر سنوات على التاريخ المذكور في ع. ١.

أما التصميم فجاء كما يلي: قسم أول عنوانه، بابل أداة في يد الرب (٢٥: ١– ١٤) وقسم ثانٍ (٢٥: ١٥– ٣٨) يعتبر أن الدينونة تصل إلى الجميع، لا إلى شعب يهوذا وحده، وهكذا لا يُفلت منها أحد. هكذا بدأت نبوءة عاموس (ف. ١– ٢). انطلق من هجمة الأشوريين على المنطقة فرأى فيها عقابًا لكل بلد على الشرّ الذي اقترفه.

٢– تفسير النص الكتابي

٢٥: ١– ١٤ بابل، أداة غضب الرب بدا «باروخ» أو أحد تلاميذ إرميا، وكأنه يوجز ما قاله النبيّ داعيًا شعبه إلى التوبة والرجوع إلى الله، ومعلنًا الشقاء الذي يحرّكه عنادهم في الشرّ.

ع. ١: الكلام الذي صار إلى إرميا. هذا يعني قرب النبي من الله، والاستماع إلى ما يقوله له. فالنبي يشبه إلى حدّ بعيد صموئيل. دعاه الرب. تعال: «تكلم يا رب، فإن عبدك سامع» (١ صم ٣: ١٠). ونقرأ في ١ صم ٣: ١٩: «وَكَبِرَ صَمُوئِيلُ وَكَانَ الرَّبُّ مَعَهُ، وَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا مِنْ جَمِيعِ كَلاَمِهِ يَسْقُطُ إِلَى الأَرْضِ». السنة الأولى لنبوخذنصر. تسلّم السلطة في السادس من أيلول سنة ٦٠٥ بعد معركة كركميش (إر ٤٦: ٢) حيث كان يقود جيوش أبيه نبو فلاسر، بصفته وليّ العهد. وإذ مات والده في شهر آب، أجبر أن يعود سريعًا إلى بابل ليلبس التاج الملوكي. غير أنه عاد سريعًا ليواصل تقدّمه إلى فلسطين (٢٠: ٤).

ع. ٢: الذي تكلّم به إرميا النبي. والتاريخ: في السنة الثالثة عشرة ليوشيا. را. ١: ٢. بدأ يوشيا ملكه سنة ٦٤٠. ويبدو أن النبي شارك يوشيا في الإصلاح الذي قام به. وربما هذا كان سبب عداء أهل عناثوث لإرميا. كان عندهم مذبح ومعبد. ألغي. وهكذا لم يعد يأتي أحد إلى بلدتهم. فضاعت تجارتهم. إلى هذا اليوم. هنا نقرأ في ٣٦: ٢ ما قال الرب لإرميا: «خذ لنفسك درجًا (أو لفيفة، م ج ل ه) في العبريّة (سِ فِ ر) أو كتاب واكتب فيه كلّ الكلام الذي كلمتك به على إسرَائيل وعلى يهوذا وعلى كل الشعوب من أيام يوشيا إلى هذا اليوم». والهدف، هو التنبيه الأخير، لعلّ بيت يهوذا يسمعون كل الشرّ الذي أنا مفكّر أن أصنعه بهم، فيرجعوا كل واحد عن طريقه الرديء، فأغفر ذنبهم وخطيئتهم».

ع. ٤: هل تذكر بما فعله الرب من أجل شعبه: أرسل الأنبياء، دعا إلى التوبة، منع من التوجّه إلى الآلهة الغريبة. بعمل أيديكم (ع. ٧).

ع. ٨: لذلك هكذا قال الرب... لأنكم لم تسمعوا كلامي، «أُرسل فآخذ كلّ عشائر الشمال... نبوخذنصر عبدي (ع. ٩) أي أنا صنعته وهو يعمل ما أطلبه منه.

ع. ١١: تخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة. فسيطرة بابل محدّدة في الزمن بمن هو ربّ التاريخ.

ع. ١٢: بعد عقاب يهوذا على شرّه، يأتي عقاب ملك بابل.

ع. ١٣: وأجلب على تلك الأرض كل كلامي الذي تكلّمت عليها، كل ما كُتب في هذا السفر الذي تنبأ به إرميا على كل الشعوب. أو الأمم الغريبة. هنا تندرج أقوال إرميا على الأمم (٤٦– ٥١). وفي ترتيب منطقي، سبق النص العبري. أما ع. ١٥– ٢٠ فتختتم هذه المجموعة. فإنّ ف. ٢٦– ٤٥ وف ٥٢ تشكل القسم الأخير من سفر إرميا.

٢٥: ١٥– ٣٨ أقوال على الأمم نقرأ هنا: دينونة الله على الأمم، واختيار هذه الأمم كأداة دينونة الله على شعب الله، لا يبرّران الأمم الكبرى، في الماضي واليوم، بسياستها التوسّعيّة وحروبها المتواصلة. فحين يطلّ الربيع، كانت الجيوش الكبرى تنطلق إلى الحروب.

وهكذا أعلن النبي حكمه على طموحات الأمم في القتل، في السلب والنهب. وفي رؤية هائلة يصف هجمة العنف وتكديس الآلام التي تسبّبها، وبالتالي تبتلعها. وهكذا ابتلعت بلاد الفرس الإمبراطورية البابليّة، بانتظار مجيء الإسكندر المقدوني.

ع. ١٥: هكذا قال لي الرب. سمع النبي وهو يطيع. خذ كأس خمر من يدي. والخمر تدلّ على السخط. واسقِ جميع الشعوب. إن كأس الخمر ترمز إلى العقاب الذي يحتفظ به الرب لجميع الذين يرفضون أن يخضعوا له (ع. ١٦).

ع. ١٧: فأخذت الكأس من يد الرب، وسقيتُ كلّ الشعوب الذين أرسلني الرب إليهم. وجاء التعداد بيد أحد الكتبة وهو يكشف همًّا لاهوتيًا: إن يُبرز أيضًا بُعد عمل الله وما فيه من شموليّة على الشعوب. وفي تقديم اللائحة يقود البلدان بحسب أقطار الكون الأربعة: في الجنوب مصر وأدوم وموآب، في الغرب صور وصيدون وممالك السواحل، في الشرق ملوك العرب، وفي الشمال ملوك عيلام ومادي. بمثل هذا التعداد قدّم لوقا في أعمال الرسل ٢ انتشار المسيحيّين سنة ٨٥، وهي سنة تدوين كتابه تقريبًا. بدأ في الشمال (بلاد ما بين النهرين) وراح إلى آسيا الصغرى مع الكبادوك، ثم راح إلى الجنوب، إلى مصر، بانتظار أن يصل إلى روما. هذا ما يدلّ على حضور الله، سيّد التاريخ، وفي سفر الأعمال، أنّه قائد المغامرة الرسوليّة بعد حلول الروح القدس يوم العنصرة.

www.christianlib.com

يجعلها خرابًا كهذا اليوم. أي كما ترون اليوم، كما هي الحالة الحاضرة، ربما بعد موت نبوخذنصر. هي نظرة إلى الوراء بعد مشهد الدمار. ويبدو أنّه كانت سلسلة من «اللعنات» يردّدونها، بدءًا بمصر...

ع. ٢٧: وتقول لهم... اشربوا واسكروا وتقيّأوا. كلام قاسٍ جدًا. والبداية مع المدينة التي دُعيَ اسمي عليها (ع. ٢٩) أورشليم.

ع. ٣١: الرب يحاكم كل ذي جسد، كل إنسان، ويدفع الأشرار للسيف. هو عقاب على الأرض. هذا لا يعني أن الرب عمل الحرب وفرح بعدد القتلى بل بيّن أنّه سيّد التاريخ وأنه يستطيع أن يبني ويغرس بعد أن مرّ الإنسان فدمّر واقتلع.

ع. ٣٤: واعدلوا أيها الرعاة. نتخيّل الملوك ماضين إلى المنفى مع الناس... ووراءهم الصمت بعد أن امتلأت الشوارع بالقتلى وأفرغت البيوت فما بقي واحد من السكان على قيد الحياة. ما نلاحظ هو أن الملوك والعظماء هم في مقدّمة الذاهبين إلى السبي (ع. ٣٨).

٣- الخلاصة

مرّ السيف من هنا، وترك القتلى. والجيوش دُمّرت وأُحرقت. الرب يرى وأما «غضبه» فحزنٌ وبكاء على هؤلاء الشعوب. كيف تحوّلت الأرض التي كانت في الأصل «فردوسًا» (تك ٢) إلى شوك وعوسج. لا، ما خلق الله العالم لكي تسود فيه مثلُ هذه الحروب الكبيرة والصغيرة. وبعد كل حرب لا نحصي القتلى لأنّهم لا يُحصون، بل نحصي الذين لبثوا على قيد الحياة. مدن فارغة، أرامل، أيتام... تمّ المرض والجوع... وكم نحزن مثل الله أمام ما تركته مثلاً الحرب العالميّة الثانية، وما تتركه اليوم حروبنا في كل مكان من الأرض، ما عدا المناوشات وأعمال العنف. أجل هو حزن الله كذلك الذي أعرب عنه الإنجيل الذي دُوّن بعد سقوط أورشليم وحريق الهيكل: «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ (وتشتّتوا المرة بعد المرة بفعل الحروب)، كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا» (مت ٢٣: ٣٧- ٣٨).

يغضب الرب، يحزن، يتألم حين يمرّ مثلاً في أوروبا سنة ١٩٤٥ (خصوصًا في ألمانيا)، والحكام لا يريدون أن يستسلموا حتى آخر شاب، حتى آخر فتى (ولو كان ابن ست عشرة سنة أو أربع عشرة). ولكنّه يفرح حين يرافق أولئك الذين لا ينظرون إلى الوراء ليحكموا على الذين كانوا سبب هذه الشرور. بل ينظرون إلى الحاضر: ماذا نعمل الآن، وما هو المستقبل؟ أمضوا إلى هذه البلدان، لم يعد هناك أثر للدمار إلّا في الصُوَر التي احتفظ بها الناس. أما في بلداننا فآثار الدمار باقية هنا وهناك. وإن حاول البعض أن يبنوا، أطلّت قلاقل جديدة ودمّرت. ما أحلى العيش تحت الخراب. ونتذكّر الفشل المرة بعد المرة ونبكي ونواصل البكاء.

نغرس ونبني. ذاك ما يريده الرب. سأل أحد الفلاسفة الله يومًا: هذا مريض، هذا معاق، هنا انفجار، حوادث سيارات، ماذا عملت؟ فأجابه الرب: «عملتك أنت»، سلمتك أنت العالم. لا مجال للبكاء على الأطلال أو اللعن والتجديف والحكم على الناس. إبدأ واعملْ. ولا تترك اليأس يسيطر على قلبك. فنحن أبناء الرجاء، ويد الرب بيدنا. ممنوع أن نرخي أيدينا ونعتبر أننا لا نستطيع بعدُ شيئًا، بل نسعى لنعيد الثقة إلى القلوب. ذاك ما حصل بعد دمار أورشليم: كان الحاكم جدليًا دعا الشعب إلى نبذ الخوف «اسكنوا الأرض» (٢ مل ٢٥: ٢٤)، أي أقيموا عليها بهدوء. وأما عملية بناء الهيكل وأسوار المدينة فستتم بيد العائدين من المنفى. وبانتظار ذلك، قتل بعض المتفلّتين جدليا بدفع من الخارج أو هم أرادوا أن يكونوا مكانه. وهكذا من قتْلٍ إلى قتل، تواصلت الحرب على الأرض إلى أن مات جميع القوّاد الذين يقودون نفوسهم ومآربهم. ذاك هو عالم الحرب. وهو حاضر الآن. كم نحن بحاجة لندعو الرب فيعيدنا إلى السلام، ونحافظ على الثقة به وبعضنا ببعض!. ويبقى الهدف الأخير حين ننشد: «المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام». تلك هي مسرّة الله حين يقيم وسط البشر.

٢٦: ١- ٢٤ كرازة التين وسلطات الهيكل

١- المقدّمة

تجاه الأقوال القاسية التي يحكم الله فيها على شعبه، نقرأ هنا علامات الرجاء الباقية لدى شعب الله. وإذا كانت نداءات إرميا إلى التوبة حملت إليه، كما إلى غيره (ع. ٢٠- ٢٣)، البغض والاضطهاد، إلّا أنها دفعت المؤمنين لأن يطلبوا حقًا طرق الرب في شعبه، ويتعلّقوا بها.

أما التصميم فجاء في مقطعين. الأول: إرميا مهدّد بالقتل (٢٦: ١- ١٩). والثاني (٢٦: ٢٠- ٢٤) مصير نبيٍّ إرميائي.

٢- تفسير النص الكتابي

٢٦: ٢٠- ٢٤ إرميا مهدَّد بالقتل نحن هنا في السياق التاريخي لهجوم إرميا على ديانة كاذبة (١٣: ٢٥). هو كلام قيل في بداية عهد يوياقيم (٦٠٩- ٦٠٨. را. ١: ٣). تقوّى النبي بيقين مطلق بأن الرب يدعوه إلى رسالته (ع. ١٥)، فواجه السلطات الدينيّة (١: ١٨؛ ١٥: ٢٠). غير أن الشعب والسلطات المدنيّة (ع. ١٦) والشيوخ (ع. ١٧- ١٩) كانوا أكثر واقعيّة من الكهنة والأنبياء (ع. ٨- ١١). كل هذا يعيدنا إلى ٧: ١ ي وخطبة إرميا عند باب الهيكل.

تاريخ السلطة الدينيّة عمره عمر الكون. فينبغي أحيانًا أن تضع

www.christianlib.com

لها السلطةُ المدنيّة حدًا. لماذا أمينوفيس الرابع المصري، ترك معبد آمون وشيّد معبد أتون ودعا اسمه أخيتاتون أو عابد أتون، أي الشمس؟ لكي يتفلت من سلطة الكهنة. وفي بلاد فارس علم الكهنة الشاه كيف يقتل المسيحيّين لتتوحّد الديانة حولهم. والملك قسطنطين أراد أن يدجّن الكنيسة فخضعت له. كان يرسل في طلب الأساقفة فيأتون. ويطلب لهم بنسخات من الكتاب المقدّس. ولم تختلف الأمور كثيرًا في شرقنا الذي لا يعرف ثورة مثل الثورة الأوروبية وعلى رأسها فرنسا منذ سنة ١٧٨٩ وصولًا إلى سنة ١٩٠٥ وفصل الدين عن الدولة بعد أن دجّن نابليون الكنيسة فترة من الزمن (١٨٠٠-١٨١٤). وإذ نعود إلى الإنجيل، نرى تأثير الكهنة وأصحاب التقى الذين يعارضون يسوع، وفي النهاية يحكمون عليه بالموت. أمّا الشعب، فكان يفرح حين يرى أعماله ويعجب حين يسمع كلامه، وفي كل حال يمجّد الله ويحاول التقرّب من يسوع. ولما التحق الشعب بيسوع، انزعج الفريسيّون. وقاتلوا الأعمى الذي فتح يسوع عينيه. فمثل جميع الذين تبعوا «الطريق» كما دعاهم سفر الأعمال (أع ٩: ٢٠؛ ١٩: ٢٣؛ ٢٤: ١٤)، صاروا تلاميذ يسوع ساعة لبث الفريسيّون «تلاميذ موسى» (يو ٩: ٢٨). وفي أي حال، كان موت يسوع بفعل السلطة الدينيّة، ورذْله من العالم اليهودي حتى أيامنا.

ذاك كان مصير إرميا. خافت السلطة الدينية على مكانتها، «على كرسي موسى» (مت ٢٣: ٢) واتكائها الأوّل في الولائم وعلى تسميتهم «رابي» يا معلّم، يا سيّد. لهذا هددته بالموت وفي النهاية أخفت آثاره في رمال مصر.

ع. ١: في ابتداء ملك يهوياقيم (أو: يواقيم) بن يوشيا أي حوالي سنة ٦٠٩-٦٠٨، صدر هذا الكلام. كم مرة ترد ألفاظ «كلام»، «كلمه»، «تكلّم»!. النبي هو رجل الكلمة. ونحن لا ننسى أن بعضنا «أنبياء» (١ كو ١٢: ٢٨). ومرات لا نسمع صوتهم. وأما الذين وصل كلامهم إلى أطراف الدنيا فيمجّدون الله ونحن نمجّده معهم.

ع. ٢: قف في دار بيت الرب. عند المدخل يتوقّف الناس فيكلمهم النبي. كل مدن يهوذا في اليونانيّة: كل اليهوذاويين. لا شكّ هي مناسبة عيد لكي يأتي الناس من مدن يهوذا. الكلام الذي أوصيتك أن تتكلّم به إليهم، لا تنقص كلمة. نلاحظ كل. هي رسالة من لدن الرب، هل نقتطع منها؟ وأولًا، هل يحق للنبي أن يفتحها؟ ولكن بما أنها رسالة شفهيّة، يضيف السفر: لا تنقص كلمة. ذاك ما نعمل نحن لأننا نريد أن نرضي الناس. نترك هذه العبارة جانبًا لأنها تسيء إلينا. هي وديعة بين يدينا، نسلّمها كما تسلّمناها. ذاك كان وضع يسوع في خطبة خبز الحياة (يو ٦). كلام صعب. تذمروا. أولًا من هذا الذي يتكلّم؟ «ابن يوسف، نعرف أباه وأمه» (ع. ٤٢). والتلاميذ أنفسهم تذمّروا (ع. ٦٠) والبعض «لم يعودوا يمشون معه» (ع. ٦٦). كان بإمكان يسوع أن يتراجع، أن يخفّف من وقع كلامه. كلا. لا مساومة على كلمة الله لئلّا نصبح «تجّار الكلمة». وتوجه إلى الاثني عشر، الأخصاء، الأخصاء: «ألعلّكم أنتم أيضًا تريدون أن تمضوا؟» (ع. ٦٧). هكذا أعدّ الأنبياء الطريق ليسوع على ما قالت الرسالة إلى العبرانيّين: «الله، بعدما كلّم الآباء بالأنبياء.. كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه» (عب ١: ١-٢). حياة النبي في خطر. ومثله في أيامنا الذين لا يتراجعون عن حمل الكلمة وتطبيقها في حياتهم. الهرب ممنوع، ويُحسَب خيانة. ممنوع التنازل كرامة لهذا وذاك.

ع. ٣: لعلهم يسمعون ويرجعون. هو الرب يرجو دومًا رجوع الخطاة إلى التوبة ورجوع كل واحد منا إلى طريق الرب، بحيث لا نفتح طريقًا خاصًا بنا. ويأتي التهديد (ع. ٤): إن لم تسمعوا. ويذكر النص الأنبياء الواحد بعد الآخر. حينئذ يصبح هذا البيت - هيكل أورشليم - مثل معبد شيلوه الذي أقام فيه بعض الكهنة ومنهم صموئيل. وسمع الكهنة والأنبياء وكل الشعب.

ع. ٨: هو كلام لا يُطاق، قبضوا على النبي: موتًا تموت. والسبب؟ تنبأت باسم الرب (ع. ٩). يا للخطيئة الكبيرة!. لو تنبأ باسم الملك، أو لو قال ما يقوله الملك، لكان هذا خيرًا، أمّا التكلّم باسم الله! عندئذ أتى رؤساء يهوذا (ع. ١٠).

ع. ١١: وكلّم إرميا الكهنة والأنبياء. مبدئيًا هم يحملون كلمة الله ويسعون لكي يعيشوها وهم كلّموا الرؤساء لكي يحكموا على إرميا بالموت. وذلك ما حصل ليسوع حيث الرؤساء الدينيّون طلبوا من بيلاطس أن يحكم على يسوع بالموت.

ع. ١٢: قال إرميا: «الرب أرسلني لأن أقول ما قلته عن هذا البيت. أنا نقلتُ كلام الرب. لماذا لا تنفّذونه؟ أصلحوا طرقكم وأعمالكم. عندئذ يندم الرب. أنتم تتبدلون فلا تطلبوا تحويل كلام الرب ومشروعه. النبي ضعيف. تهدّدونه، تقتلونه. ولكن احذروا من أن تسفكوا دمًا زكيًّا (ع. ١٥). وأضاف: الرب أرسلني.

ع. ١٦: أما الرؤساء والشعب فعارضوا السلطات الدينية: لا يستحقّ هذا الرجل الموت، لأنّه إنّما كلمنا باسم الرب علينا. أما بيلاطس فقال عن يسوع لرؤساء الكهنة: «قد قدّمتم إليّ هذا الإنسان كمَن يُفسد الشعب. وها أنا قد فحصتُ قدامكم ولم أجدْ في هذا الإنسان علّة بما تشكونه» (لو ٢٣: ١٤). ثم قال بيلاطس: «أيّ شرّ عمل هذا؟ إني لم أجد فيه علة للموت» (ع. ٢٢). ومع ذلك أخذه رؤساء الكهنة وصلبوه. وهكذا تمّ كلام الرب يسوع بفم استفانوس: «أيّ من الأنبياء لم يضطهده آباؤكم؟ وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار» (أع ٧: ٥٢).

ع. ١٨: وأعطي مثَل ميخا المورشتي الذي تكلّم على خراب البيت. سأل: «هل قتله قتلًا الملك حزقيا وكل يهوذا؟ ألم يخف (الملك) وجه الرب وطلب وجه الرب؟ فندم الرب عن الشرّ الذي تكلّم به عليهم»

www.christianlib.com

(ع. ١٩). ولكن الملك لم يأخذ درسًا ممّا عمله الملك حزقيا وكيف يتحاشى عمل الشرّ.

٢٦: ٢٠- ٢٤ مصير نبيّ إرميائي وها هو إنذار لإرميا. غيره تنبأ فكانت آخرته الموت. اسمه أوريا بن شمعيا (ع. ٢٠). هذا تكلّم بكل كلام إرميا. أيكون تلميذه؟ ربّما. عندئذ طلب الملك أن يقتلوه (ع. ٢١). فهرب إلى مصر. وكأنه استبق كلام الرب: «إذا اضطهدوكم في هذه المدينة، فاهربوا إلى غيرها». ولكن الهرب لم ينفع أوريا. بل أرسل الملك من أخرج أوريا من مصر إلى الملك فضربه بالسيف. وهكذا يسكت بعض كلام الله، بانتظار أن يُقتل إرميا ولا يعود نبيّ صادق يتكلّم في البلاد. ولكن إرميا نال الحماية (ع. ٢٤) بفضل أحيقام بن شافان. كان إرميا على علاقة طيبة مع شافان، سكرتير الملك يوشيا، الذي قرأ له «التوراة» التي وُجدت في الهيكل (٢ مل ٢٢: ٨- ١٤).

٣- الخلاصة

من حمل كلمة الله حمل الخطر لنفسه. وهكذا نفهم أن يكون إرميا حاول أن يتهرّب. فشابه موسى الذي قدّم العذر بعد العذر. وهو لم يسكت إلّا بعد أن غضب الله عليه: أمثل هذه المهمّة ترفض؟ ثم أعطاه أخاه هرون. وأصعب ما كان في حياة موسى هو الشعب الذي بدأ يتذمّر منذ البداية على موسى، ومن خلال موسى على الله. فكان يغضب الله، ويهدّده كما الأب (والأم) يهدّد أولاده: «ماذا نقصك يا شعبي، وما أعطيتك؟». ويعدّد الرب جميع النعم التي نالوها. ومع ذلك آلموا موسى وآلموه. وفي النهاية، بسببهم لم يدخل هو أرض الموعد ولم يدخل كلّ من قاومه في هذا الطريق.

وكذا نقول عن إرميا. والآن، رأى الموت أمام عينيه. ولكن شافان حماه. ثم إنّ الملك صدقيا كان يدافع عنه علّه يحصل منه على كلمة تعزية ولو كانت كاذبة. غير أن إرميا ليس من هؤلاء الأنبياء الكذبة الذين يريدون رضى الملك، لا رضى الله.

واليوم وكلّ يوم في تاريخ الكنيسة، يُقتَل حَمَلة كلام الله وإنجيل يسوع. ولا مجال لذكر الذين ماتوا ويموتون من أجل الشهادة ليسوع وكلمته. ويبقى لنا، ونحن «أنبياء»، أن نقول كل كلام الله، ولا ننقص منه شيئًا. وأن ننبذ الخوف ونتذكر كلام الرب: «لا تخافوا الاضطهاد، لا تخافوا ممّن يقتل الجسد»، بل خافوا من جحود إيمانكم. خافوا من التجارب التي تجعلكم تفضلون أمورًا عديدة على يسوع. عندئذ يمكن أن نهلك في النار ونكون بعيدين عن الله. فأي شقاء يوازي هذا الشقاء؟ وأيّ سعادة تساوي بولس الرسول ورفيقه: «افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضًا افرحوا». وكانا ينشدان في السجن ويردّدان مزمور ٢٧: ١ «اَلرَّبُّ نُورِي وَخَلاَصِي، مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي، مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟»

٢٧: ١- ٢٢ خضوع يهوذا لنبوخذنصر

١- المقدّمة

اعتادت مملكة يهوذا أن تتطلّع تارة إلى الجنوب، إلى مصر، التي تدعو يهوذا لكي تقاوم بابل وتكون سدًّا منيعًا في وجه هجمات الشمال، وطورًا تركع أمام الشمال، من الأشوريين حتى البابليين بانتظار الفرس. وماذا فعل الملك صدقيا (لا يهوياقيم)؟ أراد أن يتعاهد مع آخرين ليقاوموا السيطرة البابليّة. فأدرك إرميا أن هذه الثورة ستترك الدمار الكامل للبلاد. في هذه الظروف، وبواسطة فعلة رمزية، دلّ الملك على وسيلة واحدة ليبقى حيًّا هو وشعبه: الخضوع للملك والثقة بالله، سيّد التاريخ (ع. ٥). وهكذا كانت صورة النير الذي يوضع على البقر في الفلاحة بحيث تكون خاضعةً للفلّاح. فها هنا نداء إلى الواقعيّة. أما الانتفاخ والعيش في الخيال والخضوع لنصائح واهية، فكل هذا ينهي مملكة يهوذا، كما سبق وانتهت مملكة إسرَائيل.

قال يسوع: «وَأَيُّ مَلِك إِنْ ذَهَبَ (أو: يذهب) لِمُقَاتَلَةِ مَلِك آخَرَ فِي حَرْب، لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَتَشَاوَرُ (أو يطلب المشورة): هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلاَقِيَ (أو: يحارب) بِعَشَرَةِ آلاَفٍ الَّذِي يَأْتِي عَلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفًا؟ وَإِلاَّ فَمَا دَامَ ذلِكَ بَعِيدًا، يُرْسِلُ سِفَارَةً وَيَسْأَلُ مَا هُوَ لِلصُّلْحِ» (لو ١٤: ٣١- ٣٢). ونسأل: مَن استشار صدقيا ليقف في وجه الآتي من الشمال؟ أما تعلّم من التاريخ ومجيء الأشوريين إلى السامرة؟ وهل يكون البابليّون ضعفاء إلى هذا الحدّ بحيث يتكوّن حلف ضدهم؟ وفي الزمن الحديث ما الذي دفع اليابان لتضرب الأسطول الأميركي؟ هي دمّرته ولكنّها تدمّرت. وقتلت بعض الجنود ولكنّها نالت ما لم تنله دولة في العالم: القنبلة الذرية التي سقطت على هيروشيما ثم على ناغازاكي. كم يحتاج أهل السياسة إلى الحكمة وإلى التواضع ليعرفوا حجمهم ولا يطلقوا الكلام جزافًا!. كم هي الويلات التي عرفناها في هذا الشرق من اعتداد المسؤولين في كلّ ناح!.

٢- تفسير النص الكتابي

٢٧: ١- ٢٢ خضوع يهوذا لنبوخذنصر منذ البداية جعل النبي الملك والشعب أمام خيارين لا ثالث لهما: إمّا الخضوع لملك بابل وإمّا الكارثة التي لا حدّ لها.

ع. ١: نقرأ يهوياقيم. فإذا أردنا أن نعرف الموضوع، نقرأ ٢٨: ١. ولكن البحث الحديث ترك يهوياقيم وأخذنا صدقيا حسب السرياني والعربي. ثم إننا نقرأ صدقيا في ع. ١٢.

ع. ٢: هكذا قال الرب: إصنع لنفسك رُبُطًا (هو جمع ربطة) وأنيارًا (جمع نير) واجعله على عنقك. هذا ما ندعوه: الفعلة الرمزية. يكون النبي مَثَلًا للناس، ثم يرسل إلى الملوك المجاورين بيد الرسل

www.christianlib.com

(أو: السفراء) القادمين إلى أورشليم. لماذا وجود هؤلاء السفراء في هذا الوقت؟ إمّا لتهنئة الملك الجديد في أورشليم أو من أجل التشاور حول مشروع الحلف للوقوف في وجه بابل.

ع. ٥: هو فعل إيمان يقوله الله بفم النبي: أنا صنعتُ الأرض والإنسان والحيوان الذي على وجه الأرض. ذاك ما نقرأ في الفصل الأول من سفر التكوين، الذي هو نشيد ليتورجي يتلوه الكهنة في الهيكل. تبدأ الصلاة في صمت الليل. ثم يطلّ الضوء الذي خلقه الله... وفي اليوم السادس يخلق الحيوان في الصباح، والإنسان في المساء. ومن خلق شيئًا تصرّف به كما يشاء. لمن حسنَ في عيني والآن (ع. ٦). هو تحوّل من الإيمان إلى الحياة. دفعتُ هذه الأراضي بيد نبوخذنصر. في عالم الكتاب المقدس، داود كان وكيل الله. أما الملك الحقيقيّ فهو الربّ الإله. أما الآن، فيبدو أن لا وجود للملك مع هؤلاء الذين ذكرهم إرميا. إذًا، الآن، نبوخذنصر هو الملك وهو وكيل الله على الأرض. فحين لا نخضع له، نكون وكأننا لم نخضع لله. وما يصيبنا يُحسب عقابًا من الله يتمّ بيد البشر. إذًا، ضعوا هذا النير في أعناقكم.

وأنتم (ع. ٩) ممّن تسمعون. ها أنا كلمتكم. ولكنكم تحبون الاستماع إلى أنبيائكم وعرافيكم وحالميكم. نلاحظ المخاطَب الجمع: أنبيائكم، أنتم. فهم يقولون لكم ما يرضي طموحاتكم ونزواتكم. لما أراد الملك أخآب أن يمضي إلى الحرب، «فَجَمَعَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ الأَنْبِيَاءَ، نَحْوَ أَرْبَعِ مِئَةِ رَجُلٍ وَقَالَ لَهُمْ: أَأَذْهَبُ إِلَى رَامُوتَ جِلْعَادَ لِلْقِتَالِ أَمْ أَمْتَنِعُ؟» (١ مل ٢٢: ٦). وسبق الملك وقال لهم ما معناه: «راموت جلعاد هي لنا» (١ مل ٢٢: ٣) ويجب أن نأخذها. ذاك ما قال الملك وذاك ما قال الأنبياء بصوت واحد: «اصْعَدْ فَيَدْفَعَهَا السَّيِّدُ لِيَدِ الْمَلِكِ» (١ مل ٢٢: ٦). أما حليف أخآب، يهوشافاط (أو يوشافاط) ملك يهوذا، فما رضي بهذا الجواب الذي يخرج من أفواه كثيرة وكأنها فم واحد هو فم الملك. ومن يجرؤ أن يعطي جوابًا غير هذا. أنبياء يعيشون إلى مائدة الملك! إذًا، يجب أن يضربوا بسيفه. «قَالَ يَهُوشَافَاطُ: أَمَا يُوجَدُ هُنَا بَعْدُ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ فَنَسْأَلَ مِنْهُ؟» (١ مل ٢٢: ٧).

رفض أخآب الاستماع إلى هذا النبي الحقيقي: «أنا أبغضه، لأنه لا يتنبأ عليّ خيرًا (كما أريد) بل شرًا (كما يجب أن يقول باسم الرب)» ولهذا لا أريده.

هكذا هم الملوك وهؤلاء هم الذين يسمعونهم، وبعد ذلك يتعجبون من دمار بلدانهم: أنبياء كذبة: عرافون. هي صيغة المبالغة. يعرفون ما لا يعرفه سائر الناس. كم من رئيس في العالم لا يسير إلا برأي عراف أو عرافة. وأخيرًا، السحرة. كل هؤلاء يرفضهم الله. وبالتالي يجب على الملوك ألّا يسمعوهم لأنهم كذابون. وكم هم كثيرون العائشون في البلاط الملكي. ولو نعرف ما هي النصائح التي يعطونها. في أي حال، هم في خطر لأقلّ شيء.

من أراد البقاء في أرضه يخدم نبوخذنصر (ع. ١١). وإلّا ينتظره الموت (ع. ١٢) كلام إلى صدقيا: «أدخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل، يعني اخدموه، كونوا عبيدًا له، استمعوا إلى الأنبياء الكذبة (ع. ١٤). هم موجودون في كل مكان وزمان. والرب حذّر تلاميذه: «سيقوم... أنبياء كذبة» (مت ٢٤: ٢٤).

ع. ١٥: لأني لم أرسلهم. ولكن كيف نعرف النبي الحقيقي من النبي الكاذب؟ من يشهد الأمور ويعتبر أن لا خطر على الشعب، هو نبيّ كاذب يتكلّم من عنده أو هو بوق لدى معلّمه. كلمة الله لا تُكتب بماء الورد. بل هي سيف ذو حدين: تقطع، تجرح. ولكن ما حيلة الرب إذا كنا نفضل الأنبياء الكذبة لأنّها توافق أفكارنا ولا تطلب منا شيئًا. دعا الرب قضاةً (سفر القضاة) المهتمّين بالشعب. ودعا الرعاة أي الملوك. مسؤوليّتهم كبيرة والويل لهم إن تهرّبوا منها أو أرادوا أن يستغلوا القطيع لفائدتهم وفائدة أتباعهم.

ع. ١٦: كلام إلى الكهنة. ومن الكهنة إلى الشعب. ولكن شرط أن يوصل الكهنة كلام الله الذي يتأملونه، ويصلّونه. ولكن ها هي أوّل كذبة تدغدغ المخيّلة، مثل أمور كثيرة، دينية واجتماعية، بحيث يهرع الناس فيشبهون من تعلّق بحبال الهواء، ولا يعتمون أن تخيب آمالهم ويحسّوا بالإحباط.

قالوا: ها آنية بيت الرب ستردّ سريعًا من بابل. ويفرح الناس ويصفّقون ولا يُعملون الفكر. مساكين! هل هذه الآنية محفوظة في مكان آمن، بل ذوّبت واستعملت لأغراض وأغراض، كما نعتاد في هذا الشرق، فنهدم المعبد، ونبني بحجارته جدران الدعم في الطريق. فلا تبحثوا عن حجارة الكنيسة التي اعتبرتموها مقدسة، محفوظة، لم يمسّها أحد، لأنّها «وقف» للرب. وكذا نقول عن تابوت العهد. أحرق مع الهيكل ولم يعد له من وجود. ولكنّهم كانوا يصنعون «تابوتًا» كلّ مرة يعيدون بناء الهيكل. هناك أكثر من تابوت موزّعة لدى مسيحيّين، أصوليّين، يريدون أن يمسكوا الله بيدهم. أمّا الرسول فكان واضحًا: «إننا وإن عرفنا المسيح معرفة بشريّة (من لحم ودم، أي نستطيع أن نراه أو نلمسه)، إلّا أننا الآن – في زمن الرسول وفي زماننا حيث تكثر الأمور العجيبة التي تأخذ الناس إلى هنا وهناك، ولكنها كاذبة – لا نعرفه بعد». وهو الذي قال لمريم المجدليّة: لا تلمسيني، أو: لا تستطيعين بعد أن تلمسيني.

أمّا إرميا فأخذ «الكذبة» بأقوالهم. صلّوا لئلا يأخذوا من الهيكل ما بقي من آنية بعد سنة ٥٩٧. وصلّوا لئلا يفرغ القصر الملكي من الناس ومن الذهب الذي فيه.

لأنه هكذا قال الرب (ع. ١٩). بقيت أعمدة النحاس وأمور أخرى في الهيكل وفي قصر الملك صدقيا، لأنّ نبوخذنصر عفّ عنها سنة ٥٩٧ كرامة للملك الداودي. أما الآن، فلن يبقى شيءٌ، بل لن يبقى هيكل ولن تبقى قصور الملك، هي وما فيها كلّها يؤتى بها إلى

www.christianlib.com

بابل. وحين يفتقد الرب شعبه يعيدها إلى هذا الموضع. أي إلى أورشليم بانتظار بناء أسوار أورشليم وتشييد هيكل صغير لا يشبع طموح الكهنة واللاويين الذين عادوا من السبي.

٣- الخلاصة

تَعلّمنا التواضع والواقعيّة بحيث لا ننتفخ وتكون النتيجة كارثة علينا وعلى العائشين معنا.

وتَعلّمنا التنبّه إلى الأنبياء الكذبة، إلى العرافين، وما أكثرهم في هذه الأيام. ندفع لهم المال الكثير «فيضحكون» علينا ويبيعوننا الكلام الغامض الذي نفسّره بحسب نزواتنا. أجل، حيث يغيب الإيمان، نبحث عن المستقبل في هذه الترّهات، وننسى التطلّع إلى الله والاستنارة بكلامه الذي نقرأه - أو يجب أن نقرأه - كل نهار. رفقة الرب تعيد إلينا الأمل. رفقة الرب تشفي نفوسنا فنعرف الهدوء الذي عرفه إيليا حين مضى إلى جبل حوريب. ونحن نقتدي به ولا نحتاج أن نمضي إلى هذا البلد أو ذاك، إلى ذاك المعبد أو ذاك لأنّه عُرف «بظهور» لا يعرف من الظهور إلّا الاسم. فالرب معنا أينما كنّا. في بلدنا، في مكان اجتماعنا، في غرفتنا حيث نصلّي للآب السماوي في الخفية، والآب الذي يرى في الخفية يجازينا علانية، لأنه يسمعنا نناديه: «أبانا الذي في السماوات...».

٢٨: ١-١٧ حننيّا النبيّ الكذّاب

١- المقدّمة

النبيّ يتكلّم، يدعو الملك وشعبه للاهتداء إلى الرب وللخضوع. ولكن قبالة النبي الصادق الذي يقول الحقيقة ولا يهمّه رضى الناس، بل رضى الله فقط، يقف النبيّ الكاذب، الغوغائي الذي يهمّه أن يهيّج الناس لكي يمشوا معه. ولكن أين يوصلهم؟ ذاك أمر آخر. المهم أن يقول للناس ما يرغبون في سماعه، لا أن يحدّثهم عن مشروع الله في شأنهم من أجل الخلاص من الضيق. أما النبيّ الحقيقي فلا يهتمّ بما يجب عليه أن يقول. «لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ» (مت ١٠: ٢٠).

٢- تفسير النص الكتابي

٢٨: ١-٤ كلام حننيا

ع. ١: **الزمان؟** بداية حُكم صدقيا. حننيا «حنان الرب». هو النبي كما قيل عنه، من جبعون التلة القريبة من أورشليم. هو الذي بدأ الكلام. وما انتظر ما يقوله إرميا. وماذا قال حننيا؟

ع. ٢: **بدأ بعبارة تشبه عبارة إرميا.** كسرت نير ملك بابل. من أين جاء بهذا الخبر؟ هل ليمالق الشعب ويجعله ينام على حرير؟

ع. ٣: **بعد سنتين،** لا أكثر ولا أقلّ. هذه الدقة تدلّ على جهل ما نقول، إن لم يكن الكذب. هكذا في مجتمعنا اليوم. نحدّد اليوم والساعة، نطلب شهادة الذين حولنا. هذا عدا الحلف. وماذا يكون بعد سنتين؟ عودة آنية الهيكل! كلام يعارض كليًّا ما قاله إرميا في ٢٢: ٢٧ («لا يعود...»). ومع الآنية كل سبي يهوذا (ع. ٤). وعاد يقول: أكسر نير إرميا.

٢٨: ٥-١١ جواب إرميا وردّ حننيا

ع. ٥: **الكلام هو في بيت الرب،** أمام الكهنة وجميع الشعب.

ع. ٦: **قال إرميا:** آمين. يا ليت الرب يقيم كلامك!.

ع. ٧: **ولكن اسمع.** هي طريقة احتفاليّة. يا ليتك تسمعها (في أذنك) ويسمع الشعب (وفي آذان)!.

ع. ٨: **الأنبياء الذين كانوا قبلي وقبلك تنبأوا:** الحرب، الشر (أو المجاعة). الوباء. ولكن كيف نفصل بين النبي الحقيقي والنبي الكاذب؟ حين يتحقق كلام نبي يُعرف حقًا أن الرب أرسله.

ع. ١٠: وقام حننيا بعمل «يكذّب» به كلام الله. كسر النير الذي على عنق إرميا ورفض حننيا ما عمله إرميا وأعلن أنّه بقول من لدن الرب: هكذا أكسر نير نبوخذنصر بعد سنتين. ما زال حننيا على كلامه «الدقيق». وانطلق إرميا وكأنه فشل. وأتمّ حننيا هو أيضًا فعلة رمزية. فلو أن الرب أمر بها لكانت حدثت في المستقبل (٢٧: ٢). ولكن الرب سوف يكذبها حين يموت حننيا في السنة نفسها.

٢٨: ١٢-١٧ كلام إرميا في شأن حننيا

ع. ١٢: **ما تكلّم إرميا حالًا وكأنه في سورة غضب.** بل انتظر أن يرسل الله له ما يقوله. بدل أنيار الخشب ستكون أنيار من حديد (ع. ١٣).

ع. ١٤: **ستكون العبوديّة أقسى على هذه الشعوب فتُجعل على رقابها أنيارٌ من حديد.**

ع. ١٥: **وتوجّه الكلام إلى حننيا:** الرب ما أرسلك. جعلت هذا الشعب يتّكل على الكذب. لذلك سيكون عقابك كبيرًا.

ع. ١٦: **وانطلق كلام الربّ بفم إرميا** (ها أنا طاردك من وجه الأرض). وتحققت الكلمة (ع. ١٧)، شهرين بعد كلام إرميا.

٣- الخلاصة

حمل إرميا النبوءة. مؤامرة من جهة الأهل، موت أوريا وكأن فيه تحذيرًا من السلطة الدينيّة. وها هو «نبيّ» تجاه «نبي»، وفعلة رمزية تجاه فعلة رمزية. إرميا وضع النير على كتفه، وحننيا كسر النير. ولكن يتحوّل النير من خشب إلى حديد. أمام هذين «النبيّين» ماذا يفعل الكهنة، ماذا يفعل الشعب؟ لا ذاك الباقي في أورشليم

www.christianlib.com

فقط، بل ذاك الذي مضى في السبي. هو ضياع. قال لنا الرسول: ميّزوا الأرواح. ونقول: ميّزوا الأنبياء. اعرفوا أيّهما النبيّ الصادق وأيّهما النبيّ الكاذب. ولكن الرب وضع حدًا لنبيّ الكذب. أجل، الكذب على الروح القدس يكلف الموت. كما كان الأمر بالنسبة إلى حنانيا وسفيرة (أع ٥). قال بطرس لحننيا: «أنت لم تكذب على الناس، بل على الله». فلما سمع حنانيا هذا الكلام وقع ومات» (ع. ٤-٥). ربط لوقا، كاتب سفر الأعمال بين حدثين: كذب حننيا حين أخفى من ثمن الحقل، وموت حننيا الذي يكون مات لسبب من الأسباب.

٢٩: ١-٣٢ رسالة إلى أوّل المنفيّين

١- المقدّمة

في هذا المناخ من الصراع بين النبيّ الصادق والنبيّ الكاذب، بين إرميا وحننيا، بعث إرميا رسالة إلى أوّل فوج مضى إلى المنفى سنة ٥٩٧. وكان تمزُّق لدى هؤلاء المبعدين بين اليأس وبين الرجاء بعودة قريبة، وهو رجاء حرّكه أنبياء كانوا موجودين في وسط المسبيّين. فقال لهم إرميا: سيكون المنفى طويلًا. فعليهم أن يأخذوا على عاتقهم ظروف الحياة الجديدة، ويتجاوزوا تصوّرهم الوطني الضيّق والسياسي بالنسبة إلى المستقبل وإن حافظ النبي على منظار عودة لاحقة (ع. ١٠-١٤، ٣٢). دعاهم أن لا يعتبروا أن مواطنيهم الذين لبثوا في فلسطين مميّزون ويتمتّعون بحظ سعيد لا يعرفه الذين اقتُلعوا من أرضهم (ع. ١٦-٢٠). فعلى هؤلاء المنفيّين أن يقيموا في هذا الوطن الجديد (ع. ٤-٧) وينظموا حياتهم بدون أيّ خلفيّة، ويكونوا واعين بأن كلمة الرب هي لهم (ع. ٢٠). هذه الرسالة تشكّل مرحلة هامة: هي بداءة دستور لليهود الذين يعيشون في الشتات. كلّ هذا يفهمنا أن الاتصالات لم تنقطع بين المنفيين وفلسطين، بين بابل وأورشليم. وأفضل مثال على ذلك ما يصل إلى حزقيال من أخبار مع ردة فعل النبي وكلامه باسم الرب.

أربع محطات في هذه الرسالة: بعد المقدمة (٢٩: ١-٣)، المحطة الأولى (٢٩: ٤-١٥) اسكنوا حيث أنتم. والثانية (٢٩: ١٦-٢٠) عقاب للذين لبثوا في البلاد. والثالثة (٢٩: ٢١-٢٣) الحذر من الأنبياء الكذبة. والرابعة والأخيرة (٢٩: ٢٤-٣٢) عقاب شمعيا.

٢- تفسير النص الكتابي

٢٩: ١-٣ الصبر والرجاء إنّ الرب لا يتخلّى عن المعذبين والضائعين. المهم اتركوا الهوائيات القائلة إن الخلاص قريب.

ع. ١: هذا كلام الرسالة. موجهة إلى الشيوخ والكهنة والأنبياء. وأخيرًا، إلى كل الشعب. أربع فئات مضوا إلى المنفى بعد نبوخذنصر.

ع. ٢: من كان في الطليعة؟ الملك والملكة والخصيان (أي المقيمون في البلاط الملكي)...

ع. ٣: بيد ألعاسة وجمريا. هما اللذان حملا الرسالة إلى بابل. أما شافان فهو الذي حمى إرميا من غضبة الموت. وحلقيا هو الذي وجد كتاب الشريعة في الهيكل، سنة ٦٢٢ (٢ مل ٢٢). ألعاسة هو ابن شافان، وجمريا هو ابن حلقيا. هما أسرتان ملازمتان السلالة الداودية، واعتاد صدقيا أن يرسلهما إلى بابل. مضى جيل، شافان وحلقيا. وها هو جيل ثانٍ ألعاسة وجمريا، وهذا ما يدلّ على أنّ المنفى طال وطال، ولم يدم فقط سنتين كما قال حننيا (ف. ٢٨).

٢٩: ٤-١٥ ابنوا بيوتًا واسكنوا منذ القديم والقبائل تقيم في الخيام لا في البيوت. وهكذا يفعل المهجّرون اليوم وكل يوم. لا حاجة إلى البيوت، لأنّهم يعتبرون أن إقامتهم لن تكون طويلة فتكون حياتهم مزرية وينسوا إنسانيتهم فلا يعود لهم همّ سوى الطعام والشراب، والانتظار الذي يغذّيه الأنبياء الكذبة والمسؤولون الذين يتاجرون بهم. لا. قال لهم إرميا من لدن الرب (ع. ٤).

ع. ٥: ابنوا بيوتًا واسكنوا، واغرسوا جنات وكلوا ثمرها. عيشوا كما كنتم تعيشون في أرض فلسطين. تزوجوا، زوّجوا أولادكم. هكذا كثر الذين مضوا إلى مصر بسبب المجاعة. كانوا سبعين نفسًا كما أحصاهم سفر الخروج (١: ٥) حين نزلوا إلى مصر، «فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيرًا جدًا. وامتلأت الأرض منهم» (خر ١: ٧). هكذا ينبغي على المنفيّين في بابل أن يعملوا. إذًا، هم لا يشدّون أحقابهم ويحملون عصيّهم وكأنهم عائدون اليوم قبل غد. وهكذا ردّد إرميا ما قيل في أيام موسى: وأكثروا هناك ولا تقلّوا.

ع. ٧: واطلبوا السلام للمدينة. فالأقليات والمهجرون يدفعون الثمن الأوّل حين تشتعل القلاقل في البلاد. السلام للمدينة سلام للمنفيّين. وبدا النبي كأنه يطلب الصلاة من أجل دولة وقتيّة. هذا ما يذكّرنا بما قاله بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: «فَأَطْلُبُ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ، أَنْ تُقَامَ طَلِبَاتٌ وَصَلَوَاتٌ وَابْتِهَالاَتٌ وَتَشَكُّرَاتٌ لأَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ، لأَجْلِ الْمُلُوكِ وَجَمِيعِ الَّذِينَ هُمْ فِي مَنْصِبٍ، لِكَيْ نَقْضِيَ حَيَاةً مُطْمَئِنَّةً هَادِئَةً فِي كُلِّ تَقْوَى وَوَقَارٍ» (١ تي ٢: ١-٢). فلا مجال للبغض والحقد. ولا بحث عن الانتقام. كل هذا يحوّل المنفيّين إلى أهل عنف وقتل أو أهل سلب ونهب، كما اعتاد الشرق أن يفعل في زمن الحكم العثماني: يسرق الدولة لأنّها عدوّه. فهي تسرقه. أهكذا يكون المؤمنون نورًا في وسط الشعوب الوثنيّة؟!

ع. ٨: لا يغشّكم أنبياؤكم. هم مثل العرافين وحاملي الأحلام. هم لا يتكلمون باسمي. هم كذابون. وأنا ما أرسلتهم. هو كلام سيتكرّر في ع. ٣١؛ را. ٢٧: ١٥. فالانتظار يكون سبعين سنة. انتظروا. وسوف أحقّق ما وعدت به (ع. ١٠). أترى الناس

www.christianlib.com

يعرفون مشاريع الله أكثر ممّا هو يعرفها؟ (ع. ١١). وقال: عرفتُ (أو: أعددتُ) الأفكار (أو: المشاريع): مشاريع ازدهار لا شقاء. لأعطيكم آخرة (أو مستقبلاً) ورجاء.

ع. ١٢: تدعونني وتذهبون في طرق الحج. أو تتبعون سبيلي، كما قرأ الشرّاح اليهود. ثم تصلّون إليّ فأسمع لكم. ما اعتاد الرب أن يسمع شعبه وحتى نبيّه حين يصلّي من أجلهم. أما الآن فهو يسمع. ظنّوه غائبًا فإذا هو موجود في وسطهم، يكفي أن يطلبوه.

ع. ١٣: ونسمع كلمة رجاء: أرد سبيكم. أردكم من السبي وأعيدكم إلى فلسطين. فمن هناك سبيتكم. ولكن الطلب لا يكون من الخارج، بل من كلّ قلبكم.

ع. ١٤: ها قد تبدلت الأمور كليًا. تجدونني أولًا إذا طلبتموني، ثم أردّ سبيكم. هل تصدقون هذا الكلام؟ هو صعب. وربّما تسمعون كلامًا آخر: عندنا أنبياء في بابل ولا نحتاج إلى نبيّ من أورشليم.

٢٩: ١٦- ٢٠ مصير الذين لبثوا في فلسطين هؤلاء ظنوا أن الذين مضوا إلى السبي نالوا عقابهم لأنهم كانوا خطاة. ولاسيما الملك والعظماء، الذين شمت بهم الشعب بسبب الظلم الذي أحلّوه في البلاد. ولكن سيأتي دوركم: السيف والجوع والوباء (ع. ١٧) وأجعلهم كشيء رديء. هذا ما يذكرنا بسلّتَي التين.

ع. ١٩: وخطيئتهم؟ لأنّهم لم يسمعوا كلامي. أهكذا يظنّون بإخوتهم؟ لينظروا الخشبة في عيونهم. هم أيضًا نالوا قسطهم من الأنبياء، ولكنّهم لم يسمعوا لهم. فلا فئة أفضل من فئة، والذين لبثوا في البلاد لم يكونوا أفضل من الذين مضوا إلى السبي. الويل لنا حين نحسب نفوسنا أطهارًا والآخرين خطاة. كلّنا تحت الخطيئة، كما قال الرسول. وهكذا ندخل في الخلاص. ومن لا يعتبر نفسه خاطئًا يكون خارج مشروع الله الذي أغلق علينا في الخطيئة لكي ننال النعمة. «لأَنَّ اللهَ أَغْلَقَ عَلَى الْجَمِيعِ مَعًا فِي الْعِصْيَانِ، لِكَيْ يَرْحَمَ الْجَمِيعَ» (رو ١١: ٣٢).

ع. ٢٠: أما أنتم يا جميع السبي. دَرْسٌ للذين لبثوا في فلسطين، ودَرْسٌ للذين مضوا في السبي. فكلنا نحتاج أن نسمع كلام الله. كلّنا نحتاج الدعوة إلى التوبة، كلّنا بعيدون عن الله ونحتاج الرجوع إليه، يومًا بعد يوم. نحن مثل أرض يكتنفها «الشوك» سريعًا (مت ١٣: ٧) و«همُّ هذا العالم وغرور الغنى» (مت ١٣: ٢٢). فينبغي علينا أن ننقّي أرضنا من أجل الزرع الذي يعطي مئة ضعف، أن ننقّي قلبنا.

٢٩: ٢١- ٢٣ الحذر من الأنبياء الكذبة ذاك ما نبّهنا إليه الربّ يسوع أيضًا: «احْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلُ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ!» (مت ٧: ١٥). هي مهنة عدد من الناس في كل جيل. من يدفعهم إلى ذلك؟ قوى الشرّ والظلام أم السلطة السياسيّة والدينيّة؟ ويُذكر هنا اسمان: أخآب وصدقيا. اسمان هما: اسم ملك إسرَإيل، واسم آخر هو اسم ملك يهوذا. رمزيًا، هذا يدلّ على علاقتهما بأسيادهما. لا بالرب. قال الرب اللذين يتنبآن لكم باسمي بالكذب (ع. ١٥). أضحى موتُهما مثلًا: يجعلك الرب مثل صدقيا ومثل أخآب. ولو نعرف ماذا فعل بهما ملك بابل: قلاهما بالنار كما نقلي اللحم والبطاطا في المقلاة.

ع. ٢٣: مثل هؤلاء الأنبياء الكذبة يستفيدون ممّا يمارسون، لكي يزنوا بالسيدات الغنيات ويأخذوا ما لهنّ. وهذا الوضع موجود اليوم، حيث المسؤول الديني يستفيد من الديانة لمنفعته الخاصة ولإشباع شهواته. واعتبر قصاص أخآب وصدقيا نموذجًا من لدن الله بحيث يعي الآخرون ويتوقّفون عن مثل هذه الممارسات.

٢٩: ٢٤- ٣٢ عقاب شمعيا

ع. ٢٤: شمعياهو أو شمعيا. المفروض فيه، بحسب اسمه، إنّه يسمع للرب ولا يقول إلا ما وصل إليه من لدن الرب. هو سينال اللعنة لأنّه عارض رسالة إرميا وسط المنفيّين. فهو يقيم في وسطهم.

ع. ٢٥: من أجل أنّك أوصلت رسائل باسمك. لا باسم الله. تهانينا. صرتَ مكان الله، قال: قد جعلك الرب كاهنًا (ع. ٢٦). فلماذا لا تمارس كهنوتك على إرميا العناثوثي (ع. ٢٧).

ع. ٢٨: فإرميا أرسل إلينا يدعونا إلى أن نسكن بهدوء ونبني البيوت ونغرس الكروم. وهكذا وصلت الرسالة إلى إرميا (ع. ٢٩).

ع. ٣٠: ثم صار كلام الرب إلى إرميا. ما نلاحظ هنا أن إرميا لا يردّ الجواب بسرعة، بل ينتظر أن تأتي إليه كلمة الرب. وها هي أتت فكتب لأهل المنفى عن شمعيا الذي تكلّم باسم الرب مع أن الرب لم يرسله.

ع. ٣١: أما عقاب شمعيا، فهو: لا يكون له نسل، ولن يرى الخير. هكذا يجازي الرب الأخيار بالنسل إذا رضي عنهم، ويحرم منه الأشرار إن لم يسمعوا له. أما شمعيا فتكلم بعصيان (دعا إلى الثورة) على الرب. لهذا نال العقاب.

٣- الخلاصة

هذه الرسالة التي أرسلها إرميا إلى أهل السبي، كانت واضحة. فمخطط الله يمتدّ على سبعين سنة: ابنوا بيوتًا واسكنوا فيها. هم بعيدون عن أرض الرب. إذًا هم تعساء! كلا. فالرب رافق المنفيين الذين ذهبوا إلى بابل. انتظرهم على جبل الزيتون قبل أن تسقط المدينة، وسار معهم. فشعب الله لا يكون حيث البناء من حجر، بل حين يكونون حول الله يكونون الشعب الذي اختاره الرب. وبدا النبيّ كأنّه يقول: لم يعد الله في فلسطين، بل صار في المنفى، وهو يُعدّ العائشين في بابل إلى الرجوع. ونحن لا نفرض عليه الزمن. هو من

www.christianlib.com

يرتّب ويوجّه التاريخ. فمع مجيء كورش الفارسي يكون الرجوع. فلا نعجّل. فالله يأخذ وقته. المهمّ أن نسمع له، وهو يقودنا كما الوالد يقود أطفاله. فلا يحتاجون سوى إلى الثقة بأبيهم السماوي.

٣٠: ١– ٢٤ إعادة بناء الشعب

١– المقدّمة

هي دعوة الرجاء. فهذا القسم الجديد يتضمّن أقوال تعزية وإعادة بناء بعد المنفى، سواء كان الكلام على عودة قبائل الشمال الذين تشتّتوا بعد سقوط السامرة بيد الأشوريّين سنة ٧٢٢، أو على سبي مملكة يهوذا كما أنبأ بها إرميا. فبلاغ الرجاء هذا، الذي رافق شعب الله على مدّ تاريخه، يرنّ أيضًا لجميع الناس في كل زمان: لا تخف لأنّي أنا معك (ع. ٩– ١١).

أمّا ف. ٣٠– ٣١ فيقدمان سلسلة أقوال تصوّر كلّها المستقبل العجيب لشعب الله، الذي هو الآن مشتّت، معذّب. هو يعاد إلى فلسطين. إنّه المجهول الإلهي، الله يعيده، فيتجمع حول صهيون (٣١: ٨، ١٢) في ظروف تجدّدت كلّ التجدد. وأقدم هذه الأقوال أعلنت إلى إسرَإيل الشمال (أو إلى أفرايم، ٣١: ٥– ٦، ١٨، ٢٠). أفرايم هو «بكر الله» ونسل راحيل بواسطة يوسف (٣١: ١٥) إلى الراغبين بالعودة إلى السامرة. هذه الأقوال تتوازى مع ٣: ١١– ١٨ وتعود، ربما، إلى بداية مهمّة إرميا.

وبعد دمار أورشليم، أعيدت قراءة هذه الأقوال بالنظر إلى الوضع الجديد، وطبّقت على يهوذا (٣٠: ٣– ٤، ١٧؛ ٣: ٢٣– ٢٧، ٣١) واغتنت ببعض العناصر الجديدة (٣١: ٣٨– ٤٠)، فبدت قريبة ممّا نقرأ في إش ٤: ٥٥ (را. ٣٠: ١٠؛ ٣١: ١٠). لا تُبرز هذه الأقوال فقط طابع الألم الذي لا يمكن تجنّبه والذي يشكل التربية الضرورية (٣٠: ١١، ١٤؛ ٣١: ١٨) للشعب العاصي (٣٠: ١٤– ١٥؛ ٣١: ١٩، ٣٢، ٣٧)، بل أيضًا وفرة محبّة الله (٣١: ٣، ٢٠، ٣٢) والنعمة التي ستزرع مشيئة الله في عمق أعماق الإنسان (٣١: ٣١– ٣٤).

في ٣٠: ١– ٤ هي المقدمة. والقول الأول يذكّر الناس بالعقاب الذي حلّ بهم (ع. ٥– ٧) والقول الثاني يرسلنا إلى ذلك اليوم، فيتحدث عن التحرير من العبوديّة إلى خدمة الله. وفي ع. ١٠– ١٧: الجرح هو من أجل الشفاء. وأخيرًا، تجديد شعب الرب (ع. ١٨– ٢٤).

٢– تفسير النص الكتابي

٣٠: ١– ٤ المقدمة

ع. ١: أمر الرب إرميا: اكتب كل الكلام الذي تكلّمت به إليك، في سفر، في كتاب. فهنا كما في ٣٦: ٢، أُمر إرميا بأن يدوّن كلمات الله. كانت مقدمة تدوينيّة في ع. ١– ٣، وضعها هنا جامعُ الأقوال في «كتاب التعزيات» (ف. ٣٠– ٣١). أما المقدمة الأولى لهذا الفصل فنقرأها في ٣٠: ٤: فهذا هو الكلام الذي تكلّم به الرب عن (مملكة) إسرَإيل وعن (مملكة) يهوذا. فالنبي لا يمكن أن يتخلّى عن مملكة إسرَإيل، أو ما تبقّى منها. ثم إن كل كلام موجّه إلى إسرَإيل، يجب أن يصل إلى يهوذا ليكون درسًا لها، بحيث لا يصيبها ما أصاب أختها.

٣٠: ٥– ٧ صوت ارتعاد سمعنا

ع. ٥: هنا يذكّر النبي الشعب بما نال من عقاب. فالعودة إلى الماضي ضروريّة لكي نصل إلى الحاضر. أولًا نتوب على خطايانا ثم نتعلّم ممّا حصل. في هذه الآيات (ع. ٥– ٧) يستذكر النبيّ بشكل إجماليّ «اليوم العظيم»، يوم العقاب (ع. ٧). وهكذا تفسّر النبوءة الوضع المزري لمملكة الشمال منذ تشتّتها سنة ٧٢٢. أما «آلام الولادة»، فهي المقدمة الضروريّة لإعادة البناء (را. ع. ١٢– ١٧؛ ٢٣: ١٩).

هو الصراخ من كل جهة. والرعدة. الخوف والرعدة ولا وجود للسلام. تطوّرت الأمور من سيّء إلى أسوأ.

ع. ٦: الوجع. مثل امرأة تستعدّ لأن تلد. وتحوّل كل وجه إلى صفرة. اصفرار الوجه بفعل الخوف. لم يبقَ لون في الوجوه.

ع. ٧: اليوم العظيم. هو تلميح إلى «يوم الرب». وهذا اليوم المجيد لظهور الرب تحيط به القوى السماوية. هو يوم تيوفانيا – تجلّي الله – الذي يأتي بعده كلّ ما يتوافق مع قداسة الرب (را. يو، ١: ١٥؛ ٢: ١؛ عا ٥: ١٨؛ صف ١: ١٤– ١٨). هو وقت ضيق. هذا ما لا شكّ فيه، ولكن الأفق مفتوح على الرجاء. ولكنّه سيخلّص منه. أجل، الكلمة الأخيرة هي للخلاص لا للهلاك، للحياة لا للموت.

٣٠: ٨– ٩ في ذلك اليوم عبارة ذلك اليوم تجعل المؤمنين ينتظرون ما يعد به الله. لا يريدنا الرب أن نسجن نفوسنا في الحاضر، كمن يراوح مكانه. ويعرف أن العودة إلى الماضي نظرة إلى الموت. لهذا فهو يدفعنا إلى المستقبل: انظروا ماذا سوف يعمل الله. أكسر النير عن عنقك. هذا الذي وضعه نبوخذنصر. وهكذا تكون حرًا. وإن كان من عبادة فللرب، لا للأصنام ولا للعظماء، وإن كان من خدمة فللرب وحده. والملك يكون شبيهًا بداود. عندئذ يعطي الرب شعبه، في الوقت الذي يحدّده، الحرية الحقة (إش ١٠: ٢٧؛ نا ١: ١٣).

٣٠: ١٠– ٧ الجرح والشفاء

ع. ١٠: وأما أنت يا عبدي. هنا نلتقي مع إش ٤٤: ٢. نتذكر أن العبد ليس كما نعرف. هو صنعة الله وعمل يديه. وعبد الملك هو

www.christianlib.com

الوزير الأوّل وهو يلتصق بسيّده. أخلصك. ولا أميتك. فتبقى البقية الباقية مهما كانت الحرب عنيفة (ع. ١١).

ع. ١٢: **كسرك عديم الجبر، وجرحك عضال**. إذا انكسرت اليد «تجبّر». يوضع الجفصين (الجبس) عليها. ولكن هنا لا دواء لكسرك أو للكارثة التي حلّت بك. وجرحك لا سبيل إلى شفائه. هي حالة ميؤوسة يعيشها الشعب بعد ما حصل الذي حصل للمدينة المقدسة. لا عقاقير، لا أدوية ناجعة (ع. ١٣).

ع. ١٤: **كل محبّيك**. أولًا الحلفاء (٢٢: ٢٠). كل بلد تدبّر أمره وخضع. محبّوك هم أيضًا أصنامك. وأولهم بعل. ونتذكر أن كل ما حصل للشعب سببه الأوّل هو الله. والباقي يأتي في الدرجة الثانية، والله فعل ذلك بسبب إثمك وخطاياك (ع. ١٥).

ع. ١٦: **والآن انقلبت الأمور** ونال الأشرار عقابهم. وأنت اليوم في طور النقاهة. أشفيك من جروحك (ع. ١٧).

٣٠: ١٨– ٢٤ تجديد شعب الرب

ع. ١٨: **هكذا قال الرب**. وهو حين يقول يُتمّ ما قال. الخيام، المساكن، المدينة أي أورشليم، القصر. كل هذا يعاد بناؤه أجمل ممّا كان.

ع. ١٩: **الحمد وصوت اللاعبين**. هو مناخ العيد. ينشدون، يرقصون (ع. ٢٠).

ع. ٢١: **ويكون حاكمهم** لا حاكمًا غريبًا، بل من بينهم. والأفضل أن يكون من نسل داود. أقرّبه فيدنو إليّ. وحين يكون «الملك» قريبًا من الله، فمن يجرؤ أن يمسّه. أما هو فلا يخاف الاقتراب من الله وإن كان نارًا آكلة.

ع. ٢٢: **وتكونون لي شعبًا وأنا أكون لكم إلهًا**. وهكذا عاد الشعب إلى أيام الأعراس والحبّ.

ع. ٢٣: **زوبعة الرب**، العاصفة، الرياح على الأشرار... هو يفعل. أما الآن فلا ترونها. ولكن في آخر الأيّام تفهمونها. أمور عديدة لا نفهمها في الحال، ولكن فيما بعد. من هنا أهمية الانتظار. هكذا فعل يونان، جلس على التلة ليرى ماذا يحدث للمدينة بعد أن دعاها إلى التوبة (يون ٤: ٥).

٣– الخلاصة

هي جلسة حميمة بين الله وشعبه. حدّثوه عن العقاب الذي حلّ بهم. سألوه: ماذا عملت لنا في هذه الحالة؟ وكان الجواب: عملتُ كلّ واحد منكم. عنده العقل والفهم والتمييز والمهارة. لا تنتظروا مني أن أعمل بيدي. بل أن أعمل بيدكم. أحرّكها كما هي تحرّك المنشار وأتكلّم بفمكم وأترككم تمضون فتعزّون الأرامل وتشجّعون اليتامى وتدعونهم للنظر إلى الأمام.

جُرحنا، وكاد ينفد دمنا، تأخرت، قال: أنا لا أتأخر. وما يستحيل جبره من كسر وضماده من جرح، لا يكون مستحيلًا على الرب الإله. استعدّوا لبناء ما تهدّم من بيوت، ولغرس ما قُطع من أشجار. وهكذا يعود كل شيء إلى ما كان قبل الكارثة. فالله لا يتوقف عن العمل، على ما قال يسوع عن أبيه السماوي: أبي يعمل دائمًا وأنا أعمل. فضع يدك بيده وانتظر ما يكون من عملك برفقة الرب.

٣١: ١– ٤٠ الوعد بالسعادة

١– المقدّمة

كانت مملكة الشمال في السبي بيد أشور، وها هي تتوجّه نحو إلهها (ع. ١٨– ١٩) فيعلن النبيّ بكلام كلّه عاطفة، وقريب من إشعياء (ف. ٤٠– ٥٥): عودة السعادة وعلامة جديدة من الحبّ مع الله (٣: ٢٠). كان ذاك أول قسم (٣١: ١– ٢): وعد بالسعادة لمملكة الشمال. وكما عادت السعادة إلى السامرة رجعت إلى أورشليم (٣١: ٢٣– ٣٠). فحبّ الله يتجلّى لشعبه في العقاب كما في البناء (ع. ٢٨). والإنسان، كل إنسان، مدعوّ إلى الاهتداء (ع. ٢٩– ٣٠). هنا ذروة في سفر إرميا تشير إلى انفتاح حقيقي على الخلاص، يغدقه الله على شعبه بتدمير الدولة الملكيّة: فلا يُعاش بعد الآن العهدُ وقيَمُه في قلب ديانة وطنيّة، ولكن في علاقة شخصيّة مع الله. تكون في داخل قلب كل واحد منا (ع. ٣٣)، وتؤسّس علاقة أخوية في قلب الجماعة (٣٢: ٣٩). ويُدرَك ثبات الطبيعة كرمزٍ وكفالة لأمانة الله على عهده (ع. ٣٥– ٣٧).

٢– تفسير النص الكتابي

٣١: ١– ٢٢ وعد بالسعادة هُجّر الشعب ومضى إلى المنفى، وها هو يعود.

٣١: ١– ٦ أولًا: السكن في الأرض

ع. ١: **أكون إلهًا لكل عشائر إسرَائيل**. هي مملكة الشمال. يعود إليها الرب، وهي تعود إليه. وهم يكونون لي شعبًا. ما هذا الإيمان العميق عند الأنبياء. مضى على دمار السامرة وتهجير أهلها قرنٌ من الزمن، فكيف يجتمع أبناؤها في أرض سيطر عليها الغرباء الذين أتى بهم الأشوريون ليبدّلوا هوية المملكة وعاصمتها. وإيمان حزقيال لا يفترق عن إيمان إرميا. أضحى الشعب مثل عظام يابسة في السهل. ومع ذلك، يناديها النبي بقوة الروح «وَقَامُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا» (حز ٣٧: ١٠).

ع. ٢: **الشعب الباقي من السيف**. هو في البرية كما كان مع موسى في مسيرة الخروج. ومن بعيد ظهر الرب لشعبه، لعروسه. وسمعت صوته: محبّة أبدية أحببتكِ (ع. ٣). لا محبّة موقّتة.

www.christianlib.com

وانطلاقًا من هذه المحبّة، اجتذبها الرب إليه. هي المحبّة والرحمة.

ع. ٤: أبنيك فتُبنيَن. يكفي أن يتكلم الله ليتمّ قصده. يا عذراء إسرَإيل. في تك ٢: ٢٢ نقرأ فعل «بنى» أي بنى الله المرأة من إحدى أضلاع آدم. وههنا يبني عذراء إسرَإيل ليجعل منها المرأة الكاملة. وهذا ما يعمله حين يعيد بناء الأرض.

ع. ٥: **بعد البناء الغرس.** على جبال السامرة. أبناؤك يغرسون وأبناؤهم يقطفون.

ع. ٦: **وها هم يجتمعون على جبل أفرايم ليمضوا إلى صهيون.** على ما قرأنا في إش ٢: ٣: «هلمّ نصعد إلى جبل الرب».

٣١: ٧– ١٤ ثانيًا: صعود الرب إلى صهيون مع شعبه

ع. ٧: **خلّصْ يا ربّ.** كذا في اليونانيّة، في صيغة الأمر. في العبريّة في صيغة الماضي: الرب خلّصَ شعبه.

ع. ٨: **آتي بهم من أرض الشمال.** ما من أحد يستطيع أن يمشي. ومع أن المسافة بعيدة فالرب يحملهم من أطراف الأرض. أما البكاء فبكاء الفرح (ع. ٩). وبالتضرعات، أي هم يتضرعون، يطلبون النور لأنهم أضلّوا الطريق. أقودهم، كما كنت أقود الشعب الأوّل في البريّة. وهنا، لا بواسطة الغمام والنار، في النهار والليل، بل بيده. لا في الصحراء، بل في واد. في أنهار ماء، وفي طريق مستقيمة بحيث لا يعثرون. وتأتي الكلمة الأساسيّة. صرت أبًا لإسرَإيل (المملكة التي ضاعت) وفي تواز مع إسرَإيل أفرايم هو بكري، هو ابني البكر. وكأنّه يمرّ قبل يهوذا. لأنّه يحتاج إلى الخلاص قبل يهوذا، لأنّه تشتّت ولا بدّ من أب يهتم به كما الأب (أو الأم) بأولاده.

ع. ١٠: **وأُعلن بلاغٌ رسمي:** أعاد الرب بناء مملكة إسرَإيل. هي دعوة الى الأمم ليوصلوا الخبر إلى الجزائر (أي البلدان الواقعة على شاطئ البحر) البعيدة. عملان قام بهما الرب: بدّد ثم حرس كما الراعي يحرس خرافه. وبعد ذلك فدى أو افتدى كما يُفتدى الأسير أو العبد ممّن يمتلكه (ع. ١١).

ع. ١٢: **فيأتون** (ف. يصلون من البعيد) وهم يرنّمون في مرتفع صهيون. في التلة المقدسة، التي يصونها الرب ويحميها: الخيرات أمامهم بعد الجوع الذي عرفوه في المنفى. لا يعودون يذوبون. العذراء أو بالأحرى صيغة الجمع: العذارى مع الشبان والشيوخ. لا مجال للنوح، بل للطرب، لا مجال للحزن، بل للفرح (ع. ١٣) هو الخير في كل مكان، من الكهنة إلى بقيّة الشعب.

٣١: ١٥– ٢٢ ثالثًا: من البكاء إلى العزاء

ع. ١٥: **سُمع صوت في الرامة.** ذاك كان الوضع حين مضى الشعب إلى المنفى هو البكاء. أما راحيل فتمثل يوسف بالقبيلتين: أفرايم ومنسى. فالأم تمثل الشعب. استعاد مت ٢: ١٦ هذا العدد حين تكلم عن مقتل أطفال بيت لحم، علّ هيرودوس يقتل ذاك الملك الذي جاء المجوس من البعيد ليعبدوه. فإنّها كلمة قيلت في زمن إرميا، واستعيدت مع طفولة يسوع، ونحن نستطيع أن نقرأها اليوم أمام كل كارثة. ولكن لا نبقى في البكاء والعويل. بل ننتظر في كل آن تعزية الرب.

ع. ١٦: **امنعي صوتك من البكاء.** يكفي ما بكيت. هناك جزاء لعملك أي لتعبك وشقائك. مضيتِ وأنتِ تبكين. تعودين وأنتِ تنشدين. فالذين مضوا إلى أرض عدو يرجعون. فأرض الربّ تجتذب أبناءها. ذاك ما نعيشه اليوم. هل نهرب ونهرب ولا نعود، أم نتمسك بأرض الأجداد، خصوصًا إذا كان عمرها آلاف السنين قبل زمن المسيح، وتبعت المسيح منذ العنصرة وتحمّلت الاضطهادات ثلاثة قرون من الزمن وثبتت. ما لها اليوم تركت جذورها وراحت تغرس نفسها في أمكنة أخرى. يا ليتها تكون شاهدة للمسيح أينما تكون، بحيث لا تترك إيمانها مع أرضها.

ع. ١٨: **أفرايم** ماذا كان من قبل؟ عجل غير مروّض. يرفض كل يد تريد أن تمسكه، تقوده. ولكن طاعة الرب تبدو صعبة عليه، وكأنّ صراعًا يتحرّك في داخله، فيطلب: قوِّني، أمسك بيدي وأوصلني إلى التوبة، وعندها أتوب. أنت الرب إلهي. ولكن أين البعل وسائر الآلهة التي تعلّقتم بها؟ والآن هي التوبة وقرع الصدور والتأسف على الماضي (ع. ١٩).

ع. ١٠: **اعترف أفرايم بخطاياه فغفر له الرب إثمه،** وأعاده إلى البيت الوالدي: أفرايم ابن عزيز لي أو ولدٌ مسرّ. وله مسرّتي ورضاي. لا أريد أن أذكر اسمه من بعد لأنّه تركني وابتعد. ولكن اسمه لا يبرح من فمي. نحن نعتبر أننا نحبّ الله. ولكن محبة الله لنا لا حدود لها. كدت أقول: يموت فينا. بل هو مات من أجلنا في شخص ابنه يسوع. نريد الرجوع إليه. ولكنه يشتاق ويشتاق إلى رجوعنا. حنّت أحشائي إليه. هو حنان الأم وأحشاؤها. وهكذا نعرف أن الله أب، وهو أب وأم معًا. رحمةً أرحمه. أرحمه كثيرًا. ونستطيع القول: أرحمه! أرحمه. أحبّه، أحبّه. ماذا نريد بعد ذلك من الرب سوى الارتماء في حضنه كما الولد في حضن أمّه، فنقابله الحبّ بالحبّ.

ع. ٢١: **ارجعي يا عذراء إسرَإيل.** عدتِ كما كنت في البدء مثل حواء أمّك حين خرجت من يد الله. فها هو الرب يناديك. لماذا لا ترجعين بسرعة؟ أما زلتِ تحنّين إلى أصنامك كما كان العبرانيّون يحنّون إلى مصر بعد أن تركوها. هي المرتدّة تتطلّع إلى الوراء.

ع. ٢٢: **الرب خلق شيئًا جديدًا. أنثى،** شعب الله. تحيط برجل، أي تطلب حمايته وحبّه. والرجل هنا هو الرب. وأما في الماضي، فكان الرب، الرجل، يطلب الأنثى أي عذراء إسرَإيل، ابتعد عنها

www.christianlib.com

وراحت تطلبه مثل عروس نشيد الأناشيد: «أَقُومُ وَأَطُوفُ فِي الْمَدِينَةِ، فِي الأَسْوَاقِ وَفِي الشَّوَارِعِ، أَطْلُبُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي» (نش ٣: ٢). وهذا مَا تفعله الآن عَذراء إسرَائِيل.

٣١: ٢٣- ٣٠ إعادة البناء

ع. ٢٣: هكذا قال الرب. كل محاولات الرب ليجمع المؤمنين لا تصل إلى نهايتها بسبب أنانية الإنسان وكبريائه. بكبرياء انفصلت مملكة الشمال عن داود وسليمان. وها هو الرب ينظر إلى جمع المملكتين معًا. ثم هو انفصال بين أورشليم ومدن يهوذا، بين الجبل المقدس أورشليم بتلة صهيون، ومسكن البرّ والحياة برضى الله، وبين يهوذا. وكان انفصال منذ الزمن القديم بين الفلّاحين - قايين - ورعاة الغنم - هابيل. أما الآن فيسكنون معًا (ع. ٢٤).

وما قيل هناك يقال عن بداية الكنيسة: انفصال بين اليهود الذين يتكلّمون الآرامية والذين يتكلّمون اليونانيّة، فأُعطي الرسل الاثنا عشر للفئة الأولى، والخدام السبعة لليونانيين الذين كان أوّلهم استفانوس. كان الرسل بأمان، يبشّرون في الهيكل (أع ٦: ٤٢). أما السبعة فنالهم «الاضطهاد» بحيث تشتّتوا فوصلوا إلى قبرص وأنطاكية (أع ٨: ١). وانقسم العالم البيزنطي عن العالم السرياني والقبطي، بانتظار الأرثوذكسيّة والكثلكة، وبانتظار البروتستانتية والكثلكة. وهذا مع أن الرب قال في صلاته الأخيرة: «ليكونوا واحدًا كما نحن واحد». وإن كنا نرى وحدة الكنائس بعيدة بسبب الكبرياء والاعتداد بالنفس بأن كل طائفة هي وحدها المستقيمة الإيمان، فلماذا لا نعيش الاتحاد داخل جماعاتنا وفي علاقاتنا مع جماعة أخرى لكي تكون الكنيسة شاهدةً حقًا للمسيح.

ع. ٢٦: على ذلك استيقظت ونظرتُ ولذّ لي نومي. هو النبيّ يتكلّم. وهو في حلم. فرح. وصل إليه وحي حول مستقبل يهوذا العجيب. فتذكر أن الرب يتكلّم أيضًا في حلم الليل. وهنا أيضًا فضيلة التمييز. ما هو حقيقة من عند الله، وما هو شرّ مات. شرّ في النهار وامتدَّ إلى الليل. هذا يعني أننا أمام نظام جديد وبرّ (وعدالة) جديد.

ع. ٢٧: وها أيام تأتي. هو المستقبل. والرب يزرع الناس والبهائم وكأني به يخلقهم من جديد، كما عمل في اليوم السادس من الخلق (تك ١). وبعد الغرس البناء. هو سهر الرب كما سهر من أجل القلع والهدم. إنه سيّد التاريخ، كما قال الكتاب: يميت ويحيي. كل شيء هو في يده.

ع. ٢٩: وها هو تعليم آخر، يتشارك فيه إرميا وحزقيال. كان الناس يقولون: الآباء أكلوا حصرمًا (أو: الحصرم) وأسنان البنين ضرست، أي نالها الفساد. هي طريقة نتهرب بها من الخطيئة التي اقترفنا ومن العقاب الذي ينتظرنا. فأبناء يهوذا الذين مضوا إلى المنفى اعتبروا أنهم يدفعون عن خطايا آبائهم (ع. ٢٩: حز ١٨: ٢). قد يكون الأمر هكذا، بحسب إرميا، وحسب التقليد (حز ٢٠: ٥؛ ٣٤: ٧). ولكنه يعلن أن كل عقاب جماعي يُلغَى في المستقبل أو ربما يتأخر. أما حزقيال فراح أبعد من إرميا: لا تكون المجازاة إلا فردية (حز ١٨). فقال إرميا: «كل واحد يموت بذنبه» (ع. ٣٠).

٣١: ٣١- ٣٤ عهد جديد العهد الجديد الذي سيقيمه الرب، بعد أن يكون غفر بسلطانه السامي (ع. ٣٢ ب) نقض للعهد القديم (ع. ٣٤). لا يقوم فقط في تحويل توجيهات أعطيت في سيناء والتزامات أُخذت في ذلك الوقت، ولا هي شعائر عبادة محض روحية، جديدة، بل يقوم بالأحرى هذا العهد بأن التوجيهات والالتزامات الماضية تتسجل منذ الآن في داخلهم. في كائن الإنسان الحميم (إش ٤٨: ١٧؛ ٥١: ٧؛ ٥٤: ١٣؛ ٥٥: ٣... وما يليه). هو خلق جديد للإنسان، بحيث أن كل واحد لا يعلّمه آخرون. بل هو يعرف مشيئة الله ويتمّمها (زك ١٣: ٩). وخلال العشاء الرباني، عربون تتمة العهد الجديد، عاد يسوع إلى هذه النبوءة (لو ٢٢: ٣٠؛ ١ كو ١١: ٢٥). أما ع. ٣١- ٣٤، فيردان في الرسالة إلى العبرانيّين (عب ٨: ٨- ١٢) في توسّع على العهد الجديد.

ع. ٣١: وها أيام تأتي. هو عهد مع بيت إسرَائِيل وبيت يهوذا. نشير هنا إلى أن القراءة الأخيرة ضمّت الجماعتين في جماعة واحدة. وهكذا يكون مختلفًا عن العهد الذي قطعه الرب مع الآباء. هم نقضوا العهد، أما الربّ فلا. هو أب ويهمّه أمر أولاده. فأنا وإن تركت الرب فالرب لا يتركني، بل يمضي يبحث عنّي.

ع. ٣٤: لا حاجة إلى التعليم بعد، والأنبياء الكذبة - وحاملو الأخبار الملفّقة كثيرون. كلّهم يعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم. كم من المعلمين يمرون في شوارعنا ويدخلون بيوتنا! هل نحن من الجهل بحيث نحتاج أن نسمع هذا وذاك فيقودونا إلى الشرق أو إلى الغرب؟

٣١: ٣٥- ٤٠ ثالثًا: الرب يتعلّق بشعبه

تعلّق الرب بشعبه. وما من قوّة قادرة أن تفصله. لأنّه الرب القدير (ع. ٣٥). فهو من ثبّت الشمس والقمر والكواكب، وأوقف البحر وأمواجه. اسمه ربّ الجنود، أو بالأحرى: ربّ الأكوان. وأما النص اليوناني (السبعينية) فيقول: الربّ القدير. ثم، هل أراد العقل البشري أن يلامس وسع الكون أو يتبارى معه (ع. ٣٧). وكما الرب يحافظ على الكون، كذلك هو يحافظ على شعبه. لا يرفضه من أجل كل ما عملوا أي كل ما عمل الآباء.

وكما تعلّق الرب بشعبه لا يتحرّك ولا يتبدّل، كذلك المدينة المقدسة تكون بعد أن يبنيها الرب من برا. حننئيل (را. نح ٣: ١) (الله الحنون) إلى باب الزاوية (را. ٢ مل ١٤: ٣) الواقعة إلى الشمال

www.christianlib.com

الغربي من المدينة.

ع. ٣٩: **ويخرج خيط القياس.** وهكذا يحدّد الرب المدينة المقدسة وما يحيط بها: كلّها قدس للرب. أو مكان مقدس. لا مجال للاقتلاع ولا مجال للهدم لأنّ الربّ بناها وهو يحافظ عليها.

٣- الخلاصة

يمثل ف. ٣١ ذروة في سفر إرميا مع تعليم سام جدًا. أولًا، وحدة الشعبين ولا مجال لفصل يهوذا عن إسرَإيل، ولو حاول الإنسان أن يقاوم مخطّط الرب. والمملكتان تنطلقان معًا إلى أورشليم كما في تطواف وهما تنشدان الربّ القدير. لا مجال بعدُ للبكاء، فالرب عزّى شعبه، كما قال سفر إشعياء في بداية القسم الثاني: «عزوا عزوا شعبي» أو ساعدوه لكي يتنفس الصعداء بعد حياة من الذلّ دامت سبعين سنة. وهكذا كان لبلدان عديدة أن يجدوا عزاء بعد فترة من الحرب طالت أو قصرت. ثم «طيّبوا قلب أورشليم»، اجعلوا الطيب على قلبه بعد المرارة التي سيطرت عليه.

كل إنسان مسؤول عن نفسه، سواء كانت أعماله شرًّا أم خيرًا. هو لا يستطيع أن يتهرّب بعد اليوم من موقعه في الجماعة، بعد أن دخل في نظام جديد، حيث تتوجّه عدالة الله إلى كل إنسان بمفرده. وما مضى من عهد بدأ في سيناء، لم يعد مكتوبًا على الحجر، بل غدا مكتوبًا في القلوب. لا حاجة أن نتعلّم بعد اليوم، فالرب يحفر كلامه فينا، صغارًا كنا أم كبارًا. وهذا يوصلنا إلى يسوع الذي يحمل إلينا كل ما وصل إليه من أبيه. لا سرّ مخفيًّا على المؤمنين. فكل شيء يُعلَن لا في الخفايا، بل على السطوح. ويعرف المؤمنون أنهم يقدرون أن يستندوا إلى الرب خالق السماوات والأرض. هذا يعني أن كلّ تطلّع إلى الوراء يعني التفاتًا إلى الأصنام وإلى كل ما يبعدنا عن الله. فنكون مثل النسور التي لا تتوقف عند «جثة» عند بناء تهدم أو احترق (مت ٢٤: ١٨). فالنسور تنظر إلى البعيد ومؤمنو الرب أيضًا، لا يتوقّفون في اليهوديّة والسامرة، بل يصلون إلى أقاصي الأرض (أع ١: ٨).

٣٢: ١- ٤٤ إرميا يشتري حقلًا

١- المقدّمة

حين يتكلّم الله أو نبيّه بعد أن يباركه الله في المستقبل، يقدمان أمرًا قريبًا يكون استعدادًا للعطيّة الكبيرة. تحدّث الرب في ف. ٣١ على إعادة بناء يهوذا. ولكن المسافة بين القول النبوي وتحقيقه في الحياة واسعة. لهذا طلب الرب من نبيّه أن يقوم بفعلة نبويّة: أن يشتري حقلًا في عناثوث، مع أن الحرب في أشدّها والدمار على الأبواب. فنحن نعرف أنه في الحرب، لا يكون بيع ولا شراء. كل الأعمال تكون جامدة. أما إرميا، وبدفْع من الرب، فعمل عكس ما يُعمَل في هذه الحالة، بحيث يلفت أنظار الشعب إلى ما ينتظرهم من عودة الأمور إلى حالتها الطبيعية: تعودون إلى الغرس وإلى البناء، مهما كان الدمار كبيرًا والخراب واسعًا.

في قلب حصار مطبق على أورشليم (٥٨٨- ٥٨٦)، دُعيَ إرميا ليقوم بعمل تجاريّ لا معنى له. فيكون كمن يرمي ماله في البحر: أجبر أحد أقاربه، ولأسباب نجهلها، أن يبيع قطعة أرض. وبما أن إرميا هو قريب، فله الحق وعليه الواجب أن يفتدي هذه الأرض بحيث لا تذهب إلى خارج القبيلة. مثل هذا العمل ليس فقط قضيّة شخصيّة أو بين الأقارب، بل هو عنصر من عناصر الكرازة النبويّة. فهذا العمل الرمزي هو قول خلاص: فبالرغم من الزمن الصعب الذي تعيشه يهوذا، فالحياة ستعود إلى وضعها العادي وبشكل مبكر.

ثلاث محطات في هذا الفصل. إرميا يشتري الحقل (٣٢: ١ - ١٥)، ثم صلاة إرميا (٣٢: ١٦- ٢٥، وأخيرًا (٣٢: ٢٦ - ٤٤) كلام الرب إلى إرميا.

٢- تفسير النص الكتابي

٣٢: ١- ١٥ شراء الحقل

٣٢: ١- ٥ أولًا: وضع المدينة

ع. ١: **تحديد الزمان الذي فيه تمّ الشراء**: السنة العاشرة لصدقيا، أي سنة ٥٨٨- ٥٨٧، هذا يعني أن الاستسلام قريب والدخول إلى المدينة المقدسة صار على الأبواب.

ع. ٢: **جيش ملك بابل يحاصر أورشليم.** وإرميا كان «محاصرًا» أي كان محبوسًا في دار السجن. السبب: لأنّه تنبأ على المدينة (ع. ٣). وعاد النبي يقول ما سبق وقاله، وكأنّه يحذّر صدقيا ممّا ينتظره وينتظر شعبه. يُدفَع صدقيا إلى ملك بابل ويكلّمه فما بفم، وعيناه- عينا صدقيا- تريان عينيه- عيني ملك بابل. إذًا، لا حاجة إلى المقاومة.

٣٢: ٦- ١٥ ثانيًا: خبر إرميا

ع. ٦: **فقال إرميا... سيأتي عمُّك:** إشترِ لنفسك حقلي. هو في عناثوث. عرف إرميا أن ما يُطلَب منه هو من لدن الرب.

ع. ٩: **فاشتريت الحقل** وأعطيت الصك لباروخ. وهكذا تمّت كلمة الرب: يشترون بعد بيوتًا وحقولًا وكرومًا. هذا يعني أن الحياة ستعود إلى طبيعتها في البيع والشراء (ع. ١٥).

٣٢: ١٦- ٢٥ صلاة إرميا

ع. ١٦: **وصلّ إلى الرب.** تذكير الكتاب المقدس من الخلق

www.christianlib.com

«صنعت السماوات» (ع. ١٧) إلى الخلاص الذي بدأ في مسيرة الخروج وعبور البحر، وصولًا إلى الزمن الملكي، حيث أداروا للرب ظهورهم لا وجوههم، لأنّهم كانوا ينظرون إلى المرتفعات وما عليها من معابد ومن أصنام وحرق بخور.

٣٢: ٢٦- ٤٤ كلمة الرب إلى إرميا

ع. ٢٦: هو حكم على المدينة، لأن بني إسرَإيل صنعوا الشرّ، هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم. وأكبر خطيئة: حرق الأطفال بالنار من أجل مولك أو مولوخ، إله العمونيين.

ع. ٣٦: والآن، لذلك قال الرب. بعد الذي حصل للمدينة ما حصل بالسيف والجوع والوباء، من قلْع وخراب، ها هو الرب ينطلق من جديد: أجمعهم، وأردّهم، أُسكنهم (ع. ٣٧).

ع. ٣٨: يكونون لي شعبًا وأكون لهم إلهًا. هو الرب يردّد ما قاله من قبل، ويكرّره الآن وغدًا وسيأتي وقت فيه يسمع الشعب كلام الرجاء ويطردون عنهم الإحباط واليأس.

ع. ٣٩: وأعطيهم قلبًا واحدًا. مثلهم ستكون الجماعة المسيحيّة الأولى «وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ، بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا» (أع ٤: ٣٢).

ع. ٤٠: وأقطع لهم عهدًا أبديًا. هو الكلام عينه. احفروه في قلوبكم. وأخيرًا يأتي الخير فيشترون الحقول (ع. ٤٣). وهكذا كان عمل إرميا بداية لما سوف يتمّ بعد العودة من المنفى.

٣- الخلاصة

هو الرب يدعو نبيّه، ويطلب منه بألا يكون منطقيًّا على مستوى البشر، الذين لا يرون بعيدًا. أما الله فيُعدّ المستقبل لشعبه. هنا نودّ القول بأن هذا الفصل (وغيره) كُتب بعد أن حصلت الأحداث وعاد الشعب إلى أرضه. هي نظرة الله إلى الحاضر، يقرأها النبيّ والذين حوله، ويفهمون أن الله هو الأمين. ومهما كانت الحالة صعبة، ففي النهاية يكون الخير، لا كما يطلبه البشر عادة، بل كما يريده الله، فلا يعطي شعبه حجرًا، بل خبزًا، ولا يعطيه حيّةً، بل سمكًا. ذاك ما يفعله أبونا السماوي، بل أبو البشريّة جميعًا لأنه، كما قال الرسول لتلميذه تيموثاوس يريد خلاص جميع البشر (١ تي ٢: ٤).

٣٣: ١- ٢٦ الوعد بالعودة والبناء

١- المقدّمة

هي الأمور تتبدّل وقد أضحى الماضي مع حروبه ودماره كأنّه ما كان. وإن تذكر الشعب والنبي شيئًا من ذلك...، فليس لكي يحزنوا ويبكوا، بل ليشكروا الربّ على إنعامه ويتأكدوا أن الذي فعل لهم الأمور الحسنة سيواصل حتى مجيء ربّنا. فالخطيئة ليست الكلمة الأخيرة، بل الغفران. والقلع والهدم هما في البداية. وفي النهاية، يغرس الرب ويعيد البناء، فيفرح في هذه الحالة، كما فرح حين خلق السماوات والأرض. قال سفر التكوين: «ورأى الله كلّ ما عمله، فإذا هو حسن جدًا» (تك ١: ٣١).

يتضمّن هذا الفصل سلسلة أقوال نبويّة حول الخلاص. وتُصوّر السعادة المحفوظة للشعب، وازدهار المدن (٣٣: ١- ١٣). ثم عودة نهائيّة لمملكة دشّنها داود والكهنة اللاويّون (٣٢: ١٤- ٢٢). وفي ٣٢: ٢٣- ٢٦ نعرف أن الرب اختار شعبه وسلالة داود.

٢- تفسير النص الكتابي

٣٣: ١- ١٣ المستقبل المجيد

ع. ١: كلمة الرب ثانية. نلاحظ هنا أن المدوّن الأخير، باروخ أو غيره، يجمع أقوال إرميا لأنّ همّه أن لا يضيع شيءٌ من كلام الله. لهذا سوف نلاحظ بعض التكرار. إرميا هو محبوس (را. ٣٢: ٢).

ع. ٢: صانعها صانع الأرض، أو كما يقول المفسّرون اليهود: هي أورشليم التي صنعها الرب.

ع. ٣: أُدْعُني فأجيبك. أنظر إلى هذه البيوت وما فيها من جثث... ها أنا أضع عليها علاجًا فأشفيهم.. وأطهّرهم، وأغفر لهم ذنوبهم. عندئذ يصبح الشعب زينة فتأتي الأمم وتعرف ما عملتُ لشعبي.

ع. ١٠: تبدّلت الأمور كليًا. من الصمت إلى صوت الطرب وصوت الفرح. كانت البلاد خربة بلا إنسان ولا حيوان. أما الآن، الآن، فالمدينة مملوءة وشعائر العبادة مؤمّنة، لا في أورشليم فقط، بل في مدن الجبل ومدن السهل.

٣٣: ١٤- ٢٢ عودة الملك والكهنوت

ع. ١٤: ها أيام تأتي. نقول بشكل عابر إنّ ع. ١٤- ٢٦ التي نقرأها هنا ليست موجودة في السبعينية. نعيد القول: النص الذي أخذ عنه المترجم اليوناني كان أقصر من النص الذي بين أيدينا والذي جعله الماسوريون، أي الباحثون اليهود، في الشكل الذي نقرأه.

ع. ١٥: وفي تلك الأيام وذلك الزمان. هو وعد آخر. أنبت... غصن برّ (را. ٢٣: ٥) يقيم الحق والعدل. هو يحمل الخلاص والأمان للشعب، اسمه صدقنا، الرب برّنا، لا الملك صدقيا (ع. ١٦).

ع. ١٧: هكذا يقول الرب. اثنان ضروريان لقيام الشعب: ملك من نسل داود، والكهنة اللاويون. هم لا ينقطعون (ع. ١٨).

www.christianlib.com

ع. ١٩: ثم صارت إليّ كلمة الرب. في هذا الجو، العهد ثابتٌ هو، ثبات النهار والليل. وأما نسل داود فيكون كثيرًا مثل النجوم (أو: جند) في السماء والرمل على البحر (ع. ٢٢).

٣٣: ٢٤– ٢٦ الرب لا يخلف في اختياره

ع. ٢٣: هو القول الأخير في هذا الفصل... ظنّت الأمم.

٣– الخلاصة

الخلاصة أن الرب لن يفعل شيئًا من أجل شعبه. ولكنّه جعل عهدًا مع النهار والليل ولا ينقضه. هكذا يفعل مع نسل يعقوب (أي مملكة الشمال) ويهوذا (أي مملكة الجنوب). قال: أنا أردّ سبيهم وأعيد بناءهم وأرحمهم. فأنا إله لا إنسان، أنا قدوس في وسطكم. أتريدون أن أتراجع عن بركتي وهباتي لشعب من الشعوب؟ ٣٤: ١– ٢٢ صدقيا وعظماء المملكة

١– المقدّمة

حين أمر الرب إرميا أن يشتري حقلًا، أعلن مستقبلًا زاهرًا لشعبه. وفي حوار طويل مع النبي، يعلن الرب من جديد نيّته بقطع عهد جديد مع شعبه الذي شُفيَ من ضلالاته بالألم، وتوحّد حول مشروع يحمله الجميع في قلبهم. وعاد الرب يتكلّم عن وعده: يعيد شعبه إلى أرضه، ويجزي المَلك المسيح الذي يقيم فيه، الحقَّ والعدل. وكما الطبيعة ثابتة، كذلك عهد الربّ ثابت. وكل هذا يدلّ على أمانته لشعبه.

ولكن الملك لا يزال على سلوكه، والعظماء يقومون بعمل ويتراجعون عنه. أطلَّ الخطر فيعودون إلى الرب. ينتهي الخطر، فيعودون إلى أنفسهم وأعمالهم الشريرة. والمثل الواضح: تحرير العبيد.

أما التصميم فيأتي في مقطعين. الأوّل (٣٤: ١– ٧) صدقيا وما ينتظره. والثاني (٣٤: ٨– ٢٢) العبيد الذين تحرروا ثم استعادهم أولئك الذين حرّروهم. فتجاه الاجتياح البابلي القريب، نصح إرميا الملك بالخضوع لخطر واحد للبقاء حيًا. وفي أورشليم المحاصرة، حرّر الملك والعظماء العبيد لكي يكثر عدد المحاربين. وحين رَفع العدوّ الحصار (ع. ٢١)، أعادوا الذين حرّروهم إلى العبوديّة. شجب إرميا هذا الجور ورأى فيه علامة فساد عميق يحمل الهريان لشعب الله ويقوده إلى الدمار.

٢– تفسير النص الكتابي

٣٤: ١– ٧ صدقيا وإرميا

ع. ١: الكلمة التي صارت إلى إرميا: ماذا ينتظر الملك صدقيا؟ هي موجهة بشكل شخصيّ إلى صدقيا خلال الحصار سنة ٥٨٨– ٥٨٧. فلا نتيجة من الوضع الحربي: احتلّ العدوّ مجمل مدن يهوذا ولم يبقَ سوى حصون لخيش وعزيقة اللتين لبثتا تقاومان. وما بقي أملٌ لصدقيا بأن يحتفظ بعرشه ويطرد البابليّين. ولكنّه على الأقل يستطيع أن ينجو بحياته. هذا القول يشبه ذاك الذي وجّهه إرميا إلى عبد ملك (٣٩: ٥– ٨) وباروخ (ف. ٤٥).

هي هجمة نبوخذنصر الشاملة التي وصلت إلى أورشليم.

ع. ٢: اذهب وكلّم صدقيا. نبوخذنصر داخلٌ إلى المدينة. لا تموت بالسيف. ولكن هذا بشرط (ع. ٥). وهذا الكلام قاله إرميا حين كان الجيش يضيّق الخناق على أورشليم (ع. ٧).

٣٤: ٨– ٢٢ تحرير العبيد العبرانيّين في الشرع اليهودي، العبد العبراني يخدم سيّده ست سنوات، وفي السنة السابعة يكون حرًّا، إلّا إذا هو أراد أن يبقى عبدًا عند سيّده. وها هو الملك والعظماء أرادوا أن يتبعوا هذه الشريعة. ولكنّهم حرّروا عبيدهم لأنّهم احتاجوهم في حصار المدينة.

ع. ١٠: يطلق كل واحد عبده ولا يستعيده. قطعوا عهدًا، ولكنّهم تراجعوا لأنّ الخطر ابتعد. لكنهم عادوا بعد ذلك فارجعوا العبيد (ع. ١١).

ع. ١٢: أنا قطعتُ عهدًا مع آبائكم بأن أخرجكم من العبوديّة، وطلبتُ الآن منكم أن تحرروهم، فلم تسمعوا. بل أنتم تستغلون عبيدكم من جديد، على مثال ما فعل الفرعون حين طلب منه موسى أن يطلق الشعب ليعبدوا الله.

ع. ١٧: وأطلّ العقاب لأن الشعب لم يحفظ العهد، حين مرّ المتعاقدون بين قطعتي العجل. ذاك ما فعل الرب مع إبراهيم حين قطع معه عهدًا (تك ١٥: ١٠– ١٧). فمن لا يلتزم بما وعد به يُقطع مثل هذا العجل. فماذا يكون للملك والعظماء في يهوذا؟

ع. ٢٠: أدفعهم بيد أعدائهم، ونصيبهم يكون الموت وتمرّ الطيور الجوارح ووحوش البرّ. وأوّلهم صدقيا. فأنا آمرُ. أجل، الرب هو سيّد التاريخ (ع. ٢٢).

٣– الخلاصة

كم يحاول الإنسان أن يساوم. فيعطي الرب أقلّ شيء ممكن، ولعلّ الرب يتراجع. أعطانا ابنه فلم يترك لنفسه شيئًا. «هكذا أحبّ الله العالم»، هكذا قال الآب. والابن قال: «ما من حبّ أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبائه». وقال يوحنا في رسالته الأولى: الرب بذل نفسه ونحن نبذل نفوسنا. عندما يأتي الضيق، نهرع إلى الكنائس، نركع، نقرع الصدور، نضع الرماد على رؤوسنا. وحين يمضي الخطر نعود إلى حياتنا العاديّة. هكذا فعل صدقيا وعظماء المملكة حين أرادوا العودة إلى الشريعة، فحرّروا عبيدهم.

www.christianlib.com

ولكنّهم استرجعوهم بسرعة. نجد أن الربّ لا يعاملنا بحسب خطايانا وكذبنا. فهو رؤوف رحوم، يعرف ضعفنا وميلنا إلى حبّ الذات ولو على حساب الآخرين. العهد القديم يظهر لنا الخطيئة مرارًا، لا لنعمل مثل الذين تصرّفوا هكذا، بل لنتجنّب ما وقعوا فيه من شرّ. يكفي أن نقرأ خبر سدوم وعمورة وتصرّف السكان وخبر لوط وامرأة لوط ولوط نفسه لنفهم. عالم من الخطيئة ينفتح أمامنا. أمّا النار فدلّت على حضور الله ودينونته بانتظار دينونتنا إن كنّا لا نتعلّم ممّا كُتب لأجلنا.

٣٥: ١– ١٩ أمانة الركابيين

١– المقدّمة

يقدّم ف. ٣٥ حوارًا بين إرميا والركابيين، وهو حوار يتّخذ شكل عمل رمزي: فالركابيّون لبثوا أمناء لمبادئ الأجداد ورفضوا، قطعًا، أن يتجاوزوهم (ع. ٨– ١١). أما بنو إسرَإيل فتخلّوا بعين وقحة عن الربّ وعن توجيهاته. الركابيّون جسّدوا بحماس ودافعوا عن مُثُل ديانة بني إسرَإيل، كما عاش آباؤهم البدو والقبائل في البريّة: رفضوا الحضارة الكنعانيّة ومدنها وحضاراتها، ولاسيّما ما يتعلّق منها بالكرمة ونتاجها. وبدون مساومة، أظهروا غيرتهم للرب (٢ مل ١٠: ١٥– ١٦).

أما التصميم فيأتي كما يلي: من تصرّف الركابيين (٣٥: ١– ١١) إلى تصرف رجال يهوذا وسكّان أورشليم (٣٥: ١٢– ١٩)، إنْ هو إلّا مثل حيّ يدلّ على خيانات شعب يهوذا. كم يحتاجون إلى أن يقتدوا بالركابيين الذين يباركهم الرب ولا يقطع نسلهم (ع. ١٩).

٢– تفسير النص الكتابي

٣٥: ١– ١١ تصرّف الركابيين

ع. ١: الكلمة التي صارت إلى إرميا. اذهب إلى بيت الركابيين (ع. ٢)، وحاولْ أن تسقيهم خمرًا: «اشربوا خمرًا. فقالوا: لا نشرب خمرًا». والسبب: أوصانا أبونا (ع. ٦). وفي أي حال، هم يحافظون على عوائد آبائهم في البرية. وهكذا يبتعدون عن العالم الوثني الذي يعيش فيه شعب الله ويمشون في خطاه.

ع. ٨: فسمعنا لصوت يوناداب بن ركاب أبينا. وأطعنا. وما حدنا عمّا أمرَنا به. ولكن أجبرنا على الدخول إلى أورشليم لما جاء ملك بابل إلى الأرض. هي نيّة جيّدة: الهرب من عوائد العالم وممارساته. ولكن أن نعيش خارج العالم يعني أنّنا لا نريد أن نكون كالخمير في العجين أو كالملح في الطعام. أما يسوع فقال لنا: أنتم في العالم ولستم من العالم. وصلّى إلى الآب السماوي من أجل تلاميذه، «لست أسألك أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير» (يو ١٧: ١٥).

٣٥: ١٢– ١٩ تصرف يهوذا الركابيون يسمعون توجّهات يوناداب. وبنو يهوذا لا يسمعون كلام الرب. الأولون: لا يحيدون قيد أنملة عن عوائد الأجداد. أما بنو يهوذا فساروا في خطى آبائهم وما حادوا عنها. فالآباء خانوا الله والأبناء مثلهم. لهذا يكون عقاب الأبناء كذاك الذي أصاب الآباء.

ع. ١٥: أرسلت لكم عبيدي الأنبياء (١٨: ١١؛ ٣٦: ٣) ولكنكم لم تسمعوا لهم. بل اضطهدتموهم وأردتم إسكاتهم كما فعلتم مع إرميا.

ع. ١٦: والنتيجة أجلبُ كلّ الشر على بيت يهوذا وأورشليم.

٣– الخلاصة

نحسب نفوسنا مرارًا أفضل من الآخرين: نحن اعتمدنا، تبعنا يسوع المسيح، أقلّه بشكل رسميّ. إذًا نحن أفضل من الآخرين. فإن سمعنا يسوع، كان كلامه قاسيًا علينا. إذا لم نكن خطاة فلا نستطيع أن نستفيد من المسيح، لأنّه جاء من أجل الخطاة. ثم لماذا لا نتعلّم من الذين لا يؤمنون إيماننا فنكون مثلًا صالحًا للذين حولنا ونعطي بحياتنا جوابًا للذين يطلبون منا شهادة إنجيليّة. ونتذكر موسى الذي تقبّل النصيحة من حميه، وأقام قضاة يعينونه في أمور الشعب. ما قال: من أنت تجاهي أنا موسى «كليم الله»؟ من كلمك؟ من علّمك؟ كلا. لم يَقُل شيئًا من هذا، ولكن بكل تواضع قَبِل مشورة حميه. من قال لكم إن الحكمة انحصرت فيكم بسبب إيمانكم؟ فالرب يكلّم كلّ إنسان، لأنّ كل إنسان مخلوق على صورة الله، وبالتالي يستطيع أن يسمع صوت الله. وقال الآباء: هناك بعض الوحي من لدن الآب لدى الوثنيين. ولولا ذلك لما كانوا يسمعون صوت الإنجيل الذي نحمله مع ضعفنا. فإذا كانت الخليقة كلّها تئنّ وتتمخض (رو ٨: ٢٢)، أما يليق بكل إنسان أن يحمل الكلمة الحلوة. تذكروا بلعام النبيّ الآرامي الذي حمل كلام الله إلى بالاق، ولبث أمينًا فما قال سوى ما قال له الله.

٣٦: ١– ٣١ درج إرميا

١– المقدّمة

جاءت الكلمة إلى إرميا ولكنّه لم يحملها بفمه. بل جاء باروخ فكتبها وقرأها للشعب ثم لكبار السلطة. وأُخذ النص من باروخ ليقرأه شخص آخر للملك اسمه «يهودي». وفي أي حال، هذا النص سوف يحترق. يحرقه الملك شيئًا فشيئًا. فالكلمة «شخص حي» يحملها هذا وذاك، ولكن فعلها لا يمكن أن يتوقف. وإن أتلف نص فيستطيع باروخ، سكرتير إرميا، أن يعيد كتابته. هي الطريق لكي نصل إلى من هو الكلمة، يسوع المسيح.

www.christianlib.com

في قسم أول (٣٦: ١-٢٦) يُمزق الدرج أو اللفيفة. يُدعى كذلك لأنّهم كانوا يلفّون «الكتاب» ويحملونه. وحتى اليوم، هكذا يُقرأ كلام الله في المجمع أو الكنيسة، لا في كتاب كالذي في أيدينا. وفي قسم ثان (٣٦: ٢٧-٣) يعيد إرميا كتابة الدرج.

٢- تفسير النص الكتابي

٣٦: ١-٢٦ الدرج المحروق

٣٦: ١-٨ أولًا: الكتابة

ع. ١: في السنة الرابعة ليواقيم، التي هي سنة ٦٠٥-٦٠٤ ق.م.

ع. ٢: أمر الربّ إرميا: اكتب فيه (ف. ي الدرج) كل الكلام الذي كلمتك به من أيام يوشيّا (الذي توفّي سنة ٦٠٩ ق.م) حتى اليوم. والهدف: لعلّ بيت يهوذا يسمعون. هو الرب يحاول ويحاول مهما كانت الصعوبات، من قبل الملك وعظمائه وبالتالي من قبل الشعب الذي لا يتجاسر أن يعارض ما تقوله السلطة. وكما في الماضي، كذلك اليوم، يفرحون، يصفقون وفي النهاية يسكتون ويسيرون وراء «الرئيس» لأنه لا يحقّ لهم أن يفكّروا ولا أن يتكلّموا.

ع. ٤: فدعا إرميا باروخ، فكتب وسوف يمضي ويقرأ. ولماذا لا يمضي النبيّ بنفسه؟ قال: أنا محبوس ولا أقدر أن أدخل بيت الرب.

٣٦: ٩-١٩ ثانيًا: القراءة

ع. ٩: اليوم يوم صوم. هذا يعني أن الشعب يكون كثيرًا فيسمع ما سوف يقرأ باروخ. كانت القراءة في آذان كل الشعب (ع. ١٠).

ع. ١١: وإذ سمع ميخايا. هو ابن جمريا الذي دافع عن إرميا (ع. ٢٥، را. ع. ١٠، ١٩، ٢٦، ٢٤). وهكذا وصل الخبر إلى عظماء المملكة.

ع. ١٥: فقالوا له: اجلس واقرأ في آذاننا. وكما سمع الشعب، ها هم العظماء يسمعون قراءة باروخ. وكانت ردة الفعل أنهم خافوا ناظرين بعضهم إلى بعض. هو خوف ورهبة أمام كلام الله. وتلك لا تكون عاطفة الملك الذي اعتبر أنه إن أحرق الدرج يكون قد أحرق كلام الله وألغاه. كان بالإمكان أن لا يسمع، ويعتبر أن الدرج غير موجود. وإن هو سمع، كان بإمكانه أن يجعل الدرج وكأنّه غير موجود. ولكنّ ردّة الفعل كانت عنيفة لأنّ هذا الكلام كشف له عمق خطيئته وكبر مسؤوليته. وفي أي حال، وصل الدرج إلى الملك.

ع. ١٩: فقال الرؤساء لباروخ: اذهب واختبئ أنت وإرميا. الخطر كبير. فقبلهما قُتل أوريا بن شمعيا. هرب إلى مصر فلحقوه إلى هناك وأتوا به إلى الملك (٢٦: ٢٠-٢٣). في ذلك الوقت نال إرميا الحماية من أخيقام بن شافان (٢٦: ٢٤). والآن عليه أن يختبئ ويختبئ معه باروخ الذي هو كاتب، لا أكثر، كما قال أمام الرؤساء: بفمه كان يقرأ لي كل هذا الكلام، وأنا كنتُ أكتب في السفر بالحبر (ع. ١٨).

٣٦: ٢٠-٢٦ ثالثًا: أمام الملك

ع. ٢٠: ثم دخلوا إلى الملك، إلى الدار. وكما كان الكلام في آذان الشعب وآذان الرؤساء، ها هو الآن في أذني الملك. كان الدرج مودعًا في مخدع اليشاماع الكاتب.

ع. ٢١: انتقل الدرج من يد إلى يد، وها هو يصل إلى الآذان بفم آخر، غير فم باروخ. اسمه يهودي. قرأ أمام الملك والرؤساء. ومع أن إرميا مسجون إلا أن كلامه وصل إلى الملك والرؤساء. هو الشهر التاسع، أي تشرين الثاني (نوفمبر) في حساباتنا (ع. ٢٢).

كلّ شيء جاهز في بيت الشتاء. ثم الكانون قدامه (أي قدام الملك) متّقد. وكل ما يقرأ يهودي ثلاثة أو أربعة سطور، شقه (الملك) بمبراة الكاتب وألقاه إلى النار.

ع. ٢٤: كان من المنتظر أن يخاف الملك والذين حوله. هو لم يخف ومثله فعل الرؤساء.

ع. ٢٥: كانت ردّة الفعل واعية لدى ثلاثة من الرؤساء. ترجّوا الملك، ولكنّه لم يسمع لهم. بل أمر بملاحقة باروخ وإرميا. هما في خطر ولا يستطيع الناس أن يفعلوا شيئًا. بل الله. فقال الكتاب: ولكنّ الرب خبّأهما.

٣٦: ٢٧-٣٢ إعادة كتابة الدرج ولكن كلمة الله حيّة، فاعلة، أكثر من سيف ذي حدّين. وإن زالت من البردي فهي مطبوعة في قلب إرميا ثم في قلب باروخ. وماذا سيفعلان حين يأمرهما الرب (ع. ٢٧).

ع. ٢٨: عد فخذ لنفسك درجًا آخر... فلبّى إرميا النداء (ع. ٣٢) فأخذ إرميا درجًا آخر ودفعه لباروخ.

ع. ٢٩: حسب يوياقيم أنه يكفي أن يحرق الدرج لكي لا يعود يسمع كلام الله. ولكن وصل إليه كلام الرب عن فم إرميا. بأي طريقة؟ لا أحد يعلم. وإرميا وباروخ مختبئان. هناك ألف طريقة وطريقة لإيصال كلمة الله. فبولس الرسول في السفينة يعظ، في السجن يعظ، في المجمع، ويعظ على شاطئ النهر كما كان الأمر في فيلبي.

٣- الخلاصة

تلك كانت مسيرة الكلمة: من عند الرب إلى إرميا، إلى باروخ، إلى يهودي، إلى شخص لا نعرف اسمه. فالرب الذي أرسل الأنبياء، مبكرًا في الإرسال، بمعنى معجلًا وملحًّا، يعرف الطرق العديدة لإيصال كلامه إلى من يعنيهم الأمر. والويل لمن يرفض السماع.

www.christianlib.com

قال له إرميا: لا يكون له جالس على كرسي داود. معه انتهت سلالة داود البشريّة وهو يكون جثة مطروحة للحرّ نهارًا وللبرد ليلًا. ولكن كانت سلالة من نوع آخر بدأ بها متّى إنجيله: «كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود» (مت ١: ١). وهذه السلالة اختُتمت: «ويعقوب ولد يوسف، رجل مريم، التي وُلد منها يسوع الذي يُدعَى المسيح» (مت ١: ١٦). زالت السلالة البشرية، ولكنّ سلالةً أخرى انطلقت مع يسوع المسيح الذي هو الكلمة الآتية من لدن الآب إلينا.

٣٧: ١– ٢١ إرميا في السجن

١– المقدّمة

وتتسارع الأحداث. ليس إرميا وحده في السجن، بل الملك وكل شعبه يضيّق عليهم الخناق. هو اليأس يحلّ في القلوب. أما صدقيا فلا يسمع من إرميا ولا هو يقطع كل علاقة معه. ونحن سوف نرافق النبيّ في طريق آلامه: من السجن إلى جبّ موحل... ولكن كلام الرب يبقى في فمه. فلا شيء يزعزعه وهو الذي جعله الربّ سورًا من حديد وعمودًا من نحاس. هي المعادن القويّة. ثم قال له الرب: «أنا أكون معك». ونتذكر كلام الرسول: «إن كان الله معنا، فمَن علينا؟» (رو ٨: ٣١). ويواصل بولس في رو ٨: ٣٥: «فمَن سيفصلنا عن محبّة المسيح؟ أشدّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟» وفي رو ٨: ٣٨– ٣٩: «فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوّات... تقدر أن تفصلنا عن محبّة الله التي في المسيح يسوع ربنا». هكذا هم الأنبياء، وهكذا سيكون الرسل وأوّلهم بطرس ثم بولس، ثم الشهداء. فمَن كان لا يهاب الموت، فماذا يخيفه؟ وهكذا لبث إرميا أمينًا لكلام الربّ حتى النهاية.

٢– تفسير النصّ الكتابي

٣٧: ١– ٤ صدقيا وإرميا هو رفض تام لكلام النبيّ. مَن لا يريد أن يبدّل سلوكه، ماذا ينتظر من الله ومن نبيّه (ع. ١– ٢). ومع ذلك أرسل صدقيا من يطلب من إرميا: صلِّ لأجلنا إلى الرب إلهنا (ع. ٣). ألا يعرف هؤلاء أيضًا أن يصلّوا؟ لأن الصلاة تقرّبنا من الله وتحوّل قلوبنا. فإذا صلّى إرميا، ماذا ينتفع الآخرون؟ أترى سيضغط النبيُّ على الله لكي يتراجع؟

ع. ٤: وكان إرميا يدخل ويخرج في وسط الشعب. حُرّر من السجن. وبدا كالقائد وسط الجنود. يدخل أمامهم، ويخرج إلى «الحرب»، لا حرب السلاح بل حرب كلام الله: يعظهم، يشجعهم.

٣٧: ٥– ١٠ توقّف الحصار

ع. ٥: وخرج جيش فرعون. هو الحليف الذي ركض إليه بنو يهوذا وخضعوا له ودفعوا له المال والسلاح. ولكن أين هو الآن؟ قام بتمثيلية كاذبة، فرفع البابليون الحصار عن المدينة... ولكنّهم عادوا سريعًا لأن الفرعون عاد فجأةً إلى بلاده. فهذه الممالك الصغيرة هي حطب وقود للدول العظمى. اليوم وكل يوم. وما حيلة الضعيف خصوصًا إذا أخافه من وجب عليه أن يشجّعه أو يقوّيه؟

ع. ٦: فصارت كلمة الرب. الناس يُخدعون أما الله ونبيّه فلا. إن جيش فرعون يرجع إلى أرضه، إلى مصر. وهكذا كان. ونبّه إرميا إلى عودة البابليّين. وحذّر يهوذا: «مهما عملتم، حتى لو انتصرتم عليهم، سوف «يحرقون هذه المدينة بالنار» (ع. ١٠).

٣٧: ١١– ١٦ وقبضوا على إرميا استفاد إرميا من رفع الحصار الموقت، فمضى إلى أرضه من أجل قضايا عائليّة.

ع. ١٣: ناظر الحرّاس... قبض على إرميا. أنت تمضي إلى البابليّين (أو: الكلدانيين)، أنت هارب. أنت جاسوس. كلّهم صاروا أعداء إرميا، من الملك إلى آخر موظف عنده. وهكذا سُلّم إرميا إلى الرؤساء فضربوه وجعلوه في بيت السجن. هو جبّ. أو مقبيات أي غرفة بشكل قبو. وهناك لبث إرميا.

٣٧: ١٧– ٢١ حوار مع صدقيا صدقيا ملك ضعيف. والرؤساء الذين حوله أقوى منه. لهذا يخاف أن يتركوه وحده في هذه الأزمة. فاحتاج إلى كلمة من إرميا. فدعاه سرًا، ونبّهه أن لا يعرف أحد بما دار بينه وبين إرميا.

ع. ١٧: وسأل عن كلمة من قبل الرب. وما هي هذه الكلمة؟ تُدفع إلى ملك بابل. تُسلّم إليه وتكون سجينًا.

ع. ١٨: وسأل إرميا: ما هي خطيئتي؟ لأنه قال الحقيقة من لدن الرب. وأين هم الأنبياء؟ هم أحرار لأنّهم خبّأوا كلام الله. وربّما كذبوا. فالاضطهاد علامة لا تخطئ. إذا كانت الكنيسة في هدوء، فهذا يعني أنّها توافقت مع العالم، مع السلطة الدينيّة والمدنيّة. يقولون لها: إياك أن تزعجي الملك بكلامك. ولكن وحده من يقول الحقيقة، من يتكلم باسم الرب يُضطَّهد.

ع. ٢١: من كل هذا الحوار الذي لم يتراجع فيه إرميا عن كلامه، نال النبي أن ينتقل من سجن قاسٍ إلى سجن أقلّ قساوة.

٣– الخلاصة

تلك هي حياة النبي إذا كان صادقًا مع كلمة الله. تارة يعاملونه بالحسنى لكي ينالوا منه ما يريدون فترتاح ضمائرهم ولا يزعجهم صوت الله الداخلي فينا. وطورًا يكونون قساة عليه، يسيئون إليه، يذلّونه. يمنعونه من التحرّك. يجعلونه في السجن، في جب موحل حتى تلين إرادته ولا يعود يقاوم. ولكنّ أناسًا قاوموا السلطة عشرات السنين وما استطاع أحد أن يكسر «رأسهم» ويجعلهم يركعون. هؤلاء، بقوّة الله، غيّروا وجه الكون أو أقلّه وجه بلدهم. هؤلاء هم الأحياء أما الذين يحسبون نفوسهم أحياء فهم أموات قبل

www.christianlib.com

أن يموتوا. هؤلاء هم الكبار، وأما الذين يستعملون المال والسياسة وغيرهما، فهم صغار، ويزول ذكرهم من الأرض، وكأنّهم ما عاشوا. فالأبطال الحقيقيّون هم الذين يتقوّون بقوّة الرب بحيث لا يقدر أحد عليهم. كم نحن بحاجة اليوم إلى أنبياء صادقين لا يسمحون بأن تعلو كلمة على كلام الله؟!

٣٨: ١– ٢٨ إرميا في الجب

١– المقدّمة

أعداء الرجل أهل بيته. هكذا كان وضع إرميا، انطلاقًا من أهل عناثوث وصولًا إلى الرؤساء في يهوذا. ومَن معه؟ الغرباء. عبد ملك الكوشي، الآتي من السودان أو الحبشة، الذي قد يكون أحد خصيان الملك. أترى كان إيليا أفضل منه؟ كلا. هرب باتجاه الشرق لدى العرب. فكرّموه أفضل إكرام. ذبحوا له من القطيع واحترموا عزلته. فكانوا يأتونه صباحًا ومساء بالخبز واللحم ساعة ما كانوا هم يأكلون سوى اللبن ومشتقاته (١ مل ١٧: ١– ٧)، أي ما تعطيه المواشي من خير. ومن الشرق انطلق إلى الغرب، لدى أرملة في صرفة صيدا، التي تقابل الصرفند الواقعة إلى الجنوب من صيدا (١ مل ١٧: ٨– ٢٤). هي أفقر الفقراء في وقت الجوع، فغدت أغنى الأغنياء بفضل إيليا. فما جاعت أبدًا. قال لها إيليا: إن كوز الدقيق لا يفرغ. وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذي فيه يعطي الربّ مطرًا على وجه الأرض (١ مل ١٧: ١٤). أما الملك أخآب فدعا إيليا النبي «مكدّر إسرَإيل» (١ مل ١٨: ١٧). أنت تحمل إليهم الشرّ. فأجابه النبي: بل أنت وأهل بيتك حين تبعتم البعل وتركتم الربّ الإله. أترى البعل أعطاكم المطر كما كنتم تنتظرون؟ كان إيليًا مضطهَدًا، ومثله سيكون إرميا. أبناء يهوذا يرمونه في جبّ موحل، وعبد الملك الكوشي، يستأذن الملك ويستخرجه من هناك ويعامله معاملة لائقة بمن يحمل كلام الله.

مقطعان في هذا الفصل. الأول (٢٨: ١– ١٣) إرميا يُلقَى في الجب وعبد الملك يرفعه. الثاني، اللقاء الأخير مع صدقيا (٣٨: ١٤– ٢٨) الذي يستجوب إرميا مرة ثانية: ربما يتبدّل الله ونبيّه يتبدّل معه. ولكن فات الأوان وأورشليم ستسقط سريعًا بيد نبوخذنصر ومعها الملك والأعيان.

٢– تفسير النص الكتابي

٣٨: ١– ٦ فليُقتل هذا الرجل

ع. ١: وسمع شفطيا. وراقه ما قاله إرميا الذي فتح طريقين أمام الشعب.

ع. ٢: الذي يقيم في هذه المدينة... الذي يخرج إلى الكلدانيين (أي إلى البابليين) الذين يلبثون في المدينة يموتون بالسيف والجوع والوباء والذين يستسلمون للعدوّ ينجون بحياتهم. ماذا يعني هذا؟ سيبقى الملك وحده. وفي أي حال، سيهرب الملك وحده ويترك شعبه عرضة للمحتلّ. هكذا هو من يريد رجاله لحياته «بدلًا من أن يريد حياته لرجاله». هو الراعي، ترك الخراف لأنياب الذئاب ونجا بحياته. ولكن يا لنجاة مثل هذه! أُخذ إلى ربلة. قُتل إبناه وفُقئَت عيناه.

ع. ٣: هكذا قال الرب: هذه المدينة ستدفع. وردّة الفعل: ليُعتقل هذا الرجل (ع. ٤) فتصرف صدقيا مثل بيلاطس الذي غسل يديه ليعلن أنه بريء من دم هذا الصديق.

ع. ٥: قال صدقيا: ها هو بيدكم. وهكذا تخلّى الملك عن مسؤوليّاته. وفي أعماق قلبه لا يريد أن يسمع مثل هذا الكلام.

ع. ٦: وهكذا أعيد إرميا إلى الجب.

٣٨: ٧– ١٣ عبد الملك الكوشي جاء إلى خاصّته وخاصته لم يريدوا أن يقبلوه. بل أرادوا قتله لأنّه أوصل إليهم كلام الله، الذي ينبّههم إلى الخطر. أما هذا الغريب فكان أرحم من الشعب. أخذ إذنًا من الملك الذي استحى من شعبه.

ع. ١٠: خذ معك ثلاثين رجلًا. ففعل وأخذ بعض الملابس البالية.

ع. ١٢: وقال عبد الملك الكوشي لإرميا: ضع الثياب الرثة. وأطلعه من الجب. كم هو قريب من السامريّ الصالح. جريح بين أورشليم وأريحا تُرك بين حيّ وميت. مال عنه الكاهن ومال عنه اللاوي. أما السامريّ الذي يُفترض فيه أن يبتعد ففعلَ. ولو كان الجريح واعيًا لرفض مساعدة السامري بل كان منعه من أن يلمسه. وطرح يسوع السؤال: «فأيّ هؤلاء الثلاثة تُرى صار قريبًا للذي وقع بين اللصوص»؟ «فقال الناموسي: الذي صنع معه الرحمة» (لو ١٠: ٢٥– ٣٧ وخصوصًا ع. ٣٦– ٣٧). وهنا من صار قريب إرميا؟ لا الملك ولا أحد عظمائه، بل عبد الملك الكوشي، الذي لا يجمعه شيء بإرميا. أما أهل إرميا فتمنّوا له الموت ولو سمحت الظروف لكانوا قتلوه.

٣٨: ١٤– ٢٨ آخر لقاء بين صدقيا وإرميا

ع. ١٤: وأرسل الملك وأخذ إرميا إليه، لا في القصر بل عند أحد أبواب الهيكل. وطرح الملك على النبي سؤالًا. أجابه النبي: إن أخبرتك تقتلني. وإن أشرتُ إليك لا تسمعني. فلماذا الكلام إلى الملك. كم يشبه إرميا يسوع أمام هيرودس الذي انتظر من يسوع معجزة ما! فما تكلّم يسوع، فحسبه هيرودس مجنونًا وألبسه ثوب المجانين.

ع. ١٦: فحلف الملك صدقيا لإرميا. لا أقتلك ولا أسلمك إلى أيدي أعدائك. عندئذ جاء جواب إرميا بدون تبديل: إن كنت تخرج... إن

www.christianlib.com

كنتَ لا تخرج، وأنت تعرف ما يحصل لك في حالة وفي أخرى (ع. ١٧-١٨).

ع. ١٩: قال صدقيا: أخاف من اليهود. ولكن ألا تخاف من الله؟ ونبّهه النبيّ إلى ما سوف يحدث. أما صدقيا فاهتمّ بنفسه لا بشعبه. فمنع إرميا من الكلام: لا يعلم أحد بهذا (ع. ٢٤).

٣- الخلاصة

هو عذاب إرميا يتواصل. ولا شيء يثنيه عن الكلام باسم الرب. لا السجن ولا الجب الموحل. لا كلام الملك الذي يمكن أن يطلق سراح النبيّ ليحمل الكلمة. هو لا يزيد ولا ينقص كلمة واحدة عمّا قال له الرب. سلّم أمره إلى الربّ فأرسل الربّ من نجّاه من الموت، عبد الملك. فالكوشي، الآتي من البعيد، صار قريبه. وسوف يردّ له الربّ حسناته (٣٩: ١٥-١٨): هو ينجو بحياته.

٣٩: ١-١٨ سقوط أورشليم

١- المقدّمة

كان النبيّ ذا نظر ثاقب، وشجاعته جعلته عرضةً لهجمات الأقوياء. ولكن إن وصل به الخطر إلى الموت، فإرميا لا يقول سوى ما في قلبه وما سمعه من الرب. وكانت الصعوبة قاسية على النبيّ، لأن صدقيا المتردّد كان يدفعه المتطرفون دفعًا. أما إرميا، ففي كل كرازته كان يسعى أن يُعفي شعبه من الفظائع التي ترافق حصار المدينة (أكلت النساء أطفالهن) وسقوطها بيد العدو: كل هذه الآلام تكون بلا معنى ولا فائدة، وها هي الأحداث جاءت تشهد لفكر النبي النيّر ودقة نبوءاته.

٢- تفسير النص الكتابي

ع. ١: في السنة التاسعة، أي نهاية حزيران (يونيو) سنة ٥٨٧ ق.م فُتحت المدينة.

ع. ٣: ودخل كل رؤساء ملك بابل.

ع. ٤: هرب صدقيا وكل رجال الحرب. خرجوا ليلًا من المدينة في طريق جنة الملك. فلحق بهم البابليون وأمسكوهم في أريحا. واقتادوا صدقيا إلى ربلة حيث مخيّم نبوخذنصر. قتلوا العظماء ثم فقأوا عيني الملك. ثم أحرقوا القصور في أورشليم، وقلبوا أسوار المدينة، ولم يبقَ في أورشليم سوى شعب الفقراء، فأعطاهم الفاتح كرومًا وحقولًا.

ع. ١١: وبحث نبوخذنصر عن إرميا. فأخرجوه من السجن وسلّموه إلى جدليا، حاكم المدينة الجديد.

ع. ١٥: ولا بدّ من ردّ المعروف لعبد الملك الكوشي. قال الرب: «أنقذك في ذلك اليوم» (ع. ١٧).

٣- الخلاصة

يا ليت الملك لبث حيًا ليرى أين كان النبي الصادق والنبيّ الكاذب. ثم هل رجع مسبيّو سنة ٥٨٧ ق.م ومعهم الآنية المقدسة، أم لحق صدقيا والذين معه بالمنفيّين إلى بابل. في أي حال، كل هذا كُتب بعد الأحداث. والذي جمع السفر، كتب على ضوء الأحداث التي حصلت ليبيّن دقة أقوال إرميا. لا مجال للكلام على ما يفعله الجيش الغريب الذي يجتاح المدينة. تلك هي ثمار الحرب وعناد المسؤولين الذين لا يريدون خسران ماء الوجه أمام شعبهم. وصدقيا نفسه كان خائفًا. ولو أنه خرج من الباب الرئيس لكان قتله رجاله. ولكن هربه من الباب الخلفي نجّاه من أهل يهوذا ليوقعه في يد البابليّين. هو القلع والهدم، فمتى الغرس والبناء؟

٤٠: ١-١٦ إرميا وجدليا

١- المقدّمة

مضى صدقيا إلى بابل. وهناك سوف يموت. فكيف تنتظم البلاد بعد أن ضاع كلّ شيء. المدينة بأسوارها المهدومة، الهيكل الذي احترق مع ما فيه من آنية. أين قواد الجيش والمهتمّون بمعيشة الناس الذين صاروا بأكثريتهم من النساء بعد أن مات الشبّان أو مضوا في طريق المنفى البابلي.

قسمان في هذا الفصل: الأول (٤٠: ١-٦) إطلاق سراح إرميا، والثاني (٤٠: ٧-١٦) تعيين جدليا حاكمًا. لم يبقَ أحد من سلالة داود بعد أن مرّ على المُلك يوشيا وأولاده وإخوته. كلّهم ماتوا أو مضوا إلى المنفى. فالآن، لا يكون «الحاكم» من السلالة الداودية. ولا دخل لشعب الأرض باختيار الملك كما كان يحصل في مملكة السامرة، في الشمال. لهذا عيّن المحتلّ حاكم المدينة، أورشليم، وما يرتبط بها من مدن.

٢- تفسير النص الكتابي

٤٠: ١-٦ إطلاق سراح إرميا

ع. ١: الكلمة التي صارت إلى إرميا. كان النبي وسط السبي. فأخذه رئيس الشرط. فردّد هذا «الغريب» ما كان يقوله إرميا: جلب الرب الشر عليكم لأنّكم خطئتم.

ع. ٤: والآن أحلّك من القيود. أصبح النبيّ حرًّا. أمامك طريقان: إمّا تذهب إلى بابل وإمّا تبقى هنا في الأرض.

ع. ٥: وإذ لم يختر النبي، أشار عليه رئيس الشرط: ارجع إلى جدليا. وهكذا أتى إرميا إلى جدليا في المصفاة حيث بدأ صموئيل خدمته قبل بداية الملكيّة.

www.christianlib.com

٤٠: ٧ – ١٦ تعيين جدليًا حاكمًا

ع. ٧: عُيّن جدليا فجاء إليه الشعب، في المصفاة، كما جا إليه بعض القوّاد الذين لم يكونوا راضين على هذا التعيين الآتي من بابل (ع. ٨)، ولاسيّما إسماعيل بن نتنيا ويوحانان ويوناثان ابنا قاريح.

ع. ٩: فحلف لهم جدليا: لا تخافوا من خدمة البابليين. وقال: أنا أسكن في المصفاة لأدافع عنكم.

ع. ١٢: وعاد اليهود الذين تشتّتوا في موآب وعمون وأدوم أي المناطق القريبة من يهوذا، حين علموا أن جدليا أقيم حاكمًا.

ع. ٢٣: وبدأت المؤامرة تُحاك على جدليا. ونبّهوه من إسماعيل فلم ينتبه. بل حسب من يتكلّم على إسماعيل كذابًا.

٣– الخلاصة

لماذا هو الحاكم وليس نحن؟ ولماذا الخضوع لبابل بدل مصر؟ وإذا كان إنسان طيّبًا ويحاول إعادة البناء، وترتيب الشعب، فلماذا القيام عليه؟ وخصوصًا إذا كان الإيعاز من الخارج، من بني عمون.

أما إرميا فأضحى دوره بسيطًا إن لم نقل أضحى بين يدي الرؤساء الذين لبثوا في يهوذا. هو لا يتدخّل ولا يفعل شيئًا كأنّ الله سكت فيه. ومع أنّه طلب أن يعيش وسط الشعب، ها هم يتركونه، يجرونه إلى مصر. هذا الوعي إلى الأحداث التي تهدّد أورشليم، لم يعد موجودًا هنا. هو الضياع التام. لهذا سيكون تصرّف فئة من الفئات كارثة على البلاد.

٤١: ١ – ١٨ اغتيال جدليا والهروب إلى مصر

١– المقدّمة

يسكر بعض الناس حين يتولّون مهمة، فلا يعودون ينظرون في ما ينتظرهم من شرور. هكذا جدليا. هو يحبّ بلاده. إذًا الجميع يشاركونه في هذا الحب. ولكن النوايا لا تكون دومًا مطابقة. وهكذا بموت جدليا، وفرغت البلاد من الناس: منهم مَن مضى هاربًا إلى مصر ومعهم إرميا. ومنهم من عاد عليهم البابليون وسبوا من سبوا. مضى العدوّ بعيدًا، وأهل البلد يأكلون بعضهم بعضًا.

٢– تفسير النصّ الكتابي

٤١: ١ – ١٨ اغتيال جدليا

ع. ١: وكان في الشهر السابع، أي أيلول، سبتمبر. ولكن لا يُقال شيء عن السنة، إسماعيل هو من النسل الملوكي. فجاء من يغذّي عنده رفض ما عمله البابليون: من أين أتوا بجدليا. أكلوا خبزًا معه ثم اغتالوه. فصحّ فيهم قول المزمور: «رَجُلُ سَلاَمَتِي، الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ (مؤخر قدمه)!» (مز ٤١: ٩) يا للاحتقار والخيانة! وهذا العدد استعمله يسوع بالنسبة إلى يهوذا الإسخريوطي خلال العشاء الرباني (يو ٢٣: ١٨).

ع. ٣: وما اكتفى إسماعيل بقتل جدليا، بل قتل معه كل اليهوذاويين الذين كانوا معه.

ع. ٤: وفي اليوم التالي، قتل أناسًا آتين إلى جدليا ورماهم في الجب، ثم سبى الذين كانوا حول جدليا. فما افترق بشيء عن البابليين. وهكذا يستطيع أن يفتخر أنه من النسل الداودي!! وأي افتخار! وفي النهاية، هرب إلى بني عمون الذين أشاروا عليه بأن يقتل جدليا.

٤١: ١٦ – ١٨ الهروب إلى مصر

ع. ١٦: وأطلّ «مقاتل» آخر هو يوحانان. فجمع الناس بجانب بيت لحم استعدادًا للهروب من البلاد والمضيّ إلى مصر. وهكذا فرغت البلاد من الجنوب ومن الشمال.

٣– الخلاصة

هنا نكتشف وجهين. وجه يحاول البناء قدر الإمكان وإعادة السلام بحيث يمضي كل واحد إلى كرمه وتينه، ووجه آخر يستند إلى الخارج من أجل مآربه. وماذا تكون النتيجة؟ تغلّب الشرّ على الخير. مع أن الرسول قال: «لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ» (رو ١٢: ٢١). كم نفرح حين تكون المصالحة تامّة بين فريقين متنازعين. هذا يعني أنّهم يعرفون الغفران والمصالحة فهنيئًا لهم إن ساروا في خطى المسيح. وما طلبوا ما هو لأنفسهم. ولكن لا. يا ليتنا كلنا نسمع كلام المزمور: «لأَنَّ غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي، وَتَعْيِيرَاتِ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ» (مز ٦٩: ٩). هكذا انطلقوا في أوروبا بين فرنسا وألمانيا من أجل البناء. وفي أفريقيا الجنوبيّة حيث نال الخصمان جائزة نوبل. أما نحن في الشرق فما وصلنا بعد إلى المصالحة والسلام، وإن كانت المصالحة لا تزال سريعة العطب.

٤٢: ١ – ٢٢ واستشاروا الرب

١– المقدّمة

بعدما عملوا الذي عملوه، تذكروا أنه ينبغي عليهم أن يستشيروا الرب. يشبهون في استشاراتهم الماضين إلى «العرّافة» أو إلى «المنجّم» وهو يقول لنا ما يراه مناسبًا ونحن نعمل ما نريد. فاستشارة الرب تعني أنني أستعدّ لأن أعمال ما يطلب الله منّي، ولو كان لا يوافق مصالحي. والمثل الرائع هو إيليا. مضى إلى جبل حوريب. بسط قضيّته أمام الرب، وضخّم الأمور: «تركوا عهدك، ونقضوا (هدموا) مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها» (١ مل ١٩: ١٤). إذًا، ابقَ هنا في

www.christianlib.com

أمان، في حمايتي! لا. ما قال الرب مثل هذا الكلام، بل صحّح له أقواله: بقيت سبعة آلاف ركبة (السبعة رقم الكمال، والألف هو عدد أكبر من أن يُحصى) «لم تجثُ للبعل» (١ مل ١٩: ١٨). وأمره: «اذهب راجعًا في طريقك» (١ مل ١٩: ١٥). هكذا يستشيرون الرب، وهكذا يطيعونه وينفذون ما أمر به. وللحال «فذهب من هناك ووجد أليشع» (١ مل ١٩: ١٩). وهكذا تتواصل المسيرة النبويّة. أمّا بقية يهوذا الماضية إلى مصر، فطلبوا كلّ شيء ما عدا الله.

٢- تفسير النص الكتابي

ع. ١: تقدموا إلى إرميا: ليت تضرعنا يقع أمامك، ليتك تشعر معنا ونحن في ضيقنا. نحن لا ننسى أن إرميا جُعل عمودًا من حديد (١: ١٨). إذا يستطيعون أن يستندوا إليه. وما هو قصبة مرضوضة لا تسند الإنسان، بل تثقب له يده كما قال النبي إشعياء على مصر. ماذا طلبوا؟

ع. ٣: فيخبرنا الرب إلهك عن الطريق الذي نسير فيه. هذا الرب هو إلهك أنت لا إلهنا نحن. صرنا غرباء عنه. ونستشيره كما نستشير أي إله أو أي عرّافة. الطريق واضحة بالنسبة إلى الرب: ارجعوا إلى أرضكم. ووعدوا أنهم يستعدون لأن يطيعوا كلمة الرب الآتية بفم النبي: وليكن الرب بيننا شاهدًا، صادقًا وأمينًا، إننا نفعل حسب كل أمر يرسلك به الرب إلهك (لا إلهنا).

ع. ٧: وجاء الجواب: إن كنتم تسكنون في هذه الأرض (ع. ١٠).

ع. ١٢: وإن قلتم لا نسكن، لا نسكن في هذه الأرض. بل نمضي إلى مصر. هم اتّخذوا قرارهم قبل أن يسألوا النبيّ. ربّما يتنازل هذا النبيّ بعد أن رأى ما حصل للمدينة وللهيكل. والسبب: لا نرى حربًا ولا نسمع صوت بوق (ع. ١٤). ولكن إن كنتم تجعلون وجوهكم للدخول إلى مصر... (ع. ١٥). هناك ستموتون.

ع. ١٩: وجاءت كلمة الرب إليهم: لا تدخلوا مصر. عمليًا خدعتم أنفسكم، كذبتم كعادتكم، لأنّكم لا تريدون أن تسمعوا لصوت الرب (ع. ٢١).

٣- الخلاصة

الشعب هو هو. قبل سقوط أورشليم وبعد هذا السقوط. لا مكان لكلام الربّ في قلوبهم. تشتّتوا باتجاه بابل وها هم يتشتّتون باتجاه مصر. يتركون الرب ويميلون عنه وجوههم، يحسبون أن الرب تركهم ساعة تركوه هم ولبثوا يحنّون إلى مصر كما كان آباؤهم بعد عبور البحر والدخول في البريّة. كم من مرة نتصرف نحن على هذا الشكل. والمثل الأول في الكتاب المقدس، هو قايين. عزم أن يقتل أخاه بالرغم من تحذيرات الله. وبعد أن قتله ذهب إلى البعيد. هل عاد؟ لا يقول الكتاب شيئًا في هذا الصدد. نترك الرب فندلّ على حريّة زائفة، كالغصن الذي يترك الكرمة. ينسى أنّه سييبس ويُرمى خارجًا ويُلقى في النار. وينادي الرب نعجته ونعجته ترفض سماع صوته وترتمي في أحضان الذئاب. والآن، ماذا بقي من شعب الله؟ هل من سبيل إلى البناء والغرس بعد أن أنهى الهدمُ عمله؟

٤٣: ١- ١٣ ولكنّهم لم يسمعوا له

١- المقدّمة

خاف رؤساء الشعب من ردّة فعل البابليين بعد أن قُتل ذاك الذي يمثّلهم. عارض إرميا مشروعهم بأن يلجأوا إلى مصر، ودعا الشعب للبقاء في أرضه. وأما هؤلاء «الثوار» فاقتادوا إرميا بالقوة إلى مصر. واقتادوا معه باروخ. وما إن وصل النبي إلى مصر حتى أنبأ بمجيء البابليّين إليها. وحذّر الجماعة اليهوديّة المهاجرة إلى مصر من خطر عبادة الأوثان.

٢- تفسير النص الكتابي

٤٣: ١-٧ تكذيب إرميا

ع. ١: وجاء من رفض كلام إرميا واعتبره كاذبًا. أنت متكلّم بالكذب: لم يرسلك الرب إلهنا (ع. ٢). حين تكون النيّة موجودة مسبقًا، فلا كلام يزحزحها. هم ذاهبون إلى مصر قبل أن يسألوا الله. واعتبروا أن باروخ هو السبب (ع. ٣). لأنّه يفضّل الانطلاق إلى بابل أو البقاء في الأرض. وفي أيّ حال، لم يسمعوا صوت الرب ويقيموا في أرض يهوذا (ع. ٤).

ع. ٥: بل أخذ يوحانان بقية يهوذا، الرجال والنساء، فجاءوا إلى أرض مصر (ع. ٧). وصلوا كما وصل إبراهيم، ولكنه ما عتّم أن خرج أو أُخرج بأمر فرعون، وكذلك نسل يعقوب. ولكنّهم سينتظرون طويلًا قبل أن يعودوا إلى أرض كنعان مارّين في البريّة التي قتلت جميع الخارجين من مصر.

٤٣: ٨- ١٣ كلام الرب في مصر هي فعلة رمزية يأمر بها الرب. إعداد القاعدة التي يجعل نبوخذنصر عليها عرشه في مصر. أُعلن الحدث بهذه الفعلة الرمزية. وها هي بداية تحقيقه. ذاك ما قيل في ١٣: ١ مع «أمثولة المنطقة من كتان». رأوا. سمعوا. ولكن ماذا فعلوا؟ لا شيء. وهكذا أرسل الرب فدعا «نبوخذنصر عبدي». هو التصق بي وسوف يعمل إرادتي. وفي الحقيقة، وصل نبوخذ نصر إلى مصر في عهد الفرعون أماسيس سنة ٥٦٨- ٥٦٧ كما قال حز ٢٩: ١٩- ٢٠ فيموت من يموت ويُسبى من يُسبى (ع. ١١). وهذا الفاتح سيفعل في مصر كما فعل في فلسطين وفي غيرها من البلدان.

٣- الخلاصة

لم يُخدع إرميا حين رآهم ماضين إلى مصر قبل أن يسألوه.

www.christianlib.com

ولكنّ الرب أراه فتكلّم. هي خبرة كل حامل الكلمة التي تقع على الطريق أو في الأماكن المتحجّرة، أو بين الشوك. هي لا تحمل ثمرًا ولكن لا بدّ من وجود أرض جيّدة تعطي ثمرًا (مت ١٣: ٤-٨). لن يتراجع حامل الكلمة لأنّه يعرف أنه يزرع ويسقي كما يعرف أن الله هو الذي ينمي (١ كو ٣: ٦). وزرع إرميا ولكنّه لم يرَ ثمرة عمله خلال حياته. بل هذه الثمرة سوف تظهر بعد مماته، لأنّ الله لا يعجّل. فأمامه الأبديّة. وعلينا نحن الصبر وانتظار ساعة الله.

٤٤: ١-٣٠ الهلاك بسبب عبادة الأصنام

١- المقدّمة

أليس من وجود للأصنام في مصر؟ بلى. بلى. والرب ونبيّه أينما يذهبان يحاربان عبادة الأصنام لدى المؤمنين أينما كانوا، في بابل وغيرها من المدن. فهل إذا هرب اليهوذاويون إلى مصر يتركون أوثانهم؟ كلا. بل يأخذون غيرها كما كانت تعمل المدن الوثنية وكما لا تزال تعمل الهندوسيّة في واجهات معابدها. أما كلمة الله فتكون مع الشعب أينما يكونون.

٢- تفسير النص الكتابي

ع. ١: **الكلمة التي صارت إلى إرميا... في أرض مصر.** كانوا يظنون أن الكلمة هي في أرض إسرَايل ولا تخرج منها إلى مكان آخر. ولكن عاموس تنبأ على سبعة بلدان. ويونان مضى إلى نينوى يدعوها إلى التوبة. أما حزقيال فما رافق وحده أهل السبي الذين مضوا مع يهوياكين سنة ٥٩٧ ق.م. بل الله بالذات رافق المنفيين وكان معهم في أرض بابل، يتعب تعبهم ويرتاح راحتهم ويرسل إليهم حزقيال ليشجعهم ويقوّيهم، ولو غدوا عظامًا يابسة. وتُذكر هنا مدن مصريّة: مجدل، تحفنجس، نوف (أو ممفيس).

ع. ٢: **أورشليم ومدن يهوذا تعيش الخراب.** والسبب عبادة الآلهة. كل واحد يمضي إلى إلهه، إلى عبادته الخاصّة، أو إلى نظرته إلى الديانة من زاويته كأنّه هو أساس الإيمان. ومع أنّ الرب أرسل إليهم الأنبياء (ع. ٤) فما سمعوا (ع. ٥).

ع. ٦: **فانسكب غضبي غيظي** على مدن يهوذا كهذا اليوم كما تستطيعون أن تروا. أما تقرؤون ما حصل بيد الجيوش الغريبة.

ع. ٨: **لإغاظتي بعمل أياديكم.** هذه الأصنام التي هي صنع البشر. إذا لبثتم على هذه الحالة تنقرضون وتصيرون لعنة (أي زالت البركة) وعارًا، فلا تبقى لكم كرامة شعب الله. فالرب اختاركم وأتى بكم إلى أرض الموعد. وأنتم تشوّهون هذا الاختيار. صرتم مثل سائر الأمم. فلماذا تطلبون كلامي؟ هو لا يفيدكم. لماذا تطلبون معونتي بعد أن قطعتم كل علاقة معي. أما هي حالنا في هذا الشرق حين نطلب معونة الرب: نحن اعتمدنا، شاركنا في الاستماع إلى الكلمة وكسر الخبز، أي جسد المسيح ودمه. ونقول: «يا ربّ، أليس باسمك تنبأنا (دخلنا في سرك وعرفنا كلامك وأعلنّاه)، وباسمك أخرجنا شياطين»، بمعنى أننا حرّرنا الناس من شهواتهم ونزواتهم وخطاياهم، كما حرّر الرب مريم المجدليّة (لو ٨: ٢). «وباسمك صنعنا قوات (أو عجائب) كثيرة». فيكون الجواب القاسي: «لا أعرفكم».

الكلمة التي تُقال في يهوذا هي التي تُقال في مصر وفي بابل وفي جميع الأماكن، فالرب هو هو، أمس واليوم وإلى الأبد. وكلمته ثابتة لا تتحوّل بحسب الظروف، إلّا إذا حولناها نحن إرضاء للبشر ولو على حساب الله.

ع. ١٥: وكان ردّ المنفيّين في مصر واضحًا ولا تراجع فيه: أنت تقول كلام الرب، ونحن نعمل مقاصدنا ومشاريعنا. أنت تدعونا إلى طريق ونحن نختار لنا طريقًا أخرى.

ع. ٢٤: ثم قال إرميا لكل الشعب ولكل النساء. هذه ليست عادة العبرانيّين: هم لا يذكرون النساء ولا الأولاد. بل هم يُعتبرون من متاع الرجل. أما هنا فذكرت النساء على أنهن مسؤولات عن أعمالهنّ وخطاياهن؟ في الماضي، إذا نذرت المرأة نذرًا ولم يرضَ عنه والدها أو زوجها، يعتبر هذا النذر لاغيًا. ثم إن المرأة ما زالت قاصرة ولا تعرف الوصايا كما هو الوضع هنا في مجتمعات شرقيّة معاصرة: ضعاف النفوس، ضعاف العقول... أما في المسيحيّة: فلا رجل ولا امرأة. هما متساويان. وعلى مستوى المواهب: الرجل يكون نبيًّا والمرأة تكون نبيّة... (١ كو ١٢: ١ ي) وقال الرسول في ١ كو ١٤: ٥: «إني أريد أن جميعكم تتكلّمون بألسنة». نلاحظ: جميعكم.

٣- الخلاصة

على مستوى المسؤوليّة. لم يعد الرجل وحده مسؤولًا عن الديانة وعن شعائر العبادة. أما هنا، فإرميا يكلم كل الشعب، الرجال والنساء (ع. ٢٠). الرجال يسكبون السكائب والنساء أيضًا. لهذا، ينبغي على النساء كما على الرجال أن يبتعدوا عن هذه الأوثان، ويعرفوا أنهم كلّهم خاطئون وكلّهم يستحقّون العقاب. فلا يدلّ بعد اليوم آدم على حواء على أنّها الخاطئة سأل الرب: فقال آدم: «المرأة التي جعلتها (هي عطية من يدك، وأنت مسؤول عما حصل لنا) معي. هي أعطتني من الشجرة فأكلت» (تك ٣: ١٢).

كلمة الله ترافق المؤمن حيث يكون. في أرضه أو في المهاجر، في أرضه يكون معتادًا على بعض الاحتفالات. وحين يترك أرضه، يترك إيمانه وما يتطلّب منه هذا الإيمان. لما كان يونان في البحر، ما رفع صلاة مع المصلّين حين تحرّكت الأمواج. فهو خارج سلطان

www.christianlib.com

الله. ولماذا يريده الرب أن يمضي إلى الوثنيين؟ ولكنّه سيكشف أن الله رحوم لجميع الناس، لا لفئة معيّنة من البشر.

٤٥: ١– ٥ خلاص باروخ

في أرض فلسطين، وصل كلام الرب إلى باروخ عن فم إرميا. ويصل إليه هذا الكلام في مصر فيعده بالخلاص. كانت لباروخ طموحات سياسيّة وهو مساعد إرميا. فلا شك في أن البابليّين يحسنون وفادة إرميا ويكون لباروخ نفع من نعمة البابليّين (ع. ٥). وهكذا جيحزي خادم أليشع. أراد أن يستفيد من رفقة «معلّمه» فيأخذ بعض المال والثياب، بحيث أضحت شهادة أليشع المتجرّد، كاذبة. النبي لا يأخذ، ولكن خادمه يأخذ والاثنان يتقاسمان (٢ مل ٥: ١٦): «حي هو الرب الذي أنا واقف أمامه لا آخذُ (شيئًا)». ولكن جيحزي أخذ فأصابه البرص الذي كان على جسم نعمان (٢ مل ٥: ٢٧).

ع. ٤: هكذا قال الرب: فهل أنت تطلب لنفسك أمورًا عظيمة؟ لا تطلب. يكفي أنك تنجو بحياتك. هكذا عزّاه النبي لأنّه لم يصل إلى ما كان يصبو إليه.

كم من الأشخاص يستفيدون من موقعهم الروحي ليرتفعوا في السلّم الاجتماعي. راعٍ فقير أراد أن يكون زعيم «الرعيّة». ويحاول أن يجمع المال فيرتفع فوق الرعية. ولكن الرب جعله «خادم الرعية»، على مثال الذي افتخر بأن يكون كالخادم وسط رسله.

٤٦: ١– ٢٨ كلام الربّ على مصر

١– المقدّمة

في ٢٥: ١٦، استعدّ القارئ ليسمع الأقوال على الأمم. ولكنّه عمليًا لم يسمع. كانت النسخة الأولى التي أُخذ عنها النص اليوناني، تجعل هنا هذه الأقوال، ولكن في النسخة الطويلة تمّ الفصل بين المقدمة (٢٥: ١٥– ٢٨) والأقوال النبويّة (ف. ٤٦– ٥١). فجعل المدوّن الأخير في ٤٦: ١، وصلة تعود بنا إلى قبل وتفهمنا الموضوع: كلمة الرب التي صارت إلى إرميا النبي عن الأمم. والبداية تكون مع مصر التي تعلّق بها بنو يهوذا، شأنهم شأن المدن الكنعانيّة (غزة، صور، صيدا وصولًا إلى أوغاريت أو رأس شمرا الواقعة إلى الشمال من اللاذقية.

٢– تفسير النص الكتابي

ثلاثة مقاطع في هذا الفصل: هزيمة مصر في كركميش (٤٦: ٢– ١٢) ثم: اجتياح مصر (٤٦: ١٣– ٢٤) وأخيرًا: كلام الرب (٤٦: ٢٥– ٢٨).

٤٦: ٢– ١٢ هزيمة كركميش كركميش مدينة كبيرة في بلاد الرافدين. هي اليوم جرابلس الواقعة بين سوريا وتركيا. إلى هناك أتى المصريون ليحاربوا البابليين إلى جانب الأشوريين، وذلك باسم توازن القوى. ولكن مصر هُزمت هزيمة نكراء. سقطت فلم تقدر أن تقوم (٢٥: ١).

ع. ٢: عن مصر. ويأتي الكلام شعرًا. والمعركة كانت على نهر الفرات.

ع. ٣: أعدّوا (اجعلوها في خط مُرتّب) كل واحد، المجنّ والترس من أجل القتال. ولكنّهم انهزموا سريعًا (ع. ٥): لماذا أراهم مرتعبين. ويأتي وصف المعركة.

٤٦: ١٣– ٢٤ اجتياح مصر

ع. ١٣: أخبروا في مصر. وتذكر المدن التي سبق وذكرناها. المجدل هي على الحدود (خر ١٤: ٢) على طريق فلسطين. نوف ممفيس (أو: السور الأبيض). هي مركز تجاري، وهي تبعد ٢٠ كم إلى الجنوب من القاهرة (هو ٩: ٦). دفنة كانت تقع على شاطئ بحيرة منزلة.

ع. ١٨: كتابور على الجبال، والكرمل عند البحر يأتي. هكذا يأتي الرب الرفيع، السامي، ومعه نبوخذنصر الذي لا شيء يوقفه أو يجعله يتراجع. لهذا، حتى المرتزقة العاملون مع مصر، يديرون ظهورهم ويهربون معًا بدون مقاومة (ع. ٢١).

ع. ٢٣: اقطعوا غابها أو يقطعون غابها. ثم: كثروا أكثر من الجراد.

ع. ٢٤: بنت مصر (را. ٤: ٣١) أو: جميلة مصر. يعني شعب مصر. وقد سُلّم إلى شعب الشمال.

٤٦: ٢٥– ٢٨ الرب يتكلّم

ع. ٢٥: هو عمل الله. ويجب أن يفسَّر. ها أنا أعاقب أمون نو. أو تيبة، أما أمون فشابه جوبتر أو زيوس، وكان يجمع كل الآلهة. فالرب يسلم مصر إلى نبوخذنصر (ع. ٢٦).

ع. ٢٧: وأنت لا تخف، يا عبدي يعقوب. نداء أول إلى يعقوب، أي إلى الشعب. هم سيعودون ويعيشون بأمان.

ع. ٢٨: والنداء الثاني: أنا معك. لذلك لا أفنيك. ولكن لماذا ضربتني؟ وجاء الجواب: أؤدبك بالحق. ما يُقال هنا سبق وقيل في ٣٠: ١٠– ١١. بعد إعادة بناء مصر، يُعاد بناء شعب إسرَإيل. ذاك هو مشروع الله من أجل الأمم.

٣– الخلاصة

الله لا يفني شعبًا كرامة لشعب آخر، ولا يخلّص فئة ويترك جانبًا الفئة الأخرى. أما إعادة البناء فتبدأ بالأمم الوثنيّة وتنتهي بشعب الله. وهي الطريق التي تحدّث عنها بولس الرسول: ترجع الأمم إلى

www.christianlib.com

الربّ ثم تعود إسرَإيل. والمبدأ: «لأنّ الله أغلق على الجميع معًا في العصيان، لكي يرحم الجميع» (رو ١١: ٣٢).

٤٧: ١–٧ نبوءة على الفلسطيّين

١– المقدّمة

نقول الفلسطيين– هذا الشعب الآتي من الجزر اليونانيّة، وعرف استعمال الحديد، لهذا قويَ على القبائل العبرانيّة. أقام على الساحل في خمس مدن هي غزة وجتّ (أي تل الصافي) وأشقلون (أو: عسقلان) وأشدود وعقرون (أو: خربة االمقنع). اجتاحوا مصر في السنة الثامنة لرعمسيس الثالث (أي ١١٧٥ ق.م، تقريبًا). ردّهم المصريّون وتركوهم يقيمون في المدن الخمس التي ذكرنا. وكانت المناوشات مستمرّة بين الفلسطيين والعبرانيين، ولم تهدأ الأمور كليًا إلّا مع داود.

٢– تفسير النص الكتابي

ع. ١: **التاريخ. قبل أن يضرب فرعون غزة.** فبعد أن هُزم المصريون، لاحقهم نبوخذنصر واحتلّ أشقلون في ما احتلّ (ع. ٥). ولكننا نعرف أن المصريين احتلّوا فيما بعد أرض الفلسطيين.

ع. ٢: شبّه الجيش البابلي بالسيل الجارف الذي لا يترك شيئًا في دربه. ثم كان كلام عن حوافر الخيل والمركبات (ع. ٣).

ع. ٤: **جزيرة كفتور،** أي جزيرة كريت التي منها انطلق الفلسطيون (عا ٩: ٧).

ع. ٧: **هو فقط كلام على أشقلون،** ثم على ساحل البحر. لست أدري إن كان بعد من «دولة» مع مجيء الإسكندر المقدوني. فالفلسطيُّون اندمجوا بالشعب الآتي من اليونان وتبدّلت أسماء المدن الساحليّة.

٤٨: ١–٤٧ على موآب

١– المقدّمة

موآب بلد قريب من يهوذا، وهو يقع إلى الشرق من البحر الميت. يعود الخلاف بين يهوذا وموآب إلى بداية تاريخ القبائل الإسرَإيليّة (عد ٢٢– ٢٤). را. تك ١٩: ٣٠– ٣٨ ونسل الزنى ثم تث ٢٣: ٤– ٧ والمسافة بين الشعبين: «لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الربّ حتى الجيل العاشر». ولكن نجد أن رباطات لبثت حاضرة. والمثال على ذلك سفر راعوث: وفي زمن المنفى لجأ بعض يهوذا إلى موآب. وبفضل الموقع الجغرافي، لم يعرف تاريخ موآب كوارث كبيرة. ولا يبدو أن هذا القول النبوي ارتبط بحدث خاص، بل برغبة النبي أن يوسّع نظراته اللاهوتيّة: الله هو سيّد جميع الأمم. وفي ١ تي ٢: ٤ قال الرسول إن الله يريد خلاص جميع البشر.

٢– تفسير النص الكتابي

ع. ١: **ويل لنبو.** هي مدينة واقعة على منحدرات جبل نبو، في شرقي نهر الأردن. خربت ومثلها خربت قريتايم. را. بش ١٣: ١٩؛ عد ٣٢: ٣٧. ذُكرت على «مسلة ميشع» ملك موآب.

ع. ٢: **حشبون** تلاعب على الكلام مع «ح ش ب» وفي العربيّة: الحساب. أما حشبون فهي تلة تبعد ٣٠ كلم إلى الشرق من أريحا، وتقع على «الطريق الملكيّة». مدمين. هو تلاعب على الألفاظ مع «د م م» أي أجبر على السكوت. قد تكون هذه ديبون الواقعة في وسط موآب.

ع. ٣: **حورونايم.** هي في الجنوب من موآب، وواردة في «مسلة ميشع». وصغارها (ع. ٤) هم بحسب التفسير اليهودي: الرؤساء. أضحوا صغارًا بعد مرور الجيش البابلي. لوحيت (ع. ٥). واقعة في جنوب موآب. را. إش ١٥: ٥. هو البكاء في كل مكان أمام الكارثة.

ع. ٦: **كعرعر** أو عروعير. تقع في وسط موآب. والمعنى: تشبهوا بعروعير التي عُرفت بصعوبتها ووعورتها. وهناك معنى آخر: دُمِّرَت المدينة وأنتم تُدمَّرون.

ع. ٧: **كموش.** هو إله موآب الوثني. ورد على مسلّة مبشع. مضى إلى المنفى، شأنه شأن شعبه.

ع. ٨: **المهلك.** هو نبوخذنصر. هو الذي يحمل القتل على مثال ذاك الذي مرّ على المصريّين في الضربة العاشرة، وقتل كلّ بكر فيهم. ولكنه عفا عن العبرانيّين لأن الدم كان على خيامهم (خر ١٢: ١١ ي). الوطاء أو بالأحرى الهضبة. بما أن موآب سلسلة من هضاب، فالكلام على الهضبة يعني موآب بشكل إجمالي.

ع. ٩: **أعطوا موآب جناحا.** أو شيّدوا ما سوف يكون خرابًا. هو الهجوم الساحق، مثلما ينقضّ النسر على طريدته والويل لمن يعمل برخاوة (ع. ١٠).

ع. ١١: **وتستريح موآب.** كان عارفًا الهدوء. أما الآن فولّى هذا الزمن. لأنّ التكبر سيطر عليهم وحسبوا أنهم جبابرة، وما علموا أن كل شيء هو من لدن الربّ.

ع. ٢٨: **انزلي من المجد.** جاء المهلك وجاء معه البكاء والصراخ. موآب بمدنه هو خراب.

ع. ٢٦: **تعاظم على الرب.** هي خطيئة موآب. ضحك على إسرَإيل. والآن سيضحكون على موآب بسبب ما صارت إليه. انتهت أيام الفرح والأعياد (ع. ٣٣) أُبطلت الخمر من المعاصر. كانوا يدوسون العنب وهم يهتفون. لا هتاف بعد، بل تعب.

ع. ٣٥: وأبطل من يصعد في مرتفعة. فإن بعل يُعبَد عادة على

www.christianlib.com

رؤوس الجبال. هكذا يستطيع بسهولة أن يعود إلى عابديه ويشاركهم في عيده. وهكذا ترد الأشعار وتُذكر مدينة بعد مدينة.

ع. ٤٦: ويل لك يا موآب! أيا شعب كموش. ولكن النبي لا يلبث عند هذا الحزن العميق، لأنّ الرب ترك الهدم والقلع وبدأ البناء. ففي آخر الأيّام أردّ سبي موآب. وهكذا يعود كل إنسان إلى أرضه.

٣- الخلاصة

هي نظرة الله إلى التاريخ. الناس يتحرّكون وينقلون الجيوش، ويقتلون ويهدمون ويحرقون... و لكن في النهاية، هو الربّ يحاول مداواة أمراضنا وتبديل قلوبنا. كيف يحقّ لنا أن نفرح حين يكون جاري في الحزن. فاستفيد أنا من ضربته على المستوى الاقتصادي. من بيوت وشراء أشياء وأشياء يحتاجها الآتي من الضيق. ما أحلى الذين يعرفون أن يتقاسموا ما في أيديهم. عند ذلك يستطيعون أن يقولوا: «هُوَذَا مَا أَحْسَنَ وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَسْكُنَ الإِخْوَةُ مَعًا» (مز ١٣٣: ١). وما أتعس الدول التي تعيش بعضها قرب بعض في عداء متواصل، وعنف لا يتوقّف.

٤٩: ١- ٣٩ نبوءات متعدّدة

١- المقدّمة

خمسة شعوب مذكورة في هذا الفصل: عمون، أدوم، دمشق، العرب، عيلام. والعبارة هي هي: هكذا قال الرب. وبعد العقاب الذي ينتظر هذا الشعب أو ذاك، نقرأ: ثمّ بعد ذلك أردّ سبي بني عمون.

٢- تفسير النصّ الكتابي

٤٩: ١- ٦ عمون بنو عمون، أقاموا شرقيّ البحر الميت. عاصمتهم ربة عمون أي عمان الحالية. هم أعداء تقليديّون لبني إسرَإيل. هنا، يوبّخهم النبي لأنهم احتلّوا أرض جاد، أحد الأسباط الاثني عشر. ربما تلفظ النبي بهذا القول النبوي سنة ٧٢١ ق.م حين سقوط السامرة بيد الأشوريين. وسوف يظهر هذا العداء مع سقوط يهوذا سنة ٥٨٧ ق.م. را. ٢ مل ٢٤: ٢.

ع. ١: أليس لإسرَإيل بنون أو لا وارث له؟ ملكهم «م ل ك م». مع الفتحة على الكاف. تلك كانت قراءة الماسوريين. أما في النص الأصلي فهو مع الضمّة على الكاف: ملكوم. أي إله عمون الوطني (١ مل ١١: ٥، ٧، ٣٣؛ ٢ مل ٢٣: ١٣). اعتبر أنه يرث جادًا لهذا وضع يده على أرضه.

ع. ٢: ها أيام تأتي. عادةً هو وعد بالخير. أما هنا فوعيد بالشر. تصبح العاصمة تلًا خربًا (٣٠: ١٨؛ يش ٨: ٢٨). وبناتها أي مدن المملكة الملحقة بالعاصمة. فيرث إسرَإيل الذين ورثوه أي يستعيد أرضه التي استولى عليها عمون.

ع. ٣: ولولي يا حشبون. مدينة موآبية احتلّها بنو عمون. ملكهم أو بالأحرى ملكوم الإله. را. ع. ١.

ع. ٤: تفتخرين بالأوطية أو بالأحرى: بقواك. هأنذا أجلب عليك خوفًا. بل الرعب الذي هو أحد أسماء إله الآباء (تك ٣١: ٤٢، ٥٣). وتطردون (ع. ٥) ولكنكم تعودون. أردّ سبي بني عمون. الرب يعامل بني عمون كما عامل بني إسرَإيل: إعادة البناء. را. ٤٦: ٢٦.

٤٩: ٧- ٢٢ أدوم توجد ثلاث محطات هنا.

٤٩: ٧- ١٣ أولًا: أدوم في حيرة نشير إلى أن ع. ٧- ١٦ تقرأ في عو ١: ٦.

ع. ٧: أدوم هو شعب. هو أخو إسرَإيل، كما كان يعقوب أخا عيسو (تك ٢٥: ٣٠؛ إر ٤٠: ١١). تقع أرضه إلى الجانب الشرقي من فلسطين. كانت معارك كثيرة بين الشعبين (٢ صم ٨: ١٤؛ ١ مل ٩: ٢٦؛ ٢ مل ٨: ٢٠- ٢٢؛ ١٦: ٦). هذا القول يصيب أدوم بمناسبة سقوط أورشليم. «ومن أجل ظلمك لأخيك يعقوب يغشاك (أي: يغطيك) الخزي، وتنقرض إلى الأبد. يوم وقفتَ مقابله (في مواجهته)، (عو ١: ١٠- ١١) فشاركت بالسلب والنهب (را. مرا ٤: ٢٢؛ حز ٣٥: ٥، ١٢؛ ٢٥: ١٢) وفي مز ١٣٧: ٧- ٩، نقرأ: «اُذْكُرْ يَا رَبُّ لِبَنِي أَدُومَ يَوْمَ أُورُشَلِيمَ، الْقَائِلِينَ: «هُدُّوا، هُدُّوا حَتَّى إِلَى أَسَاسِهَا». يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!»

وقال عوبديا: «وَيَجِبُ أَنْ لاَ تَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ أَخِيكَ يَوْمَ مُصِيبَتِهِ، وَلاَ تَشْمَتَ بِبَنِي يَهُوذَا يَوْمَ هَلاَكِهِمْ» (عو ١: ١٢).

أين الحكمة في تيمان. وأين الشجاعة في ددان (ع. ٨). أمّا اليوم فالعار.

ع. ١٠: أنا (الرب) أجرّد عيسو. وأكشف كنوزه المخبأة. الرب هو سيّد الأحداث حتى إسرَإيل تشرب الكأس حين سقوط أورشليم والمضي إلى السبي (٢٥: ١٥- ٢٩) فكيف يفلت أدوم. بصرة عاصمة أدوم تضحي خرابًا (ع. ١٣).

٤٩: ١٤- ١٦ ثانيًا: ويهاجمون أدوم هو الهجوم. وهكذا يضحى أدوم صغيرًا في وسط الأمم (ع. ١٥)، فيحتقرك الناس.

٤٩: ١٧- ٢٢ ثالثًا: الدمار والخراب في أدوم

ع. ١٧و١٨ ما يحصل لأدوم حصل لسدوم وعمورة. فيبدو الله مثل أسد في وجه الذي قال: مَن مثلي، من يقف أمامي. بل الله هو كنسر يبسط جناحيه على بصرة، لا ليحميها كما يفعل النسر مع فراخه، بل ليقلبها رأسًا على عقب.

٤٩: ٢٣- ٢٧ دمشق بعد أن انتصر نبوخذنصر في كركميش،

www.christianlib.com

أخذ يحتلّ المدن الآرامية ومنها دمشق وحماة (هي على العاصي) وأرفاد التي هي حلب. شعوب تتحرك مثل موج البحر... هو موت الشبان والمقاتلين. وفي النهاية، هي النار. قرية فرحي أو بالأحرى: قرية الفرح.

٤٩: ٢٨– ٣٣ العرب سنة ٥٠٩ ق م، هجم نبوخذنصر على العرب.. قيدار، قبيلة من البدو في شمال الجزيرة العربية (٢: ١٠). حاصور. هي قبائل من أنصاف البدو ولكن أنصاف حضر. بني الشرق. في العبرية «ق د م» أي الشرق. قبائل في الصحراء.

ع. ٣٠: نداء إلى القبائل أهربوا، انهزموا جدًا. أسكنوا في أماكن عميقة، ربّما في الكهوف خوفًا من الخطر الزاحف. من نبوخذنصر.

ع. ٣١: **نداء إلى البابليين.** قوموا اصعدوا إلى أمة مطمئنة. هي القبائل العائشة في الصحاري. لا مدن لهم. لا أبواب ولا مصاريع.

ع. ٣٢: **تكون جمالهم نهبًا** للآتين من الشمال. مقصوصي الشعر مستديرًا. هي بعض القبائل العربية التي تقص شعر رأسها بشكل خاص. وهي تمارس الختان مثل بني إسرَإيل. نلاحظ أن إعادة البناء سرت فقط على عمون وعلى عيلام (ع. ٣٩)، لا على أدوم ولا على دمشق ولا على العرب. قد تكون هي الحقيقية إذا كان أهلها ما أعادوا بناء مدنهم ولا عادوا إلى غرس أشجارهم.

٤٩: ٣٤– ٣٩ عيلام هي البلاد العالية، الواقعة شرقي منطقة بابل. هي معروفة منذ الألف الثالث ق م. حين تعلن النبوءة سنة ٥٩٧ ق.م، كان لعيلام ماضٍ مجيد فاستعادت استقلالها من الأشوريّين، ولكنها لا تلعب الآن أيّ دور. وإن تكلّم عنها النبي فلسبب لاهوتي: أن يبيّن شموليّة سلطان الله على البشر.

ع. ٣٥: **أحطّم قوس عيلام.** في الأصل اشتهر العيلاميون بالرمي بالقوس. وهي عبارة تدلّ على قوّتهم وسرعتهم في الهجوم. أحطم قوس عيلام. هو الرب يفعل، ينتصر وأخيرًا يجعل عرشه في عيلام، ويبيد الملك والرؤساء، فيكون وحده السيّد في البلاد.

ع. ٣٩: **أردّ سبي عيلام.** هي إشارة إلى تحرّرهم من الأشوريّين.

٣– الخلاصة

ما أقرب إرميا إلى عاموس. فدينونة الله، في عاموس: دمشق، غزة، صور، أدوم، بني عمون. ثم موآب وأخيرًا (مملكة) يهوذا و(مملكة) إسرَإيل (عا ١: ١– ٢). كل هؤلاء نالوا دينونة الله على خطاياهم ونالوا عقابهم، حين جاء الفاتح الأشوري إلى المنطقة. وفي إرميا (ف. ٤٩): عمون، أدوم، دمشق، العرب، عيلام. وسيأتي قريبًا دور بابل التي ستسقط، وهكذا يعود شعب إسرَإيل إلى الحريّة.

الرب هو سيّد التاريخ ولا يفلت شعب من سلطانه. كلهم يواجهون دينونته في دينونته، كما كل إنسان: الذين عملوا الصالحات فإلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيّئات فإلى قيامة الدينونة (يو ٥: ٢٩).

٥٠: ١– ٤٦ سقوط بابل وتحرّر إسرَإيل

١– المقدّمة

انتهت مجموعات النبي إرميا على الأمم. وجاء بعدها أقوالٌ على بابل في فصلَي ٥٠– ٥١. أقوال تعود على موضوعين: سقوط بابل وخلاص إسرَإيل المشتّت. إذا كانت هذه النبوءات قيلت حين كانت بابل في ذروة قوّتها، فقد أراد النبيّ أن يقابل دمار بابل وإعادة بناء أورشليم. ثم أعيدت قراءة هذه الأقوال على ضوء سقوط بابل. نحن هنا أمام فكر بشريّ ينتقد كلّ سياسة توسّعيّة استبدادية متشرّبة من احتقار سائر الشعوب. هكذا كان وهكذا هو اليوم. أما الفكرة اللاهوتيّة الأساسيّة فهي أن الله حاضر لدى أخصّائه حتى في أقسى أوقات من تاريخهم، لكي يخلّصهم. أما ف. ٥٠ فجاء في قطع متقابلة بين بابل وإسرَإيل.

٢– تفسير النصّ الكتابي

ع. ١: **المدخل،** كلام الرب بواسطة إرميا. الكلمة تفعل أما النبيّ فهو أداتها. هي تخرج من فم الله ولا تعود إلّا بعد أن تكمل مهمّتها (إش ٥٥).

ع. ٢: **بابل. أخبروا في الشعوب.** وماذا نخبر؟ أخذت بابل. أما بيل فهو بعل وهو يقابل مردوخ أو مردوك الذي هو إله مدينة بابل. ومنذ حمورابي هو إله المنطقة البابليّة. أركانها، أصنامها. كل هذا زال. أمّة من الشمال. نحن لا ننسى أن الشرّ يأتي من الشمال. غدت استعارة، لأنّ بلاد فارس، عدوّ بابل، آت من الجنوب الشرقي. تجعل أرضها خربة. جاء من يفعل بها كما هي فعلت بالأمم والشعوب.

ع. ٤: **إسرَإيل. في تلك الأيام وفي ذلك الزمان.** هو وعد مضاعف. والمملكتان تأتيان معًا. هو حلم الوحدة (٣: ١٨؛ ٢٣: ٦؛ ٣١: ٦). هم يأتون باكين نادمين على خطاياهم. يطلبون الرب. هم يأتون إلى الرب. في الماضي كان يأتي إليهم فيميلون بوجوههم. أمّا اليوم فيأتون، يطلبون. فعل «طلب» غنيّ جدًا. يوصلنا إلى يسوع المسيح. تكلّم المعمدان فتبع يسوع اثنان من تلاميذه. قال يسوع: «ماذا تطلبان؟» (يو ١: ٣٨). أما هما فقالا: «أين تقيم؟»، أي تمكث. ومكثا عنده ذلك اليوم. والشيء نفسه مع مريم المجدليّة. أتت إلى القبر. قال لها يسوع:

www.christianlib.com

يا امرأة، لماذا تبكين؟ مَن تطلبين؟ (يو ٢٠: ١٥). وحين ناداها: مريم، عرفته.

وذاك ما فعل الشعب. يسألون عن طريق صهيون. يستعلمون، أجل، عن الطريق. وجوههم إلى هناك. يستشف النبي توبة المنفيين وعودتهم إلى الرب، فيشبهون التلاميذ بعد العشاء الرباني. سأل توما: «لسنا نعلم أين نذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟» فقال له يسوع: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤: ٥-٦).

توجّهوا نحو الرب. فنلصق، ننضم. هي صورة الزواج منذ البداية حيث يلتصق الرجل بالمرأة ويكون الاثنان جسدًا واحدًا (تك ٢: ٢٤). لا انفصال بعد اليوم بين الله وشعبه. ماذا كانوا من قبل؟ كان شعبي خرافًا ضالّة (ع. ٦) ومن أضلّهم؟ رعاتهم. هو ضلال «سياسي» وخصوصًا هو ضلال ديني. تاهوا من جبل إلى أكمة. هناك كانت الآلهة التي يمضون إليها ويعبدونها في ملكهم. وهكذا أضاعوا مربضهم، أضاعوا الحظيرة. من حزقيال إلى مز ٢٣ وصولاً إلى الراعي الصالح، يسوع المسيح. فهمّه «أن تكون رعيّة واحدة وراعٍ واحد» (يو ١٠: ١٦). الله يذكر والشعب نسي إلهه. ما عاد يعرف الطريق إلى الحظيرة، خراف ضالّة. كل الذين وجدوهم أكلوهم (ع. ٧). ضميرهم مرتاح. أخطأوا إلى الرب فجاءهم العقاب من لدن الرب. وأخيرًا فهموا: مسكن البر ورجاء آبائهم هو الرب. وحيث يقيم البرّ هناك يكون الله.

ع. ٨: **بابل.** أهربوا من بابل... وهي صُوَر الحرب والرعب.

ع. ١٧: **إسرَإيل غنم متبدّدة.** خراف بلا راعٍ. لاحقها الأسود. الأشوريون أولاً وانتهى أمرها مع نبوخذنصر الذي سينال عقابه... وأردّ إسرَإيل الى مسكنه في أجمل مكانين: الكرمل وباشان. لم يبقَ من وجود لاثم (مملكة) إسرَإيل وخطيئة (مملكة) يهوذا.

ع. ٢١: **بابل - أرض مراثايم** أي المستنقعات التي فيها يلتقي دجلة والفرات. هم الأكاديون... صوت حرب.

ع. ٢٨: **إسرَإيل.** نقمة الرب إلهنا. عقاب بابل.

ع. ٢٩: **بابل** عليها الجيوش.

ع. ٣٣: **إسرَإيل.** الربّ يخلّص شعبه.

ع. ٣٥: **بابل.**

٣- الخلاصة

وهكذا بالتناوب بين فرقتين تنشدان؛ فرقة تعلن خلاص الشعب وعودته إلى الرب وإلى دياره، وفرقة تصف الحالة التي وصلت إليها بابل. نحن هنا سنة ٥٣٨ ق. م. وعودة المنفيّين. أتى الفرس ودمّروا بابل بكلّ سلطانها وأخذ الرب شعبه الذي تبدّل قلبه. هم يطلبون الرب، هم يبحثون عن الطريق التي توصل إليه. وها قد وصلوا إلى مسكن الله، حيث البر والحق والعدل.

٥١: ١- ٦٤ عقاب بابل

١- المقدّمة

أرسل الرب بابل على شعبه كأداة دينونة. ولكن هذا لا يبرّر العنف والقساوة والقتل والسلب التي رافقت سياسة الاحتلال لدى هذه الإمبراطورية الواسعة. هي سلسلة أقوال جُمعت فتدلّ على انحطاط القوة البابليّة. وترى منطق مشروع الله: أمسَت أيام الظالمين معدودة، لأنّ مشروع الله هو تحرير المعذبين الذين تستغلّهم القوى الكبرى. فالله لا يستعيد العدالة إلّا بعد أن يضع حدًّا لسلطة المعتدي. وهكذا كان اجتياحُ بابل بواسطة الفرس بدايةَ خلاص إسرَإيل. والعقاب الذي دمّر يهوذا يستعدّ ليدمّر بابل.

ومع ف. ٥١، الرب يحارب بابل (٥١: ١- ٢٦) ويجمع عليها الشعوب (٥١: ٢٧- ٣٣). ويكون دمار بابل بداية تحرير إسرَإيل (٥١: ٣٤- ٥٠). الرب هو الذي دمّر بابل (٥١: ٥١- ٥٨)، هو سيّد التاريخ. وينتهي هذا الفصل ببلاغ يعطي الأمل من عمق الشقاء (٥١: ٥٩- ٦٤).

٢- تفسير النصّ الكتابي

٥١: ١- ٢٦ الرب يحارب بابل

ع. ١: **هكذا قال الرب: ها أنا أوقظ على بابل ريحًا مهلكة.** قوة الرب هي في الطبيعة. يستعملها للعقاب أو للخلاص. ويأتي وصف للهجوم على هذه المدينة التي سيطرت على الممالك والشعوب.

ع. ١٥: **فالله هو سيّد الخليقة والتاريخ.** صانع الأرض بقوّته، ومؤسّس المسكونة بحكمته. فلماذا النظر إلى الأصنام التي هي باطل وعدم.

ع. ٢٠: **كانت بابل مطرقة في يد الرب،** والآن رُذلَت هذه المطرقة. هي انطلاقة شعرية. أنتِ لي فأس فأسحق بكِ الأمم... أمدّ يدي عليكِ وأحرجكِ من عليائكِ.

٥١: ٢٧- ٣٣ **يجمع عليها الجيوش** بعد نشيد إلى إله الخلق، وخطبة جنائزية لبابل «التي كانت»، ها الرب يأتي ليفعل. يكون في مقدمة الجيوش. ارفعوا الراية في الأرض. أضربوا بالبوق في الشعوب. تراخت يد بابل وأتى وقت دينونتها مع صورة الحصاد ودرس السنابل.

٥١: ٣٤- ٥٠ بدية التحرير

ع. ٣٤: **تصرخ إسرَإيل: أفناني...** جعلني إناءً فارغًا، ابتلعني.

ع. ٤٢: **كيف أخذت شيئك.** هي بابل كما في ٢٥: ٢٦.

www.christianlib.com

٥١: ٥١– ٥٨ الربّ هو من دمّر

ع. ٥٢: **وأعاقب منحوتاتها**، أي أصنامها المنحوتة.

ع. ٥٥: **الربّ خرّب بابل** وأباد منها الصوت العظيم. وهكذا أسوار بابل العريضة تدمّر تدميرًا وأبوابها الشامخة تُحرَق بالنار (ع. ٥٨).

٥١: ٥٩– ٦٤ القول النبوي في الفرات هي فعلة رمزية تعود إلى سنة ٥٩٤ ق. م، أي قبل سقوط بابل بخمس وخمسين سنة. وهي تدلّ على إيمان النبيّ بأنّ الربّ سيتمّ كلامه. هي بين سبي أول حصل سنة ٥٩٧ ق. م وسبي ثانٍ حصل سنة ٥٨٧.

ع. ٥٩: **حمّل إرميا سرايا وهو الذي رافق صدقيا إلى بابل**، ورقةً تحمل كلّ الشرّ الآتي على بابل. قال له: تقرأ هذه ثم ترميها في الفرات وتقول: هكذا تغرق بابل ولا تقوم.

٣– الخلاصة

أقوال سبق وقالها إرميا وها هي تُجمع هنا في شميلة كبيرة. مثلًا ع. ١٥– ١٩ تستعيد ١٠: ١٢– ١٦. أما الأفكار والتعابير فهي هي. تدلّ على ما يصيب بابل من دمار. والرب هو الذي يفعل: كما هو سيّد الخلق، هكذا هو سيّد التاريخ. قد يتأخر في العمل، ونحن معجّلون. لهذا نُدعى إلى الصبر ونحن متأكدون من فاعليّة كلمة الله.

ما نلاحظ هو تقلّبات التاريخ. فلا يحسب شعب أنه سيكون «سيّد الأرض إلى الأبد». فلا ثمّ لا. أحداث تتلاحق. كبير يصبح صغيرًا وصغير يرتفع. شعب يكون مغمورًا وفجأةً يظهر بقوّة هائلة. وما نقول عن الشعوب نقول عن الأفراد: «مَن اتّضع ارتفع، ومَن ارتفع اتّضع». رأى يسوع الكتبة والفريسيّين يجلسون في مقدّمة الناس بحيث يراهم الجميع. وخاف على تلاميذه من أن يتبعوهم. فقال: «أكبركم يكون خادمًا لكم. فمَن يرفع نفسه يتّضع، ومن يضع نفسه يرتفع» (مت ٢٣: ١٢). وأورد الإنجيل الثالث هذه العبارة مرّتين. الأولى، حين حدّث يسوع تلاميذه عن الجلوس في الولائم. تجلس أنت في الصف الأول، فيأتي صاحب الدعوة ويطلب منك أن ترجع ثم يطلب منك أيضًا. وفي النهاية تجلس في الصفّ الأخير. يا ليتك جلست في الصف الأخير! لكان رفعك صاحب الدعوة إذا كنت تستحق ذلك. والخلاصة، كما قال الرب: «لأنّ كلّ من يرفع نفسه يتّضع، ومن يضع نفسه يرتفع» (لو ١٤: ١١). وورد هذا القول مرة ثانية في ختام مثل الفرّيسيّ والعشّار. وقف الفرّيسيّ على مستوى الله، فهو بار مثل الله، والله مديون له. أمّا العشّار (الذي يجمع الضرائب، يجمع العشر) فلبث بعيدًا وهو يقرع صدره لأنّه خاطئ (لو ١٨: ١٤)، «لأنّ كلّ من يرفع نفسه...».

وما نقوله عن الأفراد نقوله عن الدول التي أصبحت «قرية كبيرة» لأنها استقبلت دولًا كانت مستعبدة. فخيرات الأرض لا تكون فقط في يد دولة أو في يد شعب، بل جعلها الرب في خدمة البشر كلّهم.

٥٢: ١– ٣٤ سقوط أورشليم

١– المقدّمة

يستعيد ف. ٥٢ بشكل شبه حرفي ٢ مل ٢٤: ١٨– ٢٥: ٣٠. وهدفه أن يظهر أن أقوال النبي تمّت في الأحداث التي رافقت سقوط أورشليم. قرأنا في ٥١: ٦٤: إلى هنا كلام إرميا. ممّا يعني أن هذا ملحق أضيف فيما بعد.

٢– تفسير النص الكتابي

ع. ١: **كان صدقيا ابن إحدى وعشرين سنة حين ملك.** هذا يعني أننا نرافق صدقيا من بداية حكمه حتى سقوط أورشليم وذهابه إلى المنفى البابلي هو والذين أخذهم المحتلّ معه.

ع. ٣: **غضب الرب على ملوك يهوذا** فطرحهم من أمام وجهه.

وتمرّد صدقيا على ملك بابل في السنة التاسعة (ع. ٤). كانت المجاعة فهرب المقاتلون بباب سرّي، فلحق بهم البابليون في أريحا وأخذوهم إلى بابل.

في السنة التاسعة دخل نبوزردان أورشليم وأحرق الهيكل. والمحاربون سلبوا ما في الهيكل من معادن. كل ما عمله سليمان من عواميد وأحواض...

وهكذا مضى يهوذا في السبي. ثم يردُه عدوّ الذين مضوا إلى السبي. صورة قاتمة. ولكن أطلّ حبل رجاء: أُخرج يهوياكين من السجن. وهذا التحرّر هو باكورة بعيدة لما سيتمّ لبني يهوذا الذين أُخذوا أسرى إلى بابل.

٣– الخلاصة

هو أمر هام لدى أولئك الذين جمعوا نصوص الكتاب المقدّس. يجب أن لا يضيع شيء، على ما كان يُقال عن صموئيل (١ صم ٣: ١٩: «ولم يدع شيئًا من جميع كلامه (كلام الربّ)، يسقط إلى الأرض»). هي أخبار وأقوال تتكرّر. فلا بأس. فكلام الرب بدأ شفهيًا. فيكرّره النبي أو تلاميذه. وهكذا يُجمع كلّه. ذاك ما كان من نبوءة إرميا، خصوصًا ف. ٥٢. كلّ هذا نتيجة تأمّل طويل، سوف يعود إليه شعب يهوذا وأورشليم ليسندوا رجاءهم خلال الأزمات التي تعاقبت عليهم.

الخاتمة

تلك قراءة لسفر إرميا، رافقنا فيها النبي في حياته ورسالته، وخصوصًا في آلامه التي كانت صورة بعيدة عن آلام يسوع.

www.christianlib.com

هي قراءة النص في أصوله، ثم الخروج منه لكي نصل إلى قراءة رعائيّة، روحيّة. إن كان التأويل- أو تحليل النصوص- ضروريًا لكي ندخل في إطار الكتاب، فالتأوين، أي تطبيقه على حياتنا الآن وفي أي مكان لنعيش منه، مهمّ جدًا. وذاك ما حاولنا إبرازه داخل النص أو في الخلاصة التي تنهي دراسة كلّ فصل من الفصول.

قرأنا إرميا، تأملنا في نصوصه، جعلنا نفوسنا في قلب رسالته وما كان فيها من صعوبات. وهذا يُفهمنا نحن المنطلقين إلى الرسالة، أنّ الأمور لن تكون سهلة بعد أن حذّرنا الرب كما حذّر تلاميذه. أولًا، التجرّد من كل شيء لتكون انطلاقتنا سريعة، وكما قال لوقا: أن لا نتوقّف في الطريق ونقوم بحديث طويل ينسينا الهدف من إرسالنا. وقال يسوع: تكونون مثل الخراف بين الذئاب. ووعدنا بالاضطهاد كما اضطُهد هو. ولكنّه أرانا فرح الانطلاق في الرسالة. قال التلاميذ العائدون إلى يسوع: «يا ربّ، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك». أما هو ففرح بأن أسماءهم كُتبت في السماوات (لو ١٠: ١٧- ٢٠). وبعد أن تهلّل يسوع بالروح. هنأ التلاميذ لأنّهم ينظرون ما لم ينظره الملوك والأنبياء، ويسمعون ما لم يسمعه هؤلاء.

المونسينيور بولس طنوس فغالي